العمارة والآثار والعادات

في عهد الدولة الفاطمية

حسن عبد الوهاب

الكتاب: العمارة والآثار والعادات في عهد الدولة الفاطمية

الكاتب: حسن عبد الوهاب

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

عبد الوهاب ، حسن

العمارة والآثار والعادات في عهد الدولة الفاطمية / حسن عبد الوهاب

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٥٣ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٤ – ٥٩ – ٦٨٢٣ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١١٠٤٤ / ٢٠٢٠

العمارة والآثار والعادات
في عهد الدولة الفاطمية



تقديم

"إن الدولة والمُلْكَ للعمران بمنزلة الصورة للمادَّة، وهو الشكل الحافظ لوجودها، وانفكاك أحدهما عن الآخر غير ممكن على ما قُرِّرَ في الحكمة؛ فالدولة دون العمران لا يمكن تصوُّرها، والعمران دونها مُتَعَذَّرٌ، فاختلال أحدهما يَسْتَلْزِم اختلال الآخر، كما أن عدم أحدهما يُؤَثِّرُ في عدم الآخر".

بهذه الكلمات استخرج ابن خلدون من أحداث التاريخ قانونا يربط بين العمارة وبين الحضارة المنشئة لتلك العمارة، ويؤكد أن تلك العلاقة طردية، بمعنى أن ازدهار أحد طرفيها يؤدي بالتبعية إلى ازدهار الطرف الآخر، والعكس أيضا صحيح فاضمحلال الحضارة يقود إلى اضمحلال عمارتها. فالعمارة هي أول عناصر الحضارة و أقدمها ، بل و أهمها .و لذلك تأثرت العمارة بالزوال و الانهيار و التغيير و التبديل أكثر من غيرها من عوامل تشكل الحضارات. والتاريخ حين بدأ بكتابته تم ذلك عن طريق أشكال معمارية من صور حيوانات أو رسوم و خطوط تؤدي إلى بناء يضم المعرفة عن تلك الحضارة المشيدة آنذاك .

والدارس لتاريخ الحقبة الفاطمية في تاريخ مصر (٩٠٩-١١٦٧م) يتأكد من صحة هذا القانون الخلدوني، فقد ترك الفاطميون مجموعة من المعالم والتحف المعمارية التي بقيتْ شاهدة على حضارة عربية بناها الفاطميون في مصر، ففي الفترة الزمنية التي عاشتها الدولة الفاطمية والتي تقارب القرنين من الزمن، انتشر الترف بين الناس انتشارًا واسعًا، ودلَّ على هذه الترف ما ترك الفاطميون من تحفٍ معمارية، فقصور الفاطميين وأبنيتُهمْ المزخرفة والمطرَّزة كانت خير دليل على ترفهم الكبير، وقد بنى الفاطميون أيضًا مجموعة من المساجد في القاهرة، ارتبطت هذه المساجد بابن طولون وبسيدي عقبة من حيث شكل بنائها، كما استخدم الفاطميون الحجر المنحوت في

بناء واجهات المساجد كبديل للطوب، وزيَّنوا واجهات المساجد بحفر الزخارف على الأحجار المنحوتة، وهذا ما ظهر في واجهة مسجد الحاكم والأقمر، كما اشتهرت القباب ببساطتها وصغر حجمها من الداخل والخارج.

وكانت محاولات الفاطميين للتقدم نحو الشرق الإسلامي قد بدأت وبشكل حثيث منذ عهد أول خلفائهم المهدي، ففي عام ٣٠١هـ -٩٤٦م أرسل حملته الأولى بهدف الاستيلاء على مصر إلا أن هذه الحملة فشلت في تحقيق أهدافها، وتم طرد الفاطميين من مصر.

وتواصلت المحاولات حتى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي أرسل قائده جوهر الصقلي على رأس جيش لهذا الغرض، وقد دخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر في الثامن عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ – السادس من يوليوسنة ٩٦٩م ، نزل جوهر شمالي العسكر والقطائع ، حيث بدأ في بناء عاصمة جديدة في هذا الموقع كي تكون عاصمة ومقرا للخلافة الفاطمية أطلق عليها اسم "المنصورية" ثم أطلق عليها اسم "القاهرة" وجعلها حصنا يحيط به سور، وبكل ضلع من أضلاعه بوابتين، ففي الضلع الشمالي بوابتا النصر والفتوح وفي الضلع الجنوبي بوابتا زويلة والفرج وفي الضلع الشرقي بوابتا البرقية والقراطين وفي الضلع العربي بوابتا القنطرة وسعادة.

هكذا وبعد انتقال العاصمة الفاطمية إلى مصر، وتأسيس القاهرة، اختلف طراز العمارة اختلافا كبيرا ، في العصر الفاطمي الأول كان الفاطميون في شمال أفريقيا، وكانت العمارة تتميز بالبساطة مع تأثر كبير بالمعمار البربري المحلي، والمعمار المراكشي والمعمار الأندلسي المجاورين.

اختفى بسرعة تأثير قبائل بربر شمال أفريقيا بمساجدهم المحلية ذات الأسلوب البسيط، وظهر تأثير المصريين الذين اعتادوا المساجد الكبيرة، الجوامع حيث يتحد مسلمو مناطق بأكملها ويلتقون للصلاة. واعتاد المصريون أيضا إقامة المحافل الدينية

والاجتماعية والأحداث الجماعية في تلك المساجد، وكانوا يقومون بأعمالهم وتجارتهم في أسواق كبيرة أنشئت خارج المساجد.

هكذا اضطر الفاطميون إلى تغيير أسلوبهم في المعمار ، فبنوا مساجد أكبر وكان أولها الجامع الأزهر ومسجد الحاكم بأمر الله ومسجد الصالح طلائع ، وجميع هذه المساجد توضح الجانب الاجتماعي الذي ميز المساجد الفاطمية، حيث كان الآلاف يحتفلون المولد النبوي، وليلة عاشوراء، وعيدي الفطر والأضحى، والأحداث الهامة الدينية والاجتماعية والاقتصادية، خاصة أن العصر الفاطمي الثاني كان عصرا للرخاء الاجتماعي.

وقد تميزت العمارة الفاطمية بالمزج بين عناصر العمارة الشرقية والغربية ، معتمدة على العمارة العباسية والبيزنطية والعمارة المصرية القديمة والقبطية.وقد تركز النشاط المعماري خلال حكم الفاطميين في القاهرة ، في المدينة القديمة في القاهرة ، على الجانب الشرقي من نهر النيل ، حيث تم بناء العديد من القصور والمساجد والمباني الأخرى.

وقد اشتهرتْ في العمارة الفاطمية في مصر على وجه الخصوص الزخارف المعمارية التي كان يرسمها الفاطميون على الجص، واشتهرت بالكتابة الكوفية المزهرة التي كان تظهر على المحاريب والنوافذ، كما حفروا الزخارف على الخشب في الأبواب وفي منابر المساجد وفي الروابط بين العقود وفي المحاريب أيضًا. وتمثل العمارة الفاطمية في مصر تراثا معماريا مهما، فهي من ناحية تمثل حلقة رئيسية ومهمة من حلقات تاريخ العمارة الإسلامية ككل، ومن ناحية أخرى تمثل درة من درر تاج العمارة الإسلامية في مصر حيث برزت جمالياتها واتضحت وظيفتها كما ارتبطت بتاريخ الفاطميين في مصر عامة، وهذا ما تفصله الدراسات التي يضمها هذا الكتاب، والتي تتجلى فيها خبرة ومعرفة الدكتور حسن عبدالوهاب وهو العلم الكبير في مجال الآثار والعمارة الإسلاميتين.

يبدأ الكتاب بداية منطقية بدراسة حول " الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة"، فيدرس التأثيرات المتبادلة بين الطرز المعمارية في العصر الفاطمي ، ويوضح أن هناك اقتباسات وتأثيرات معمارية، وقعت على العمارة في الإسكندرية والقاهرة، ومنها إيداع المنبر في حجرة خاصة به بجوار المحراب، يجري على عجل ولا يخرج إلا عند خطبة الجمعة أو العيدين، مثل ما هو موجود في جوامع الزيتونة وصفاقس، والمنستير وغيرهم. فقد كان كذلك منبر الجامع الأزهر عند إنشائه، وبعض منابر مساجد الإسكندرية، أما جامع الحاكم بأمر الله فقد شق إيوانه الشرقي مجاز مرتفع مثل مجاز الزيتونة.

كما اقتبس من جامع المهدية الباب البارز عن سمت الواجهة وتأثرت قبته بالقبة التونسية، فقد قامت القبة فوق المحراب على قاعدة مربعة فتحت في واجهتها الغربية شبابيك مثل قبة البهو بجامع الزيتونة، وكذلك اقتبس من مسجد الزيتونة أنه أقام على طرفيه في الواجهة الغربية منارتين كبيرتين أسوة بالبرجين على طرفي الواجهة البحرية لمسجدي الزيتونة وسوسة، وفي مسجد سوسة، حول أحدهما لمنارة، ووقعت على زخارف منارة الحاكم ومدخله تأثيرات من الزخارف الموجودة في رواق البهو بجامع الزيتونة والموجودة في باب الميضأة بجامع القيروان.

أما مسجد الحاكم بأمر الله فقد اقتبس كتابة الإزار الكوفي تحت السقف، من مسجد القيروان، غير أن الإزار الكوفي في جامع الحاكم من الجص وفي القيروان من الخشب.

وفي دراسة مهمة عن تخطيط مدينة القاهرة، يقول الأثري القدير حسن عبدالوهاب "عندما كانت تنشأ مدن جديدة، امتداداً لمدن أخرى سبقتها، كانت تخصص المدينة الجديدة أولاً لسكني الوالي، أو الخليفة وحاشيته، والمقربين منه، وهذا ما فعله القائد جوهر حينما أنشأ مدينة القاهرة سنة ٣٥٨هـ – ٩٦٩م امتداداً للفسطاط والعسكر والقطائع. فإنه أعدها لتكون دار خلافة ينزلها الخليفة وعساكره وخواصه، وهكذا كانت الحالة في أطراف المدينة حينما كان يسكنها الخلفاء أو

الملوك، فإنها تكون سبباً في عمران ما حولها".

ومن دراسة القاهرة تبين أنها خططت وقسمت إلى ميادين ورحاب أمام القصور وفيما بينهما، وأمام مبانيها الرئيسية ومساجدها. وكان أمام القصر الكبير وفيما بين القصرين الكبير والصغير في الدولة الفاطمية، ميدان فسيح كانت تقام فيه حفلات استعراض الجيش، وعلى الجانب الغربي لهذا الميدان، أقيم القصر الصغير الغربي ، وعلى جزء من أرضه الآن منشآت المنصور قلاوون. فعرف هذا الميدان ثم الشارع فيما بعد (بين القصرين). وكان يوجد بجوار القصر الغربي ميدان آخر، موضعه المنطقة المعروفة بالخرنفش، وبجواره البستان الكافوري المطل على الخليج.

غير أن المعز لدين الله حينما قدم إلى القاهرة لم يرق في نظره موقعها لأنها بغير ساحل، ولام جوهر وقال له: "فاتك بناء القاهرة على النيل عند المقس (ميدان المحطة)، فهلا كنت بنيتها على الجرف؟ (منطقة الرصد)، فقد اختار جوهر موقع القاهرة بنظرته العسكرية، لكن الخفاء الفاطميين لم تفتهم مواطن الجمال في أطراف القاهرة والفسطاط والجزيرة، فانتفعوا بها وبشاطئ النيل، وحافتي الخليج، وشبرا، حيث كانت الخضرة والماء، فأنشأوا المناظر والحدائق، مما كان له أثر كبير في تعميرها، فامتد العمران إلى خارج أسوار القاهرة.

ورغم إقرار الكاتب بتميز العمارة الفاطمية بمصر، إلا أنه يرى سماتها مصرية خالصة، رغم وجود بعض المؤثرات المعمارية التي تنتمي إلى شمال أفريقيا، فبالرغم من أن الفاطميين نشأوا ووفدوا من شمال إفريقيا، فإنهم لم يحملوا معهم من تأثيرات العمارة هناك إلا القليل، مما يجعلنا نقرر ونحن مطمئنون أن عماراتهم في القاهرة نهجت نهجاً جديداً قاصراً على القاهرة.

وتمثل العنارة الفاطمية عصرا من أزهى عصور العمارة وأغناها، فالدولة الفاطمية كانت دولة بذخ وترف لها من عقائدها فرجة، هيأت للفنان أن يطلق لخياله العنان، فصور حياتهم العامة على طرفهم ومنشئاتهم. وفي عصر هذه الدولة تطورت

العمارة من البناء بالآجر إلى الحجر، وانتقلت واجهات المساجد من البساطة إلى الزخرف والابتكار في التصميم. ومع قلة ما بقي منها فإنها تعطي فكرة صحيحة عن مميزات العمارة في هذا العصر.

ولايقتصر الباحث في دراسته للعمارة الإسلامية في مصر الفاطمية على المباني فقط، فدرس أيضا التاريخ الاجتماعي ناقلا اهتمامه من الحجر إلى البشر، فرأيناه يخصص فصلا لدراسة الاحتفال بالمولد النبوي، وهو يمثل ظاهرة ترجع إلى القاهرة الفاطمية، فأول من عنى بالمولد بمصر الخلفاء الفاطميون، فكانوا إذا استهل شهر ربيع الأول صدرت الأوامر بتوزيع الصدقات، وإلى دار الفطرة بإعداد أربعين صينية من أنواع الحلوى، وأن يصرف إلى المشاهد المنسوبة إلى أهل البيت بمصر والقرافة السكر واللوز والعسل والسيرج والخبز.

إذا كان الثاني عشر من شهر ربيع الأول صدرت الأوامر بعمل عشرين قنطاراً من السكر حلوى يابسة بأشكال طريفة في ثلاثة آلاف صينية، كي يتم توزيعها على كبار الموظفين والفقراء والخطباء والمدرسين بالجوامع.

وبعد صلاة الظهر يركب القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر ومعهم من عهد إليهم بتوزيع الصواني، فيجلسون مقدار قراءة القرآن الشريف، ثم يستدعي قاضي القضاة ومن معه من كبار الموظفين فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر الصاغة عند مدخل بين القصرين فيتوضئون هناك، ويكون الطريق التي يسلكها الموكب نظيفة ومرشوشة ومفروشة بالرمل الأصفر، ويقوم بالإشراف على هذا الموكب وإلى القاهرة، وحينما يتقربون من منظرة الخليفة يترجلون ويجتمعون تحتها إلى أن يشرف عليهم أحد خواصه من نافذة بها ويحييهم نيابة عن الخليفة. ثم يستفتح القراء بالقراءة، ثم يتقدم خطيب الجامع الحاكمي فيخطب خطبة إلى أن يصل إلى ذكر النبي ﷺ فيمجده ويعظمه ويشيد بمولده الشريف، ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة، ويتبعه خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك، ثم يتبعه خطيب الجامع الأقمر. فإذا انتهى الخطباء حياهم الخليفة، وهو بمثابة أذن لهم بالانصراف وانتهاء الاحتفال.

وهكذا يجمع الكتاب بين دراسته للآثار ودراسته لمن بنوها في ظل الدولة الفاطمية وعاداتهم ، مؤكدا – بشكل غير مباشر – على صحة القانون الذي اكتشفه ابن خلدون، حينما لاحظ العلاقة بين العمارة ومن ينشئها.

الناشر



عمارة الدولة الفاطمية .. الأزهر نموذجا

مؤسس هذه الدولة في مصر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله. فهو الذي أرسل قائده جوهراً الكاتب الصقلي لفتحها والاستيلاء عليها، وكانت مصر غنماً يسيراً للدولة الفاطمية. ولكنها كانت أسطع جوهرة في تاجها، وأعظم قطر في تلك الامبراطورية الشاسعة التي تسيطر عليها.

وكانت الحقبة الفاطمية من الناحية السياسية، فاتحة عصر جديد في تاريخ وادي النيل. فقد أصبح لمصر فيها لأول مرة – منذ أيام الفراعنة– سيادة قومية تامة ممثلة في حكومة عزيزة الجانب شديدة الحيوية. ومع أن العصر الذهبي للدولة الفاطمية بمصر بدأ بالمعز لدين الله، وبلغ أوجه في عهد العزيز بالله، فإنها كانت في عهد المستنصر بالله لا تزال في طليعة الأقطار الإسلامية.

فتنت الوافدين عليها فأبدعوا في وصف حضارتها وفي وصف القاهرة وقصورها ومناظرها الفاطمية. وفي أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الاسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء الأرض، وانتعشت العلوم والفنون بمصر والقاهرة، فأنشئت بها دار العلم أو دار الحكمة لمختلف العلوم والفنون. وكانت خزانة الكتب من أغنى مكتبات العالم.

حوت مئات الألوف من الكتب. منها الكثير بخطوط، مؤلفيها مجلدة بأفخم الجلود، وجمعت مختلف العلوم في الفقه وسائر المذاهب، والنحو واللغة وكتب الحديث والتاريخ والفلك. وأن لخلفائها عناية بالمراصد الفلكية حيث أقيم بالمرصد، والمقطم والقاهرة مراصد فلكية.

وكانت عنايتهم بالقصرين الكبير والصغير مثار الإعجاب. تبارى الرحالة والمؤرخون في وصفهما. وما كانا عليه من ثروة معمارية وفنية، ما بين نقش وتصوير

وتذهيب. فقد كانت وجهاتهما مبنية بالحجر، ومزخرفة بنقوش وصور لآدميين وحيوان وطير، كما مثل النقش في أخشابهما الحياة وقتئذ من رقص وصيد وعزف على الآلات الموسيقية.

وهذا تراه أيضاً ممثلاً أجمل تمثيل وأتقنه على أواني الخزفية ذات البريق المعدني.

وكانت جدران القاعات بتلك القصور، مكسوة بالرخام والنقوش الملونة والمذهبة. وكذلك الفساقي التي تنساب منها المياه. هذا عدا الأستار الحريرية، والبسط والأرائك المطعمة بالذهب، وأن وصف ما اشتملت عليه خزائن الجواهر والمقتنيات والفرش لتدل دلالة واضحة على ما وصلت إليه تلك الدولة من حضارة واسعة.

إن ما تخلف من تلك الدولة من عمارة، و من طرف أثرية تملأ دور الآثار من صناعات دقيقة في النسيج وفي الأخشاب وفي الخزف تعزز ما تغالى في وصفه المؤرخون، ولم يقتصر البذخ وزخرفة القصور ومقتنياتها على الخلفاء الفاطميين فحسب، بل شمل وزراءهم، فقد تنافسوا في بناء قصورهم ونقشها وتصويرها ومنافسة المصورين في تنفيذ رغباتهم، فقد وصف المؤرخون الصور التي تبارى فيها المصوران "القصير المصري، وابن عزيز الموافي" في قصر سيد الوزراء الحسن بن علي البازوري، والكتامي المصور، الذي أبدع تصوير يوسف في الجب وهو عريان، بدار النعمان بالقرافة الكبرى.

كما كانت حمامتهم مصورة ، فقد اكتشف متحف الفن الإسلامي بالفسطاط بقايا حمام على جدرانها صور ملونة.

وكانت أيام تلك الدولة مواسم وأعياداً بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلال الخلافة وطرب الشعب وبهجته، وكثير من الحفلات والتقاليد الباقية إلى الآن مدينة بظهورها إلى تلك الدولة، والتاريخ لن ينسى حفلاتها في مولد النبي، ورأس السنة الهجرية، ووفاء النيل، ورؤيا رمضان وغير هذا كثير.

وقد عنيت هذه الدولة بشتى مرافق الحياة، فقد عنيت بنظافة القاهرة وتجميلها وإضاءتها ومكافحة الحريق والعمل على بناء خرائبها وستر الخرائب حتى لا تبدو للعيون.

فقد تضمنت أوامر الدولة وقتئذ الإضاءة أمام الدور والدكاكين، وضرورة وضع زير مملوء بالماء أمام كل حانوت مخافة حدوث حريق في مكان فيطفأ بسرعة.

وفي سنة ٥١٧هـ ١١٢٣- م أمر الوزير المأمون الواليين بمصر والقاهرة، بإحضار رؤساء السقايين وأخذ التعهدات عليهم باستعدادهم للحضور كلما دعت الحاجة إليهم ليلاً ونهاراً. ور تب عدداً من العتالين كي يبيتوا على باب كل (معونة) (مركز الشرطة) مع عشرة من الفعلة ومعهم الطوارق والقرب مملوءة بالماء على أن تتكفل الحكومة بنفقاتهم.وفي رعاية هذه الدولة وثبت العمارة الاسلامية وثبة قوية حتى قاربت الكمال.

وهذه الدولة وإن كان الزمن قد اعتدى على منشآتها المدنية، إلا أنه أبقى على كثير من منشآتها الحربية والدينية فتزدان القاهرة مروة ممتازة من الأسوار والأبواب، والمساجد، والمشاهد الفاطمية تشعر بما كان العمارة والفنون من ازدهار في هذا العصر، وأولها الجامع الأزهر.

الجامع الأزهر

كانت باكورة أعمال القائد جوهر الصقلي بعد فتح مصر، تخطيط القاهرة ووضع أساس أسوارها وإنشاء القصر الكبير وإعداده لنزول المعز لدين الله الخليفة الفاطمي، ولما قدم المعز لدين الله نزل فيه في ٧ رمضان سنة ٣٦٢هـ ٩٧٣م، فصارت مصر دار خلافة، بعد أن كانت دار إمارة.

وفي أثناء بناء القصر، شرع جوهر أيضاً في بناء الجامع الأزهر، ليصلي فيه الخليفة، وليكون مسجداً جامعاً للقاهرة أسوة بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط، والجامع الطولوني بالقطائع.

وكان البدء في إنشائه يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ ٩٧٠م وانتهى العمل وأقيمت أول جمعة به في ١٧ رمضان سنة ٣٦١هـ ٩٧٢م، وعرف بجامع القاهرة وبالجامع الأزهر تيمناً –حسب عادة الفاطميين– به من إطلاق الأسماء التيمنية على منشآتهم ومساجدهم، الأزهر والأقمر، والأفخر، والأنور. وعلى أبواب القاهرة، العز، والاقبال، والتوفيق.

كما أن لفظة الأزهر تؤدي عدة معان منها: يوم الجمعة، والقمر، والمشرق الوجه. وكان تصميم الجامع وقت انشائه دون مساحته الحالية فقد كان مكوناً من ثلاثة إيونات حول الصحن. الشرقي منها مكون من خمسة أروقة وبكل من الجانبين القبلي والبحري ثلاثة أروقة المشرف منها على الصحن قائم على أكتاف مبنية، وهي المركب عليها الحجاب الخشبي.

أما الحد الغربي فلا إيوان به، وكان يتوسطه الباب الرئيسي للجامع.وقد فتحت بأعلى الجدران شبابيك جصية مفرغة بأشكال هندسية أحيطت بإطار مكتوب فيه بالخط الكوفي آيات من القرآن.. وما زالت بقايا هذه الشبابيك موجودة.

ويشطر الإيوان الشرقي مجاز يتجه مباشرة الى المحراب، ارتفعت عقوده، كما ارتفع سقفه عن مستوى ارتفاعات الإيوان، وقد حليت حافات عقوده بكتابة آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفي. كما حليت وجهات عقوده بزخارف نباتية مورقة.

وعقود هذا المجاز هي الباقية بهذا الإيوان ومن عقود الجامع القديمة بينما تغيرت باقي العقود غير مرة.

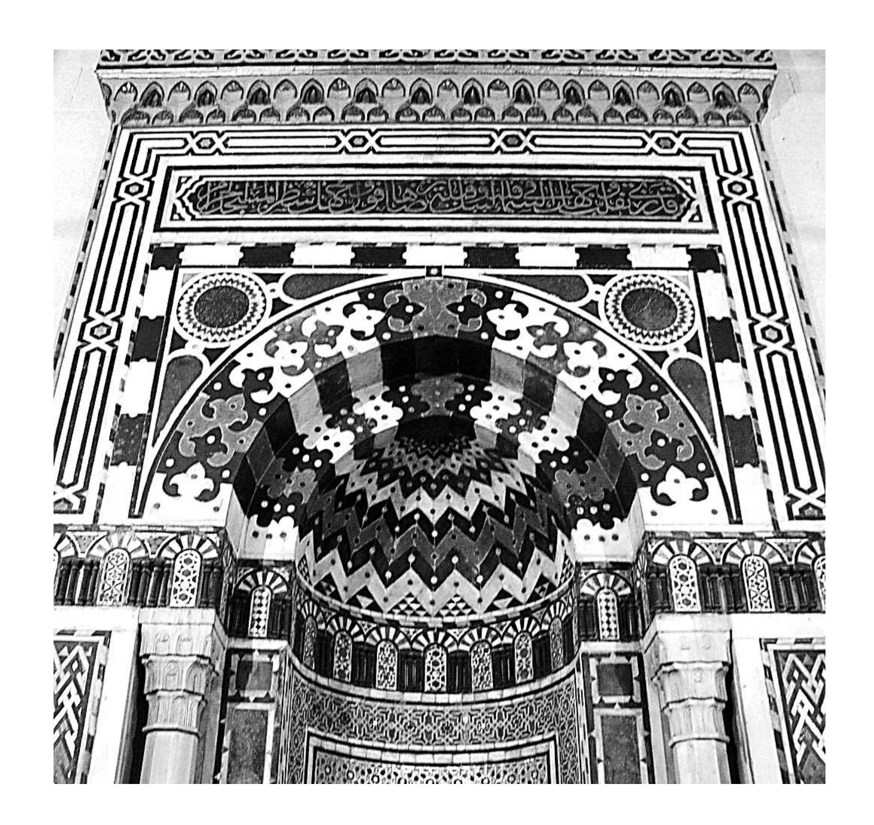
وينتهي هذا المجاز إلى المحراب القديم الذي تعلوه قبة مملوكة ترجع إلى القرن العاشر الهجري "السادس عشر الميلادي" حلت محل قبة فاطمية، كما كان ينتهي طرفاً هذا الإيوان بقبتين.

هذا وصف جامع المعز لدين الله الذي أنشأه جوهر، وعمل له ثلاثة أبواب في جدرانه القبلية والبحرية والغربية.

وكان الجامع محل رعاية الخلفاء الفاطميين فتناولوه بالزخرف والزيادة، ومنهم العزيز بالله حيث جدد فيه أعمالاً زخرفية تكميلية ما زالت موجودة.



مشهد خارجي للمآذن بالقاهرة



محراب القبلة – الجامع الازهر

وكذلك جدده الحاكم بأمر الله حوالي سنة ٤٠٠هـ ١٠٠٩م ووقف عليه وعلى جامع المقسى والحاكم الحاكمي ودار العلم أعياناً دونها في وقفية دونها في وقفية، خص الأزهر بحصة منها وخصص له تنورين وسبعة عشر قنديلاً.وقد بقي من عمارة الحاكم، زخارف جصية وباب ذو مصراعين بهما حشوات خشبية منقوشة وعليهما اسمه.

وممن عني بإصلاحه أيضاً، الخليفة الفاطمي المستنصر بالله. وفي سنة ٥١٩هـ ١١٢٥م أمر الخليفة الآمر بأحكام الله بأن يعمل للجامع محراب متنقل من الخشب، فعمل، وهو محراب مزخرف بالنقوش بطرفيه عمودان رشيقان، ويعلوه لوح مكتوب فيه بالخط الكوفي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [سورة البقرة: الآية (٢٣٨)].

{إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} [سورة النساء: الآية (١٠٣)].

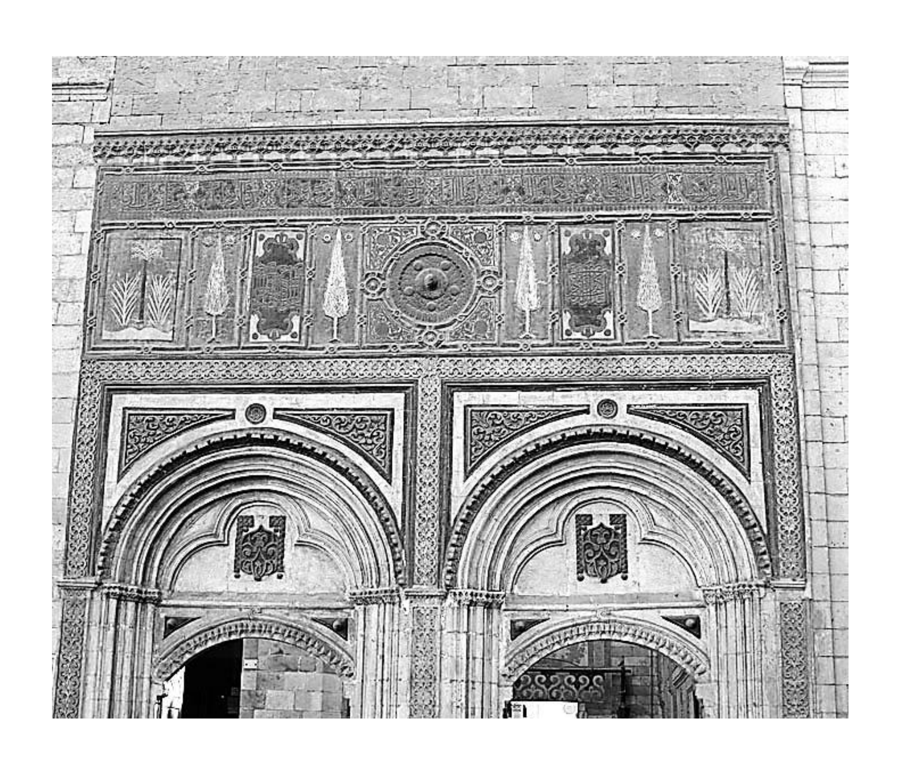
مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة مولانا وسيدنا المنصور أبو علي الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين.. ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين في شهور سنة تسع عشرة وخمس مائة والحمد لله وحده.



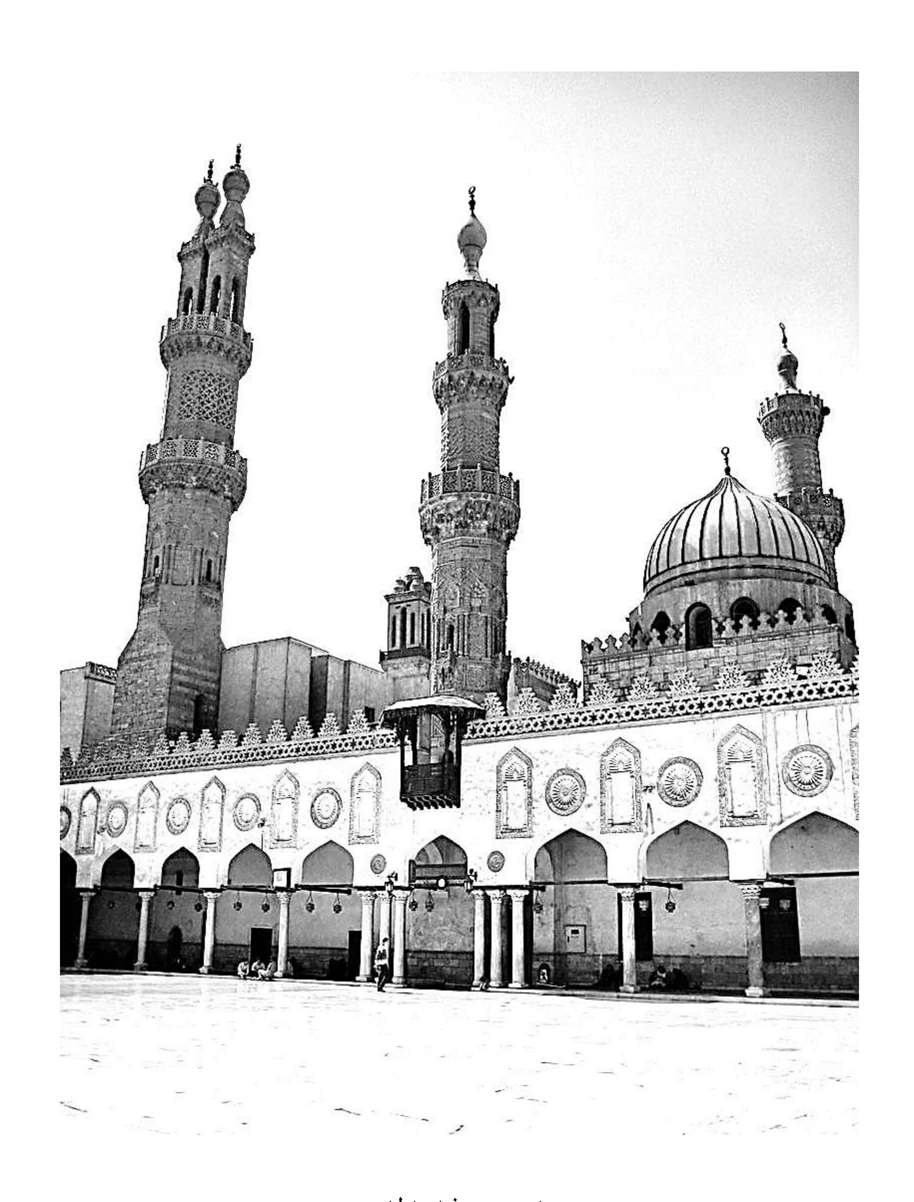
المنبر والمحراب



البوابة الرباعية للأزهر



البوابة الفارسية



مشهد من فناء الجامع



نقوش وزخارف في السقف وتتدلى ثريا نادرة التصميم

بقي الجامع على حالته، حتى تراءى للخليفة الحافظ لدين الله، أن يزيد فيه في المدة بين سني ٥٢٤-٥٤٤هـ (١١٢٩-١١٤٩م) فلم يجد متسعاً سوى الصحن، فأضاف إليه رواقاً يحيط به من جوانبه الأربعة، وقبة على رأس المجاز حفلت جوانبها وقطبها بالزخارف والكتابات الكوفية، وتعتبر من أرقي نماذج الخط الكوفي في العصر الفاطمي.

والآن وقد انتهينا من الأعمال الفاطمية بالأزهر، يجدر بنا أن نلقي نظرة على ما بقي به من تفاصيل فاطمية، وهذه التفاصيل تنحصر في عهود المجاز والزخارف والكتابات حول الشبابيك والمضاهيات، وزخارف الكتابات مؤخر الإيوان الشرقي من الداخل، والمحراب الكبير بكتاباته ونقوشه.



جانب من الرواق

الأزهر في الدولة الأيوبية

لقد أفل نجم الأزهر في الدولة الأيوبية، إذ وجه ملك مصر صلاح الدين يوسف الأيوبي همته إلى محاربة الشيعة ومؤازرة المذاهب السنية فأبطلت الخطبة من الجامع الأزهر اكتفاء بإقامتها بالجامع الحاكمي وظلت معطلة فيه مائة عام إلى أن أعيدت إليه في أيام السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى.

دولتا المماليك البحرية والجراكسة

لقد عنى ملوك وأمراء هاتين الدولتين بالجامع الأزهر، وتباروا في اصلاحه والزيادة فيه. ففي يوم الجمعة ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥هـ ١٢٦٦م أقيمت فيه صلاة الجمعة وأذن الظاهر بيبرس بعمارته وعمل منبر له في سنة ٦٦٥هـ ١٢٦٦م، وقد ضاع ومن أثر تلك العمارة الزخارف الجصية الدقيقة فوق المحراب القديم وهي في طرزها متأثرة بالزخارف الأندلسية.

وأعقب هذه العمارة، تبرع الأمير بيليك الخازندار بعمل مقصورة كبيرة عين فيها بعض الفقهاء، لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعي، ومحدثاً للحديث النبوي،

ومن ذلك الوقت عاد الأزهر يشارك بقية مدارس مصر والقاهرة في أداء رسالته العلمية ، ثم توالت على الجامع عمارات من الأمير سلار نائب السلطة والملك الأشرف برسباى وغيره.

على أن أهم العمارات التي أجريت فيه في دولة المماليك الجراكسة تلك العمارة التي أجراها السلطان قايتباي سنة ٨٧٣هـ ١٤٦٨م وتخلف منها الباب الثاني لمدخل الأزهر والمنارة الرشيقة بجواره والحواجز الخشبية حول الصحن والتي عملت سنة ٩٠١هـ ١٤٩٥م وكذلك أمر السلطان الغوري بعمل منارة للمجامع سنة ٩١٥هـ ١٥١٠م تلك المنارة الضخمة ذات الرأس المزدوجة.

وفي ظل هاتين الدولتين أنشئت مدارس ملحقة بالأزهر وخارجة عنه هي:

المدرسة الطيبرسية – وهي المدرسة الموجودة على يمين الداخل من الباب الغربي الكبير.

أنشأها الأمير طيبرس الخازندارى نقيب الجيوش في دولة الناصر محمد بن قلاوون، وجعلها باسم الله تعالي زيادة في الجامع الأزهر وقرر بها دروساً للفقهاء الشافعية وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩هـ ١٣٠٩م، وكانت هذه المدرسية غنية بمختلف الفنون كما ينبئ محرابها النادر.

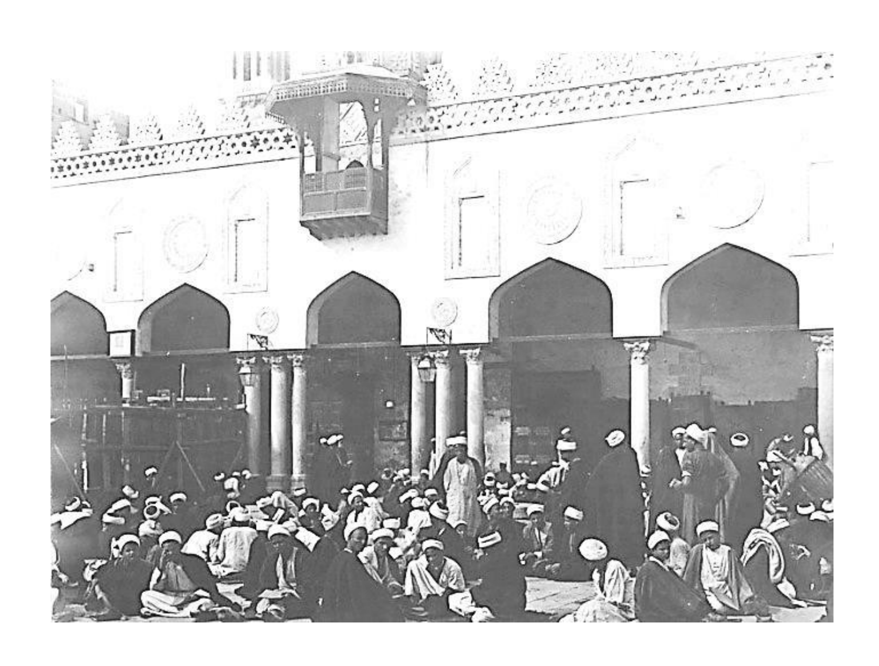
المدرسة الأقبغاوية – هذه المدرسة تجاه الطيبرسية على يسار الداخل إلى الجامع، أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد سنة ٧٤٠هـ ١٣٤٠م، وأن تفاصيلها الباقية الممثلة في مدخلها ومنارتها ومحاريبها تدل على ما كانت عليه من أهمية، وبها الآن مكتبة الجامع الأزهر.

المدرسة الجوهرية – هذه المدرسة في الطرف الشرقي البحري للإيوان الشرقي، أنشأها الأمير جوهر القنقبائي خازندار الملك الأشرف برسباي قبل سنة ٨٤٤هـ ١٤٤٠م.

الأزهر في العصر العثماني:

كان للأزهر نصيب كبير من عناية ولاة مصر وأعيانها في العصر العثماني. فقد أجريت به أعمال ترميمية كثيرة ورصدت على أوقاف خيرية. وكانت أكبر عمارة أجريت به تلك التي قام بها الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧هـ ١٧٥٣م فقد زاد في الجامع مساحة كبيرة بإضافة الأروقة خلف المحراب القديم. وقد جدد هذا الحيوان أكثر من مرة وبقي محرابه المكسو بالرخام الدقيق ومنبره.

و من أثر تلك العمارة الباب الغربي الكبير المعروف بباب المزينين وبإنشائه ضم المدرستين الطيبرسية والأقبغاوية إلى الأزهر، وباب الشوربة وباب الصعايدة والقبة التي دفن فيها لما توفي سنة ١١٩٠هـ ١٧٧٦م، هذا عدا أعمال التجديد التي أجريت سنة ١٣١٠هـ-١٣١٤م ومنها الرواق العباسي.



صورة تعود لعصر الدولة العثمانية

خرافة طلاسم الأزهر

لازمت الأزهر خرافة طريفة رددها المؤرخون وتناقلوها وهي: أنه يوجد بهذا الجامع طلسم فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به. وهو صور ثلاث طيور، كل صورة فيها منقوشة على رأس عمود، حدد موقعها، وأظرف من هذا وجود من يصدق ذلك حتى الآن رغم رؤية العصافير تتنقل في أرجائه.

وهذا القول وإن كان من قبيل الخرافة، إلا أني وقفت إلى حل هذا الطلسم إذ هو نسر أو عصفور ناشر جناحيه على بعض التيجان في الرواق الكبير، وحول الصحن، وقد أحصيتها فوجدت الثلاثة التي ذكرت، كما وجدت غيرها. وعدا ذلك عثرت على تيجان بها صلبان. ولا شك أن جميع ذلك استحضر مع العمد من مخلفات الكنائس والبيع المتخربة، والعصفور والنسر أو الحمامة من الرموز الدينية عند المسيحيين.



من الداخل

والجامع الأزهر ينبوع العلم والعرفان ، ومن أقدم الجامعات الاسلامية بل أقدم

جامعة واصلت رسالتها أكثر من ألف عام، فقد كان أول درس ألقى فيه في شهر صفر سنة ٣٦٥هـ ٩٧٥م إذ جلس علي بن النعمان القاضي وأملى مختصر أبيه في فقه الشيعة ويعرف هذا المختصر بالاختصار.

وفي سنة ٣٧٨هـ ٩٨٨م طلب الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلسي من الخليفة العزيز بالله، أن يصل رزق جماعة من الفقهاء، فقرر لهم مرتبات، وأعد داراً لسكناهم بجانب الجامع، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وعقدوا حلقات دروسهم بعد الصلاة إلى صلاة العصر، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلاً، كما ألف ابن كلس كتاباً في فقه الطائفة الإسماعيلية كان يجلس لقراءته بنفسه. ولما بنى العزيز بالله مسجده المعروف بجامع الحاكم سنة ٣٨٠هـ ٩٩٠م أذن للفقهاء الموجودين بالأزهر أن يعقدوا حلقات دروسهم فيه.

ولما أعيدت إليه الخطبة في دولة الظاهر بيبرس البندقداري أعيدت إليه حلقات الدروس، وكانت الدروس تلقى فيه من الفجر إلى الغروب فهو خلية علم عامر ليل نهار بذكر الله ودراسة العلم، وهو مركز إشعاع على العالم الإسلامي. ومنذ انشائه، وهو أساس الوحدة الاسلامية عامة والعربية خاصة فهو جامع شمل الشعوب فقد أوي إليه الطلبة من مختلف أقطار العالم وجمع بين أبناء مصر من أقصاها إلى أدناها، وأبناء العراق والشام وتونس والجزائر وفاس ومكناس ومراكش والسودان والحبشة والملايو وسنغافورة وجنوب إفريقيا والهند وباكستان وإيران ويوجوسلافيا وروسيا والصين وأندونيسيا.

وطبع الكثير منهم بطابع مصر، لغة وثقافة وتقاليد، وكان للكثير منهم أروقة ملحقة بالأزهر حل محلها الآن مدينة البعوث الإسلامية.

وكان للأزهر أثره الثقافي فهو عماد نهضة مصر الثقافية في مختلف العلوم، ومنه تخرج الأديب والشاعر والقاضي والمترجم وكبار الموظفين. ومنه أرسلت البعثات الأولى لمصر وعاد منها القائد والطبيب والمهندس والمعلم والصحفي والسياسي. وهؤلاء هم الذين تزعموا الحركة العلمية ووضعوا دعائم النهوض بها ووصلوا بها الى مدارج الكمال.

الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة

لما أراد عبد الملك بن مروان بناء ميناء تونس، كتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان، وهو والي مصر، أن يوجه إلى معسكر تونس ألف قبطي من المتخصصين في صناعة السفن. كما كتب إلى ابن النعمان أن يبني لهم دار صناعة تكون قوة للمسلمين بمساعدة مسلمي البلاد(١).

ولا شك في أن هذا العدد من الفنيين المصريين ساهم في بناء دار الصناعة. كما ساهم في بناء الأسطول وإعداده. وأيضاً فإن رأس دولة الأغالبة ومؤسسها، إبراهيم بن الأغلب التميمي نشأ بمصر، وتلقى العلوم على الإمام الكبير الليث بن سعد، فقيه مصر، وأحد أعلامها، وكان مقرباً منه حتى إنه وهبه عند سفره إلى أفريقياً السيدة جلاجل أم ولده زيادة الله، وكانت من جواريه اللائي علمهن وثقفهن ، ومن شعره يحن إلى سكن خلفه بمصر(٢):

ما سرت ميلاً ولا جاوزت مرحلة ... إلا وذكـــرك يثـني دائماً عنقي

ولا ذكـــرتك إلا بـــت مرتقباً ... أرعى النجوم كأن الموت مغتبقى

وكانت مصر ترسل سنوياً إلى أفريقيا مبلغ مائة ألف دينار معونة لها. فلما عرضت إمارتها على إبراهيم بن الأغلب، اشترط ألا يرسل إليه المائة ألف دينار التي كانت ترسلها مصر، على أن يحمل هو إلى الرشيد أربعين ألف دينار كل عام.

ولما ولى إبراهيم بن أحمد بن مُحَمَّد بن الأغلب أفريقيا سنة ٢٦١هـ – ٨٧٤م حسنت سيرته، وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر. فقد كانت توقد النار في أبراج من مدينة سبته إلى الإسكندرية إنذاراً بالعدو، فيصل إيقادها إلى الإسكندرية في

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ٣٨.

(٢) البيان المغرب في أخبار المغرب جـ ١ ص ١١٦ – ١٧٧.

ليلة واحدة[1].

هذا عدا التبادل الثقافي، ورحلة علمائها إلى الإسكندرية والقاهرة طلباً للعلم، وأداء لفريضة الحج، وما دونوه في معاجمهم ورحلاتهم النافعة من وصف للبلدان وللآثار، وأخبار من قابلوهم من العلماء، فأفادوا واستفادوا. هذا عدا من توطن منهم القاهرة وتمصر، ويكفي أن يكون في مقدمتهم العلامة ابن خلدون الفقيه والمؤرخ الكبير.

ومن الدول المتعاقبة على حكم القطر التونسي، الدولة الفاطمية، وأولهم عبد الله بن المهدي، فإنه استحوذ على مخلفات بني الأغلب في ربيع سنة ٢٩٧هـ – ٩٠٩م، وتسلم زمام الدولة، وأنشأ مدينة المهدية سنة ٣٠٣ – ٣٠٨هـ ٩١٥ – ٩٢٠م واتخذها مقراً للحكم.

ومن خلفائه أبو الطاهر، إسماعيل المنصور بالله، وهو الذي أنشأ مدينة المنصورية بالقرب من القيروان تذكاراً لانتصاراته سنة ٣٣٧هـ – ٩٤٨م، وتعرف بصبره[2]. وظلت مقراً للولاة حتى تخربت. وفي المدة التي حكمت فيها تلك الدولة أفريقية أنشأت مدينة المهدية وميناءها ومسجد المهدية.

أما المعز لدين الله فإنه بعد أن ولي الخلافة أرسل في سنة ٣٥٨هـ ٩٦٨م القائد جوهر الصقلي للاستيلاء على مصر، فدخلها بدون مقاومة. وكانت غنماً يسيراً للدولة الفاطمية، ولكنها كانت أسطع جوهرة في تلك الإمبراطورية الشاسعة التي سيطرت عليها. وقد توطئها الكثير من الغزاة الفاتحين، وعرفت بعض أخطاط القاهرة بهم مثل حارة زويلة، وحارة كتامة.

وفي سنة ٣٦١هـ – ٩٧١م غادرها المعز لدين الله ومعه ثروته وتوابيت آبائه فدخل القاهرة سنة ٣٦٢هـ – ٩٧٢م واستخلف على أفريقية الأمير بلكين بن زيري

---

(١) الأعلام جـ ١ ص ٢٢.

(٢) المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ص ٥٩.

الصنهاجي مؤسس الدولة الصنهاجية.

ظلت أفريقية خاضعة لحكم الفاطميين يصدر منها تقليد الخليفة الفاطمي للأمراء الصنهاجية، ويتبادلون المودة والهدايا، إلى أن تنكر لهم المعز بن باديس سنة ٤٤٠هـ ١٠٤٨م. وهنا نرى أن الدولة الفاطمية لم تحكم أفريقية حكماً مباشراً سوى ٦٤ عاماً. وكان المفروض أن يحمل المعز معه إلى القاهرة أساليب العمارة التونسية سواء كانت فاطمية أو قبل العصر الفاطمي، غير أن الباحث لتاريخ العمارة الفاطمية القاهرية، يجد أن التأثيرات التونسية التي وقعت عليها جزئية. منها ما هو في المسميات. ومنها ما هو في العمارة، فقد سميت القاهرة أول ما أنشئت بالمنصورية أسوة بالمنصورية القريبة من القيروان إلى أن سماها المعز لدين الله بالقاهرة، وسميت أبواب القاهرة بالأسماء التيمنية التي أطلقت على أبواب المنصورية – باب النصر، باب الفتوح، بعد أن كانت أسماؤها العز والإقبال. كما سمي الباب الجنوبي بباب زويلة نسبة إلى القبيلة التي حضر أفرادها مع جوهر وبتسمية صنوه بالمهدية.

وكما أطلق على غدير كبير كان بتونس "غدير الفحامين" فقد أطلق هذا الاسم على السوق التي يقطن فيها إلى الآن بالقاهرة تجار المغاربة الذين يتاجرون في سلع المغرب.

وتبادلوا مع القاهرة الكثير من مسميات المناطق والقصور بتونس. فأطلقوا اسم رأس الطابية، على المنطقة الموجود بها قبر بدر الجمالي، خارج باب النصر، وهي التي كانت تؤدي إلى بساتين الخلفاء الفاطميين ومناظرهم أسوة برأس الطابية بتونس التي كانت تؤدي إلى بساتين أبي فهد والقصور بضواحي تونس. كما أطلقوا على أحد قصورهم بجزيرة الروضة، اسم المختار أسوة بقصر المختار بتونس.

وهناك اقتباسات وتأثيرات معمارية، وقعت على العمارة في الإسكندرية والقاهرة، ومنها إيداع المنبر في حجرة خاصة به بجوار المحراب، يجري على عجل ولا يخرج إلا عند خطبة الجمعة أو العيدين، مثل ما هو موجود في جوامع الزيتونة وصفاقس، والمنستير وغيرهم. فقد كان كذلك منبر الجامع الأزهر عند إنشائه، وبعض

منابر مساجد الإسكندرية، على ما رواه الزركشي في كتابه "اعلان الساجد بأحكام المساجد".

وكما أن حشوات منبر جامع الزيتونة مربعة، فإن الكثير من حشوات المنابر الفاطمية كانت مربعة، مثل منبر الجامع الأقمر سنة ٥١٩هـ – ١١٢٥م، ومنبر مسجد دير طور سينا سنة ٥٠٠هـ – ١١٠٦م. وبقايا منبر الحسن بن صالح بالبهنسا القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي.

وفي تخطيط المساجد، تأثر الجامع الأزهر بتخطيط مسجدي القيروان والزيتونة إلى حد كبير، وخاصة المجاز القاطع على المحراب، والقبة فوق المحراب، والقبة على رأس المجاز، والرواق المضاف حول الصحن الذي أمر به الحافظ لدين الله، كما حدث ذلك أيضاً في مسجد سوسه.

ونأسف لفقد القباب الفاطمية التي كانت فوق المحراب وعلى طرفي الرواق الشرقي بالأزهر ولعلها كانت متأثرة بالقبة التونسية، وهذا ما أرجحه. كما نأسف لفقد منارته وقد كانت قائمة فوق مدخله الغربي ولعلها كذلك كانت متأثرة بمنارات تونس.

أما جامع الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٠ – ٤٠٣هـ / ٩٩٠ – ١٠١٢م فقد شق إيوانه الشرقي مجاز مرتفع مثل مجاز الزيتونة. واقتبس من جامع المهدية الباب البارز عن سمت الواجهة وتأثرت قبته بالقبة التونسية، فقد قامت القبة فوق المحراب على قاعدة مربعة فتحت في واجهتها الغربية شبابيك مثل قبة البهو بجامع الزيتونة، كما وأن مقرنصها من طاقة واحدة. وكذلك اقتبس من مسجد الزيتونة أنه أقام على طرفيه في الواجهة الغربية منارتين كبيرتين أسوة بالبرجين على طرفي الواجهة البحرية لمسجدي الزيتونة وسوسة، وفي مسجد سوسة، حول أحدهما لمنارة، ووقعت على زخارف منارة الحاكم ومدخله تأثيرات من الزخارف الموجودة في رواق البهو بجامع الزيتونة والموجودة في باب الميضأة بجامع القيروان. وكذلك اقتبس مسجد الحاكم كتابة الإزار الكوفي تحت السقف، من مسجد القيروان، غير أنه في جامع الحاكم من الجص

وفي القيروان من الخشب.

ونرى في طي عقد باب الفتوح سنة ٤٨٠هـ – ١٠٨٧م، زخارف مدقوقة في الحجر مقتبسة من مثيلتها في مربع قاعدة قبة جامع سوسة.

وهناك تفاصيل زخرفية في الحجر تبودلت بين تونس والقاهرة.

وقد تأثر تصميم مشهد السيدة رقية سنة ٥٢٧هـ بتصميم مسجد أبي فتاتة بسوسة سنة ٢٢٢هـ – ٢٢٦١هـ / ٨٣٨ – ٨٤١م وذلك بإقامة رواق خارجي أمام قبة المشهد كما تأثر به مسجد الصالح طلائع بن رزيك. فقد أقيم أمام واجهته الغربية رواق خارجي. وإذا كان برجاً (منارتا) رباط سوسة ٢٠٦هـ – ٨٢١م ومسجدها الجامع ٢٣٦هـ – ٨٥٠م أسطونيتين، وانتهيا بقبة، فقد وقع هذا التأثير إلى حد ما على منارة حنضل أسيو بشلال أسوان (القرن الرابع الهجري – العاشر عشر الميلادي). وإلى حد ما على منارة بدر الجمالي باسنا سنة ٤٧٠هـ – ١٠٧٧م. وعلى منارة مسجد بمجوره بالصعيد المعاصرة لها.

وعلى ذكر رباط سوسة، أذكر أنه كان للدعائم أو الأبراج القائمة على جوانبه وينتهي بعضها بقبة أثر في مشهد بدر الجمالي (الجيوشي) سنة ٤٨٧هـ – ١٠٩٤م وذلك بإقامة دعائم على جانبيه القبلي والبحري وانتهت بقباب فاطمية صغيرة.

وعلى ذكر الربط المنتشرة في القطر التونسي، أذكر أن سيدات الأسرة الفاطمية بالقاهرة أنشأن الكثير من الربط في القرافة الكبرى بمصر، مثل رباط الحجازية. وقد أمرت بإنشائه السيدة فوز جارية علي بن أحمد الجرجرائي. وذلك في سنة ٤١٥هـ – ١٠٢٤م، وأوقفته على واعظة زمانها السيدة الحجازية. ورباط النارنج، وقد أمرت ببنائه الجهة الآمرية المعروفة بجهة الدار الجديدة سنة ٥٢٢هـ – ١١٢٨م – ورباط الأندلس، وقد أمرت بإنشائه السيدة علم الآمرية، وتسمى ست القصور، سنة ٥٢٦هـ – ١١٣١م. وخصصته للعجائز والأرامل. ولا شك أنها كانت متأثرة بطرز الربط التونسية.

القبة التونسية

كان للبحث القيم الذي ألقاه الأستاذ سليمان مصطفى زبيس في مؤتمر الآثار الثاني في بغداد عن القبة التونسية، والذي أخرجه مستوفي في رسالة خاصة، فضل في إعطائي الفرصة لفحصها ومقارنتها بالقبة الفاطمية القاهرية ، وفيه تناول دراستها قبيل العصر الفاطمي وفيه وبعده. وقد اخترت من بين تلك القباب نماذج القباب السابقة للعصر الفاطمي والتي تأثرت بها القباب الفاطمية المنشأة بعدها في القطر التونسي، مثل قبة المحراب بجامع القيروان سنة ٢٢١هـ – ٨٣٥م – قبة المحراب بجامع سوسة ٢٣٧هـ – ٨٥١م – ثم قبة البهو بجامع الزيتونة ٣٨١هـ – ٩٩١م وقد لاحظت أن تلك القباب سار المعمار التونسي على نهجها دون تغيير يذكر لا في مظهرها الخارجي أو الداخلي منذ أقدم العصور إلى العصر الحديث مع تفاوت جزئي.

أما قبة المحراب بجامع القيروان، فقد قامت على قاعدة مربعة بواجهتها خمس فتحات معقودة، وقامت القبة على رقبة مثمنة منحورة الأضلاع وتضليعها من الخارج مجوف من الداخل. ومقرنصها من حطة واحدة محاربة (مروحة).

ونحر الأضلاع المثمنة بالرقبة رأيته في القباب الفاطمية بأسوان، أما في القاهرة فلم أجده إلا في قبة أبي تراب التي اكتشفها بالعباسية، أوائل القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي وهي قائمة على عقود مفتوحة ومقرنصها من طاقة واحدة وليست مضلعة.

وقبة المحراب بجامع سوسة، قامت على قاعدة مربعة فوقها رقبة مخططها نجمة ذات ثمانية أضلاع، وهي غير مضلعة، ومقرنصها من حطة واحدة محارية بأسفله طراز كوفي، يحيط بقاعدة القبة – هذا النوع من القباب إلى حد كبير انتقل إلى قباب جبانة أسوان الفاطمية، نراه في قباب قاضي الشريعة، وإبراهيم الدسوقي، وقباب جبانة العناني بأسوان أيضاً وهي قباب ترجع إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

وأيضاً فإن مقرنص القباب الفاطمية في مصر ظل من طاقة واحدة مثل القبة التونسية، ولم ينتقل إلى حطتين إلا في نهاية القرن الخامس الهجري، بينما في تونس استمر على طاقة واحدة في مختلف العصور إلى العصر الحديث، على أن مقرنص القبة الفاطمية بتونس الذي على شكل محارة (مروحة)، وجدته في القاهرة في نموذج واحد في صفة مدخل باب زويلة.

أما قبة المحراب بجامع الزيتونة فإنها قائمة على قاعدة حجرية فوقها رقبة بها ١٢ شباك، وهي مضلعة من الخارج مجوفة التضليع من الداخل، وامتاز مقرنصها المحاري بنقوش مورقة في حافته وحافة نصف العقد فوقه، كما امتاز بوجود عمد صغيرة تكتنف المقرنصات، وهذا النوع من القباب وجد في قباب جبانة أسوان شبيه له في قبتي السيدة فاطمة الزهراء، والسيدة رقية، وهما من أقدم القباب الفاطمية في جبانة أسوان ولا نظير لهما بين القباب الفاطمية بالقاهرة.

وقبة السيدة رقية بجبانة أسوان على جانب عظيم من الأهمية، وامتازت بأن رقبتها مثمنة مشطوفة الزوايا مضلعة من الخارج، مجوفة الأضلاع من الداخل مقرنصها من طاقة واحدة، وعلى ظهر طاقات المقرنص وفيما بينها عمد صغيرة تحمل أضلاع القبة ويحيط برقبتها شبابيك على شكل زخرفي.

ومثلها قبة السيدة فاطمة الزهراء بأسوان مع تفاوت جزئي.

قبة البهو بجامع الزيتونة ٣٨١هـ - ٩٩١م — هذه القبة لا تختلف كثيراً عن زميلتها فوق المحراب من حيث القاعدة المربعة والشبابيك الثلاث المفتوحة فيها، ثم الرقبة المثمنة فالقبة المضلعة كما تتفق تفاصيلها من الداخل مع زميلتها.

وسواء أكانت هذه القبة للعزيز بالله، أو باديس بن المنصور، فهي تهمني من حيث تقارب الشبه بين قبة جامع الحاكم بأمر الله وبينها، من حيث فتح الشبابيك بواجهة قاعدتها الغربية، والمقرنص والإفريز المكتوب تحته ولعلها كانت مضلعة مثلها لأن غطاءها الحالي حديث.

ونستطيع القول أن القبة التونسية وخاصة في مسجدي القيروان وتونس سبقت زميلتها في القاهرة في الرقي المعماري والزخرفي.

هذه هي التأثيرات الجزئية، التي وعيتها من زيارتي العابرة لآثار تونس سنة ١٩٣٧ والتي حاصرتها في حيز المدة التي حكمتها الدولة الفاطمية حكماً مباشراً في تونس، هذا عدا التأثيرات المتبادلة في كثير من قواعد الخط الكوفي بالمساجد وعلى شواهد القبور وفي المصاحف بزخرفتها.

وحينما نستعرض آثار القاهرة الفاطمية الباقية، يظهر بوضوح أنها تخلصت من المؤثرات التي وقعت عليها في مستهل حكمها، وأصبح لها طابع قاهري بحت في جميع تفاصيليها: في الواجهات، والقباب، والمنارات، والمحاريب، والمنابر، وفي الجص، والنجارة، وسائر الفنون. فقد حكمت تلك الدولة في مصر من سنة ٣٥٨هـ – ٩٦٩م إلى سنة ٥٦٧هـ – ١١٧١م، وفي أيام هذه الدولة، أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء الأرض. وأخذ الفن الإسلامي المصري يتألف في جميع نواحيه.

وفي رعاية هذه الدولة وثبت العمارة الإسلامية وثبة قوية قاربت الكمال ، لأن خلفاءها تباروا في إنشاء المساجد، والحصون، والقصور، والمناظر كما تبارت نساؤهم في هذا المضمار الخيري العظيم بإنشاء الربط للسيدات المنقطعات ولعلها كانت في تصميمها متأثرة برباط المنستير ورباط سوسة ورباط أم ملال بالمنستير.

وفي هذا العصر الزاهي، انتشر الزخرف في وجهات المساجد، وعني بتصميمها، وانتعش التصوير، ونبغ المصورون. وترقت ودقت صناعة الجص والأخشاب. وبلغ الخط الكوفي ذروته في حسن التنسيق وجمال الزخرف.

وفي عهدها أنشئت مشاهد على القبور المنسوبة لأهل البيت، لها تصميم خاص، كما أنشئت القباب على بعض القبور أحيط بعضها برحاب مسورة مثل قباب أسوان، والقباب الست بالقرافة الكبرى، وحليت محاريبها بنقوش وكتابات كوفية

جميلة – كما امتازت دون غيرها باستعمال المحاريب الخشبية المتنقلة، وبالتنوع العجيب في المحاريب الجصية وتنوعها وتنوع كتاباتها وزخارفها، وبالتنوع المبالغ حد الروعة في نجارة المنابر والأبواب والتوابيت والمقاصير. وانتشر البناء بالحجر بجانب الآجر وتهذبت المنارة وارتقت القبة وتطورت.

وكانت أيامهم كلها أعياداً بما، ابتكروه من حفلات جمعت بين جلال الخلافة وطرب الشعب وبهجته، فانتعشت الفنون. وهذه الدولة، وإن كان الزمن قد اعتدى على أكثر منشآتها كما أباد التعنت الديني والسياسي منشآتها المدنية من مناظر وقصور، فإنه أبقى على الكثير من منشآتها الدينية والحربية، ما بين مساجد، ومشاهد، وقباب، وأسوار وأبواب، كما أبقى التاريخ على وصف حضارتها الممثلة في وصف قصورها وما كانت تحويه خزائنها من فرش وأسلحة وجواهر، أطنب في وصفها المقريزي مؤرخ مصر إلى حد لا يصدقه القارئ. ولكن مشاهدة الرحالة لتلك القصور ووصفها، ومشاهدة ما تخلف منها في متاحفنا ومتاحف العالم من خزف ذي بريق معدني وزجاج وحلي، وجواهر ونسيج وأخشاب نقشت عليها حفلات طربهم وصيدهم، وأخبار مصوريهم ومبارياتهم. وما كان في قصورهم من طوائف الصناع والصانعات. وما تخلف عنهم من أقمشة منسوجة عملت في دور طرازهم، وما اشتهر به عصرهم من دقة النسيج، وجمال الحلي، ورقة الأواني الخزفية والبلورية، وما أحيطت به حفلاتهم من مظاهر العظمة من فرش حريرية، وبسط مصورة، وأرائك مطعمة بالذهب، كل ذلك يجعلنا نشهد لتلك الدولة بتركيز الفنون والحضارة العريضة في وادي النيل.ولا يتسع المجال للاسترسال في حضارة تلك الدولة، واستعراض فنونها وطرائفها المبعثرة في متاحفنا ومتاحف العالم، ولذلك سأقتصر على عرض تفاصيل عمائرها القاهرية بما يجلو مميزاتها الفنية التي تؤكد انفرادها بطرز خاص عن سائر الأقطار.

وحينما نستعرض الآثار الفاطمية الباقية نذكر أهمها حسب تسلسلها التاريخي مع شرح ما حواه كل أثر منها، من مميزات معمارية.

الجامع الأزهر(٣٦١هـ - ٩٧٢م)

أول جامع أنشئ بمدينة القاهرة، أنشأه القائد جوهر الصقلي، بأمر سيده المعز لدين الله. وبم يبق من التفاصيل الفاطمية فيه سوى المجاز بعقوده وزخارفه، وعقد المحراب بزخارفه وكتاباته، وبقايا زخارف الجدران، الشرقية والبحرية والقبلية بالإيوان الشرقي، وزخارف مؤخر الإيوان الشرقي وقبة البهو، ونقل منه إلى متحف الفن الإسلامي، باب خشبي من مصراعين باسم الحاكم بأمر الله، ومحراب خشبي متنقل، باسم الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩هـ ١١٢٥م.

هذه التفاصيل تميزه على غيره. فالكتابات الكوفية منها ما هو مبسط ومنها ما ظهرت به بواكير الزخارف. وامتازت عقود المجاز بالكتابات الكوفية في حافاتها، وبالزخارف المورقة المنقوشة في خواصر عقودها. ونرى التنوع في هذه الكتابات فهي في عقدي المحراب، تغاير بعضها، وتغاير ما هو منها في حافة العقود بالمجاز، وما كان منها في حافة عقود الشبابيك والمضاهيات بالجدران.

وكما رأينا التنوع في أسلوب الكتابة الكوفية، رأيناه كذلك يبلغ الذروة في قبة البهو، تلك القبة الحافل باطنها بالكتابات والزخرف.

ومع أن قبة البهو مبنية هي والعقود حول الصحن في المدة من سنة ٥٢٤ – ٥٤٤هـ، فإنها لم تساير تطور القبة الفاطمية في تلك الحقبة، وظلت على بساطتها الخارجية دون تضليع وعلى بقاء مقرنصها من حطة واحدة مستطيلة، ولكن حفل باطنها بالزخرف وكتابة آيات من سورة يس، وآية الكرسي. وكما تنوعت الكتابات الكوفية فقد تنوعت الزخارف الجصية المتوالية على الجامع. حقبات العصر الفاطمي فبينما هي مختلفة ومتفقة في مضاهيات الشبابيك نراها مختلفة في المحراب ونراها مختلفة في مؤخر الإيوان الشرقي، وفي قبة البهو، تلك الثروة الفنية المخلفة في هذا الجامع نعتبرها أساساً وثبتاً لتطور الزخارف والكتابات الكوفية في العصر الفاطمي، ونراها أيضاً ممثلة في المحراب الخشبي المتنقل الذي أمر به الآمر بأحكام الله، وفي مصراعي

الباب الذي أمر بعملهما الحاكم بأمر الله، ونلحظ في زخارفهما بعض التأثيرات التونسية.

والمحاريب الخشبية من مميزات العصر الفاطمي القاهري، ولعل أقدمها المحراب الذي عمل بجامع عمرو بن العاص سنة ٤٤٢هـ ١٠٥٥م، وقد فقد.

جامع الحاكم بأمر الله

هو ثاني جامع أنشئ في الدولة الفاطمية أنشأه الخليفة العزيز بالله ابن المعز لدين الله سنة ٣٨٠هـ ٩٩٠م، وقبل أن يتم بناؤه افتتحه بصلاة الجمعة يوم ٢ رمضان سنة ٣٨٠هـ ٩٩١م، ثم أتمه ابنه الحاكم، فغلب عليه اسمه.

وبعد وفاة العزيز بالله قام الحاكم بأمر الله بإتمام الجامع، فأتم المنارة البحرية وكتب اسمه عليها، وأنشأ المنارة القبلية. ولظهور ميل خشى معه سقوطهما، بنى القاعدتين الهرميتين حولهما لتدعيمهما، ثم افتتحه للصلاة في سنة ٤٠٣هـ ١٠١٢م.

هذا الجامع رغم تخربه احتفظ بأهم تفاصيله المعمارية، كما احتفظ بأهم مجموعة من الزخارف في الحجر، في المنارتين، وفي المدخل الغربي، وبتنوع عجيب في كتاباته الكوفية في إزار القبة، وحول شبابيك الإيوان الشرقي، وحول زخارف المدخل، وفي بدني، المنارتين، وحول القاعدة القبلية، وفي الطراز أسفل السقف. هذا التنوع في أساليب الكتابة وفي الزخارف، يؤكد ازدهار الزخرفة والخط الكوفي منذ نشأة الدولة الفاطمية، وقد جمع بين الخط الدقيق، والخط الكبير منقوشاً في الجص والحجر والرخام، والخشب والنسيج.

وامتاز بمنارتيه المبنيتين بالحجر، إحداهما القبلية مربعة القاعدة، والثانية البحرية مستديرة، وقد شحنتا بالزخارف والكتابات، ونأسف لفقد قمتهما كما لا نستطيع التكهن بما كانتا عليه، ومن رسمي قطاعيهما نقف على أهميتهما المعمارية وثروتهما الزخرفية والكتابية، أما قمتهما الحاليتين فهما من تجديد الأمير بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٣هـ ١٣٠٣م عقب الزلزال الذي حدث سنة ٧٠٢هـ ١٣٠٢م.

وكذلك امتاز بمدخله الغربي البارز عن سمت الواجهة والمشتمل على مجموعة قيمة من الزخارف الحجرية في جانبيه.

هذا ولا ننسى جمال شبابيكه الفاطمية ممثلة فيما بقي منها في جدار المحراب فقد كتب في إطار أحدهما قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}وملئ فراغه بشكل زخرفي "الملك لله" طرداً وعكساً.

مشهد الجيوشي

هذا المشهد بأعلى المقطم. أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي سنة ٤٧٨هـ ١٠٨٥م وهو رغم صغره اشتمل على مميزات معمارية طريفة، هذا فضلاً عن غرابة مسقطه الأفقي. ومن أبرز تلك المميزات تلك الدعائم القائمة في الوجهتين الجنوبية والشمالية بقبابها الصغيرة، وامتاز أيضاً بأن منارته كاملة، إذ تسبقها منارته التي أنشأها باسنا سنة ٤٧٠هـ ١٠٧٧م، وقد وقعت على منارة الجيوشي تأثيرات جزئية من منارة مسجد عقبة بالقيروان. كما يبدو في الصور المقارنة. ويلفت النظر في هذا المشهد عدا تخطيطه، أن وجه إيوانه الشرقي مكون من عقد كبير محمول على عمد مزدوجة يكتنفه عقدان صغيران.

ولهذا المشهد محراب حلي بكتابات كوفية انفردت بطرزها، كما امتازت الكتابات الكوفية بمربع القبة أسفل المقرنص بزخرفة الحروف. ويعلو المحراب قبة يكتنفها إيوانان، وهذه القبة مقرنصها من طاقة واحدة وكتب بقطبها "بسم الله الرحمن الرحيم" {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ أَن تَزُولا ولَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ}يتوسطها كتابة أخرى بشكل زخرفي "مُحَمَّد. علي" مكررة ومتقاطعة ويحيط الصحن شرفة فاطمية.

قبة بدر الجمالي

هذه القبة خارج باب النصر. وهي خالية من النصوص التاريخية، إلا أن التاريخ يذكر أن بدر الجمالي دفن خارج باب النصر، وتفاصيلها المعمارية تضعها في عصر

بدر الجمالي حوالي سنة ٤٨٧هـ – ١٠٩٤م، وفي هذه القبة نرى تطوراً للقبة الفاطمية، فقد كانت جوانبها مفتوحة عدا جدار المحراب وفتحت في أضلاع المثمن الحامل للقبة شبابيك بشكل زخرفي، وللمرة الأولى ينتقل المقرنص من حطة واحدة إلى حطتين تعددت طاقاتهما. وقد سادت المحراب البساطة، فقد أحيط عقده الفارسي الذي يظهر لأول مرة بكتابة كوفية نصها: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ.. الآية}.

مشهد إخوة يوسف

هذا المشهد يرجع إلى أبنية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري آخر الحادي عشر الميلادي. وينسب إلى إخوة يوسف عليه السلام اليسع وبنيامين، وله تصميم خاصة يعطينا فكرة عما كانت عليه المشاهد الفاطمية، وقد جمع تشكيلة من العقود المصلبة والمقببة والقباب الصغيرة المعقودة بالحجر. وينتهي إلى قبة رغم بساطة مظهرها فإنها تعطينا فكرة عن تطور القبة وجمال تكوينها. ومقرنصها من طاقة واحدة يسترعي النظر فيها عقود شبابيكيا الصغيرة بمثمن الرقبة.

وبصدر هذه القبة محراب كبير يكتنفه محرابان صغيران حليت كلها بزخارف جصية وكتابات كوفية يقرأ منها قوله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ ولَمْ يَخْشَ إلاَّ اللَّهَ– آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ} ويعتبر هذا المحراب من أرقى ما وصل إليه الزخرف في الكتابة الكوفية لهذا العصر.

وعلى ذكر هذا المحراب أذكر بالإعجاب محراب الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالي بالجامع الطولوني سنة ٤٨٧هـ ١٠٩٤م، فإنه من المحاريب غير المجوفة، وقد جمع بين جمال الخط الكوفي وزخرفته وبين دقة الزخارف الجصية وهو من أدق المحاريب وعليه اسم المستنصر بالله واسم الأفضل شاهنشاه.

وبالجامع الطولوني أيضاً محراب فاطمي آخر غير مجوف انفرد بزخارفه المورقة

المشرشرة.

قبتا عاتكة والجعفري

قبتان صغيرتان لصق بعضهما في فناء مشهد السيدة رقية أنشئتا في المدة من سنة ٥١٤ – ٥١٩هـ ١١٢٠ – ١١٢٥م، والمرجح أن قبة الجعفري أنشئت قبل قبة عاتكة بسنوات، وقد ضاع الكثير من معالمها قبل تجديدها وبقيت بها بقايا من زخارفها تطابق زخارف قبة عاتكة، وفي قبة عاتكة نلحظ تطوراً جديداً في رشاقة القبة وجمال تكوينها. وهي مع صغرها جمعت محاسن العمائر الفاطمية، وفي الوقت نفسه نعتبرها ثاني قبة انتقل مقرنصها من حطة واحدة إلى حطتين، ويحيط بمربع القبة أسفل المقرنص سطر مكتوب فيه بالخط الكوفي آية الكرسي، وحلي عقد المحراب وتواشيحه بكتابات كوفية وزخارف جميلة تعلوه شرفة متشابكة. وقد احتفظ سور هذا المشهد بشرفة فاطمية تعتبر الثالثة إذ الأولى اكتشفت بقاياها في الجامع الأزهر.

مشهد السيدة كلثوم :

بنت القاسم بن مُحَمَّد بن جعفر الصادق (٥١٦هـ ١١٢١م)

هذا المشهد جهة الإمام الليث وقد عني بإنشائه الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله، غير أنه لم يبق منه إلا محرابه الفريد بين المحاريب الفاطمية. وهذا المحراب مع صغره حوى دقائق لطيفة، فقد اتخذ عقده من محارة يجمع أضلاعها سرة، وحليت تواشيح أضلاع المحارة بزخارف مورقة. ويعلو عقد المحراب عقد آخر به خمس طاقات صغيرة تواشيحها مزخرفة يعلوه زخارف ذات خطوط متقاطعة ملئت بزخارف مورقة. أما تجويف المحراب فقد ملئ بزخارف متقاطعة ملأ فراغها "مُحَمَّد وعلي" بالخط الكوفي.

الجامع الأقمر (٥١٩هـ - ١١٢٥م)

أنشأه الخليفة الآمر بأحكام الله، وهو من أجمل منشآته بل ومن مفاخر العمارة الفاطمية، وواجهته الغربية وحيدة في طرزها، مبنية بالحجر، وهي أجمل واجهة حافلة بالنقوش والكتابات الكوفية من آيات قرآنية ونصوص تاريخية، كما اشتملت على

مقرنصات وعقود محاريةتتوسطها دوائر مكتوب بها بشكل زخرفي "مُحَمَّد وعلي"، وأجمل تلك الدوائر الدائرة الكبيرة فوق الباب وقد كتب بها بتركيب دقيق قوله تعالى {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}

كما يوجد بها حنايا وشبابيك صغيرة تكتنفها عمد صغيرة حلزونية يتوسطها قنديل وتفاصيل زخرفية أخرى دقيقة.والمسجد صغير الحجم، يؤدي إلى داخله باب بارز قليلاً عن الواجهة له صحن مكشوف يحيط به أربعة أيوانات، أكبرها إيوان المحراب المشتمل على ثلاثة أروقة بها عمد رخامية تحمل عقوداً فارسية مغطاة بقبوات صغيرة، أما الرواق أمام المحراب فهو أوسعها، ويبدو لي أنه كانت به مقصورة خشبية لأن أثر قوائمها باق في بدن العمد وقواعدها.وكانت العقود حول الصحن محاطة بكتابات كوفية بها آيات من القرآن، أما نجارته فقسم منها تسوده البساطة، مثل معبرة الباب العمومي، وباقيها دقيق الصنع يتمثل في حشوات الدواليب وتواشيح باب المنبر.

مشهد السيدة رقية

عرف هذا المشهد باسم السيدة رقية، ابنة أمير المؤمنين علي ﷺ، وهو من مشاهد الرؤيا، شيده الخليفة الحافظ لدين الله، وعهد بإنشائه إلى وزيره أبي تميم تراب الحافظي سنة ٥٢٧هـ ١١٣٢م. وأمرت بعمل التابوت والمحراب المتنقل، السيدة علم الآمرية سنة ٥٣٣هـ ١١٣٨م. وهذا المشهد على جانب عظيم من الأهمية لم يتخلف منه سوى القبة والإيوان الخارجي أمامها المتأثر في تخطيطه بالرواق الموجود أمام مسجد أبي فتاتة بسوسة، وباقي المشهد هدم حيث نجد طرفاً رباط يمتدان إلى الشمال مما يفيد وجود صحن له.

وبالإيوان الخارجي محرابان صغيران بهما زخارف جصية وكتابات كوفية يتوسطهما باب القبة. وقد انفردت بمميزات عمارية، فقد اشتملت على إيوانين بكل منهما محراب جصي تتوسطهما القبة وبها محراب كبير طاقيته محارية مزخرفة بأطرافها حول

العقد مقرنص من حطتين ينتهي بدلايات على امتداد أضلاع المحارة، وقد حليت تواشيح عقود المقرنص، كما حليت تواشيح عقد المحراب بزخارف دقيقة يعلوه سطر مكتوب بالخط الكوفي فوقه شرفة.

أما تجويفه المحراب فقد أدركت بها أثر كسوة رخامية باق منها عصابة في أعلاها، فإن صح أنها ترجع إلى العصر الفاطمي فتكون أقدم كسوة رخامية في المحاريب، وليس بمستبعد، فقد أثبت المقريزي المؤرخ أن الحافظ لدين الله جدد في سنة ٥٣٢هـ ١١٣٧م قبة السيدة نفيسة، وأمر بعمل الرخام الذي بالمحراب، ومقرنص القبة من حطتين، وبرقبتها شبابيك معقودة بشكل زخرفي، والقبة مضلعة من الخارج مجوفة الأضلاع من الداخل.

وكذلك نرى زخارف المحراب وتكوينه مبدأ لتطور زخارف المحراب الفاطمي، وهو مقتبس أو مشابه لصنوه في قبة الحصواتي المعاصرة لها، وكلاهما يعطينا طرزاً جديداً للمحاريب الفاطمية. ويتوسط القبة تابوت من نفائس صناعة النجارة، تنوعت زخارفه، كما تنوعت أشكال الخط الكوفي فيه، وعليه تاريخه واسم منشئته.

وكان بالمشهد محراب خشبي متنقل، أودع متحف الفن الإسلامي، وهو من خشب أرو تركي، مزخرف بحشوات مجمعة من ساج هندي وخشب زيتون على شكل نجوم ورسومات أخرى هندسية، والجانبان والظهر من حشوات كبيرة منقوشة، والكل تتخلله زخارف متناسقة جميلة جداً.

وفي المحراب والتابوت، تجلت دقة الصناعة والحفر على الخشب وقد أبدع فيهما الصانع إيما إبداع، ولا عجب فالآمر بعملها سيدة لضريح سيدة.

وعلى ذكر هذا المحراب، أذكر محراباً خشبياً متنقلاً ثالثاً أودع متحف الفن الإسلامي كان موجوداً في مشهد السيدة نفيسة ﷺ، وهو من أثر عمارة الحافظ لدين الله سنة ٥٣٢هـ ١١٣٧م وهو لا يقل أهمية عن صنوه ومعاصره.

ولم يتخلف من جامع الظافر (الفاكهاني) الذي أنشأه الخليفة الظافر بنصر الله

سنة ٥٤٣هـ ١١٤٨م، سوى مصاريعه، تلك المصاريع المكونة من حشوات مستطيلة مكونة من زهرية تفرعت منها فروع نباتية دقيقة.

وعلى ذكر المصاريع، أذكر بالإعجاب تلك المصاريع المخلفة من القصور الفاطمية، والمحفوظة بمتحف الفن الإسلامي، وفيها نلحظ دقة الزخارف، ودقة الرسوم الآدمية والحيوانية والطيور.

ولا ننسى الإشادة بدقة الأفاريز والحشوات الخشبية المخلفة من القصور الفاطمية وغيرها والمحفوظة بمتحف الفن الإسلامي، والتي تمثل حياة الفاطميين الاجتماعية من رقص، وطرب، وفروسية وصيد، كما لا ننسى تلك الأخشاب الفاطمية المختلفة أيضاً من القصور الفاطمية والمنقولة من سقف البيمارستان المنصوري، والباقية فيه، والتي تمثل الطيور والحيوانات والفرسان بحفر دقيق جميل.

نذكر ما نذكر من طرائف النجارة في الدولة الفاطمية على سبيل الاستدلال لا الحصر، فإن دقائقها مبعثرة في المتاحف وفي المساجد، وفي الكنائس، ومنها أحجبة هامة جداً في أديرة وادي النطرون، أبو مقار، أنبا بشوي. وفي كنائس مصر القديمة "أبي سيفين وبربارة، والمعلقة ودير البنات" فإنها بلغت حد الروعة في دقة النقش والتصوير.

مشهد السيد يحيى الشبيه بالقرب من الإمام الليث

أبو القاسم بن جعفر الصادق. كان شبيهاً بالنبي ﷺ. توفي سنة ٢٦٣هـ ، وقد أنشئ هذا المشهد حوالي سنة ٥٣٠هـ ١١٣٥م وهو مشهد كبير احتفظ بقبته الكبيرة، كما احتفظ بقبته فوق المحراب وبعقوده، وقبته الكبيرة مضلعة من الخارج مجوفة الأضلاع من الداخل ومقرنصها من حطتين؛ وبالمشهد عدة قبور لأفراد من أسرة الشبيه عليها شواهد مكتوبة بالخط الكوفي، منها ما يرجع إلى سني ٢٦١، ٢٦٣ هجرية – ٨٤٧ – ٨٧٦ ميلادية ، ويحيط بالتراكيب فوقها طراز خشبي مكتوب عليه بالخط الكوفي آيات من القرآن، ونلحظ في محاريبه البساطة فقد اقتصر

عقد المحاريب على طاقية محارية أحيط بها مقرنص من ثلاث حطات ينتهي بدلاية محازية للأضلاع، وهذا النوع انتقل إلى المحاريب الأيوبية بعده.

مسجد الصالح طلائع بن رزيك بالقاهرة

أنشأه أبو الغارات الملقب بالملك الصالح طلائع بن رزيك سنة ٥٥٥هـ ١١٦٠م، وهو من المساجد الكبيرة المعلقة إذ تبلغ مساحته ١٥٢٢متراً، وقد انفرد بطرز واجهته، واشتمل على مميزات معمارية قل أن تتوفر في مسجد فاطمي آخر، فقد بنيت وجهاته بالحجر أسفل ثلاث منها حوانيت، أهمها الواجهة الغربية وبها الباب العمومي، وقد أقيم أمامها رواق محمول على أربعة عمد رخامية تحمل عقوداً حليت حفافها بزخارف، وينتهي من طرفيه بحجرتين، وحلي صدر هذا الرواق وجانباه بزخارف على هيئة مروحة مخوصة. ونقشت بأفاريزه آيات من القرآن بالخط الكوفي المزخرف. ولهذا الرواق سقف من الخشب حلي بزخارف فاطمية لعله السقف الفاطمي الوحيد. ويعلو الدكاكين أسفل الواجهات أفريز حلي بترابيع مزخرفة تنوعت أشكالها.

وكانت المنارة تعلو الباب الغربي شأن المساجد الفاطمية، وكان لهذا الباب مصراعان مغشيان بحشوات نحاسية مفرغة بأشكال زخرفية يعتبر من أقدم المصاريع المكسوة بالنحاس، وقد حلي ظهراهما بنقوش جميلة حفراً في الخشب ، وقد أودعا متحف الفن الإسلامي وعمل بدلهما على مثالهما.

والمسجد من الداخل يتكون من إيوانات تحيط بالصحن، وأهم هذه الإيوانات الإيوان الشرقي الكبير المكون من ثلاثة أروقة حليت حافات عقودها من الداخل والخارج بكتابة آيات من القرآن بالخط الكوفي المزهر، وفتحت بخواصر العقود دوائر جصية مزخرفة من وجهيها فرغ وسطها بأشكال هندسية.

ويعلو كل عقد شباك صغير مفرغ بزخارف نباتية مختلفة، وحليت الطبالي الخشبية فوق تيجان العمد بزخارف مورقة، كما حليت الأوتار بنقوش نباتية وأخرى مكتوب

بها آيات من القرآن.

وفي جدار المحراب شبابيك من الجص حديثة، يحيط بكل منها إفريز جصي مكتوب فيه بالخط الكوفي المزخرف آيات من القرآن، ونقل إلى متحف الفن الإسلامي نوع آخر من الشبابيك التي كانت بالمسجد. وكان مركباً على وجه الإيوان الشرقي مقصورة من الخشب أدركنا بقاياها فأكملت ووضعت على الرواق الخارجي.

والمنبر الحالي للمسجد ليس منبره بل هو من عمل الأمير بكتمرالجوكندار سنة ٦٩٩هـ ١٢٩٩م وهو طرفة نادرة، ولا شك في أن منبر الجامع القديم كان تحفة لأن صنوه بمسجد الصالح طلائع بقوص سنة ٥٥٠هـ من أفخم وأكبر المنابر تنوعت زخارف حشواته المورقة الدقيقة، وهو غاية في دقة الصناعة، وأكتفي عن وصفه بنشر صورته. وبهذا المسجد يكون مسك الختام للعمارة الفاطمية في القاهرة.

ولا مجال لمقارنة التحصينات والأبواب الفاطمية فإن غلبها في القطر التونسي تجدد في الدولتين الحفصية والتركية وبعدهما مما أفقدها طابعها القديم الذي يضعها موضع المقارنة بين أسوار وأبواب القاهرة الفاطمية. تلك الأبواب التي لم يبق منها سوى أبواب النصر والفتوح والتوفيق سنة ٤٨٠هـ ١٠٨٧م وباب زويلة سنة ٤٨٤هـ ١٠٩١م، وهي الأبواب التي أعاد بنائها بدر الجمالي.

وهذه الأبواب أشرف على بنائها ثلاثة إخوة قدموا من الرها، وهي مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام تعرف باسم أورفا.

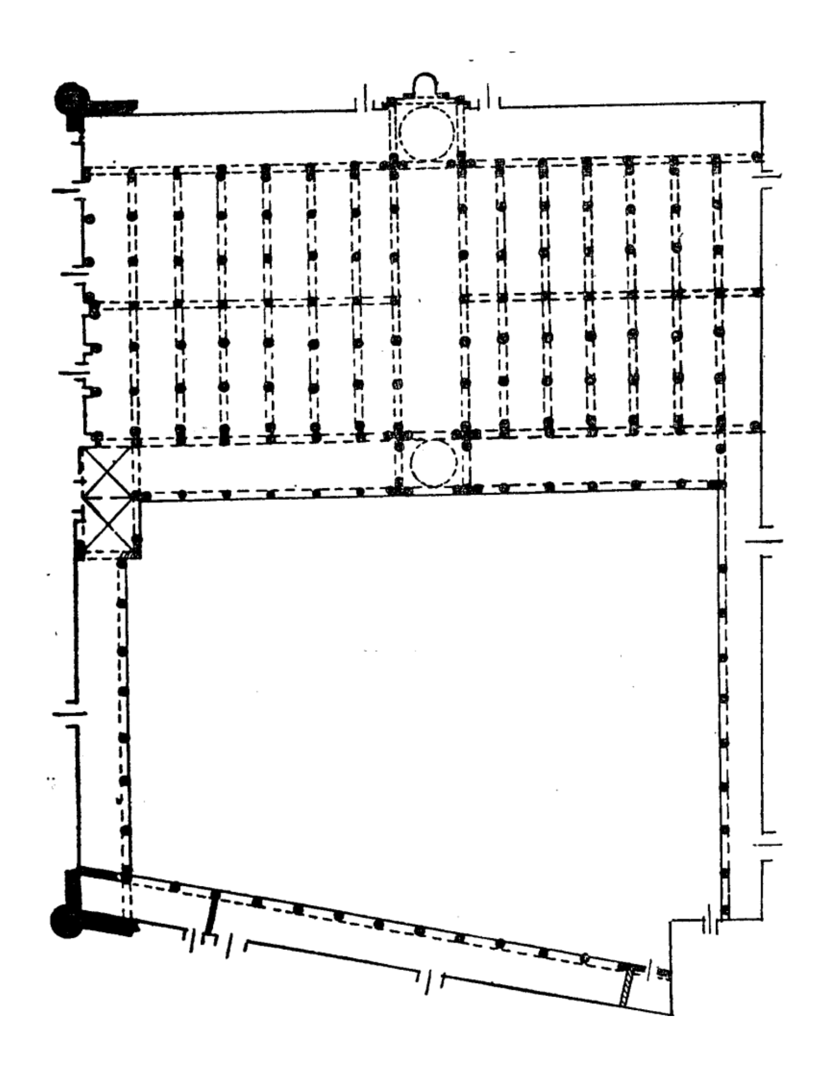
وقد تجلت في هذه الأبواب الضخامة والعظمة، بما حوته من دقائق فنية قل أن توجد في غيرها، ويمكن القول بأن هذه الأبواب قد يكون طرزها منقولاً عن استحكامات قريبة من الإمبراطورية البيزنطية والعراق.

وقد تنوع تصميم وزخرف هذه الأبواب، فبينما نرى باب الفتوح له بدنتان مستديرتان وكوابيل على هيئة رأس كبش، نرى باب النصر له بدنتان مربعتان، واستبدل الزخرف برسوم آلات حربية.

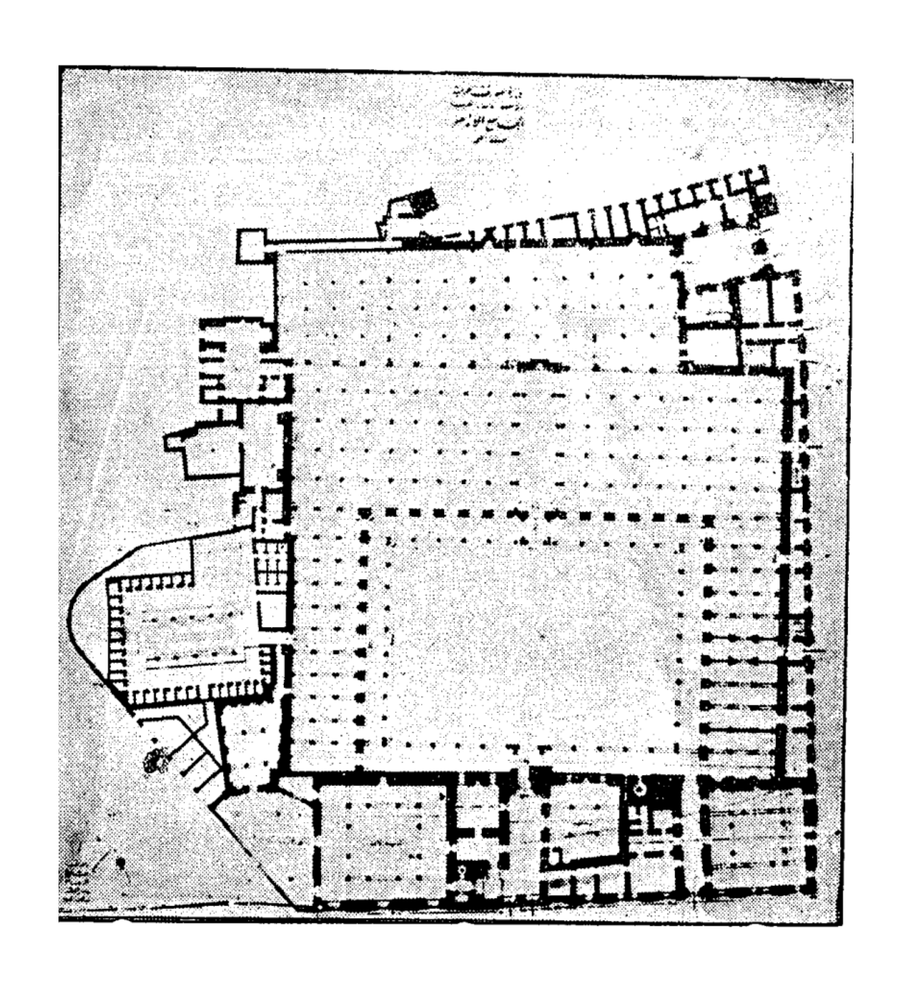
ويربط البابين سور المدينة، وهو أكمل جزء من سور بدر الجمالي، تتمثل فيه حصانة أسوار القاهرة، وهو سور حجري عريض اشتمل باطنه على سراديب ومزاغل وشرفات وأبراج تساعد على تحصين الجند فيها للدفاع عن المدينة.

أما باب زويلة فهو في الحد الجنوبي للقاهرة. وهو أقرب شبهاً إلى باب الفتوح من حيث استدارة برجيه. وقد امتاز بالضخامة والفخامة وبالزخارف.

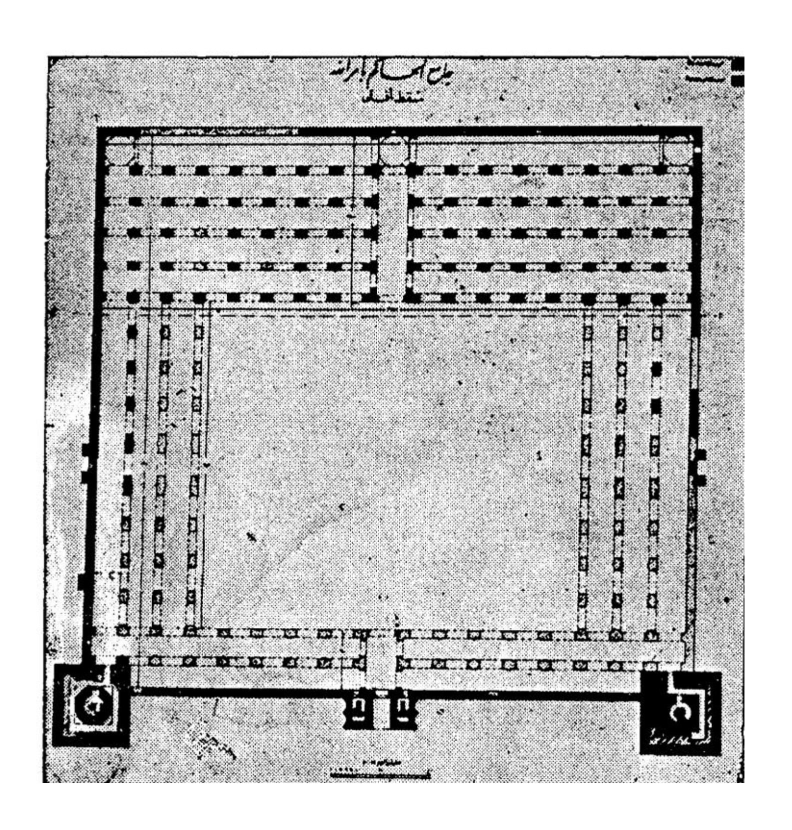
وقد انتهز مهندس مسجد المؤيد وجود الباب لصق المسجد ، فاتخذ من بدنتيه قاعدتهن لمنارتي المسجد، وهو اعتداء صارخ في نظر الآثاريين. ولكنه كان موفقاً فيه كل التوفيق.



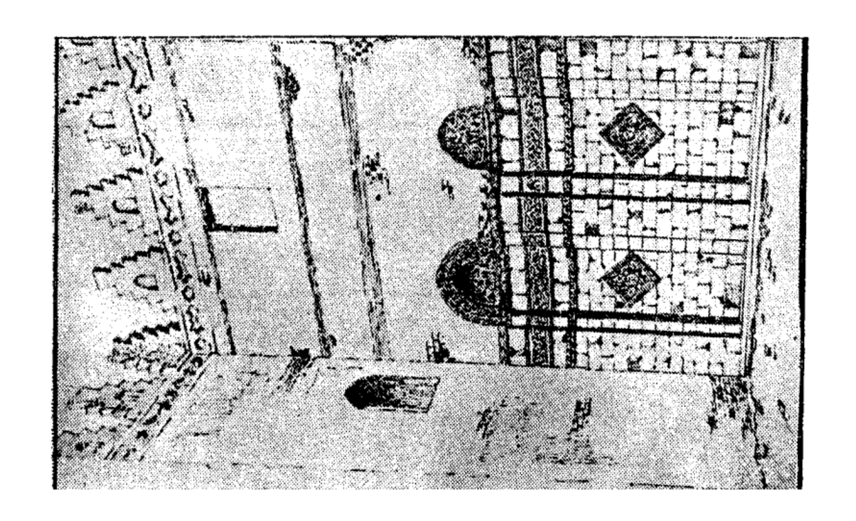
المسقط الأفقي لجامع الزيتونة – مقياس الرسم ١ – ٥٠٠



المسقط الأفقي للجامع الأزهر وإضافاته



المسقط الأفقي لجامع الحاكم بأمر الله



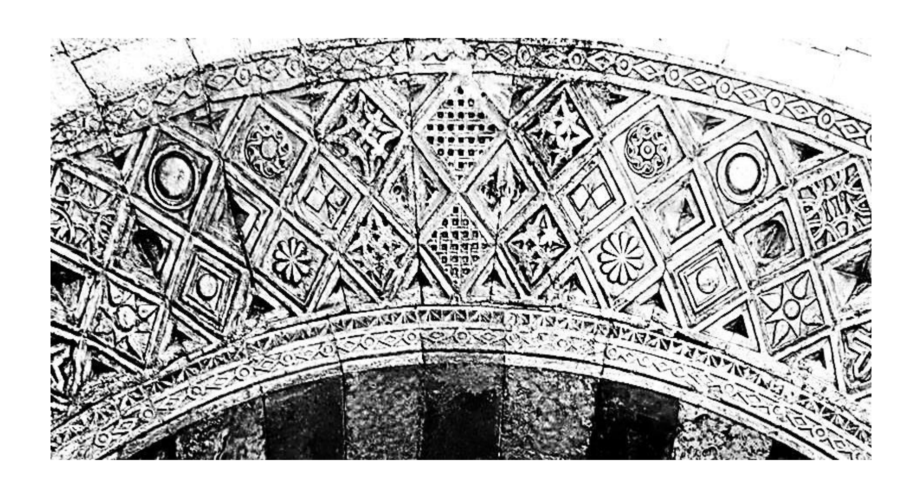
تفاصيل من الباب الغربي لجامع الحاكم بأمر الله



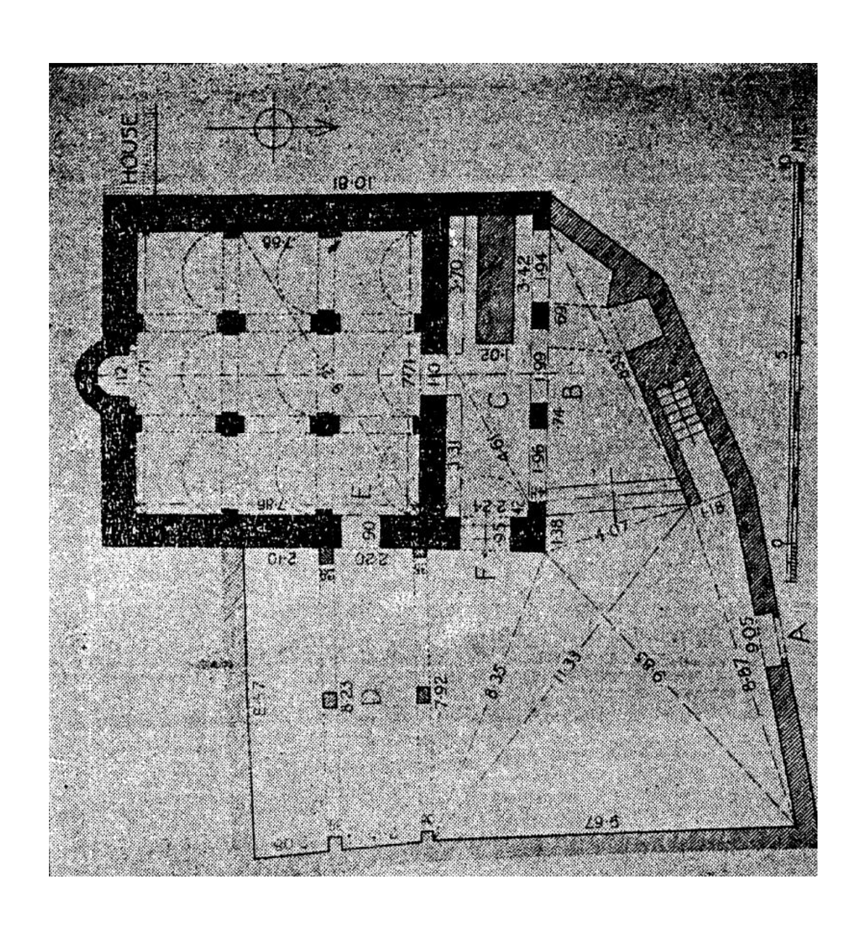
باب جامع المهدية بالمهدية



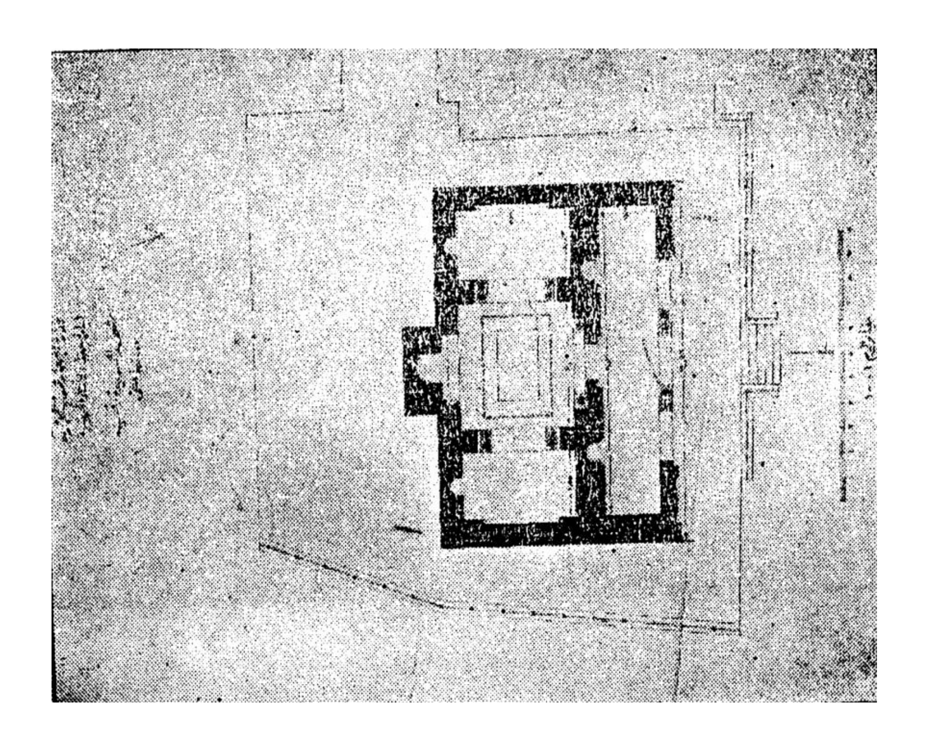
تفاصيل من زخارف قبة مسجد سوسة



تفاصيل من زخارف عند باب الفتوح



مسقط أفقي مسجد أبو فتاتة



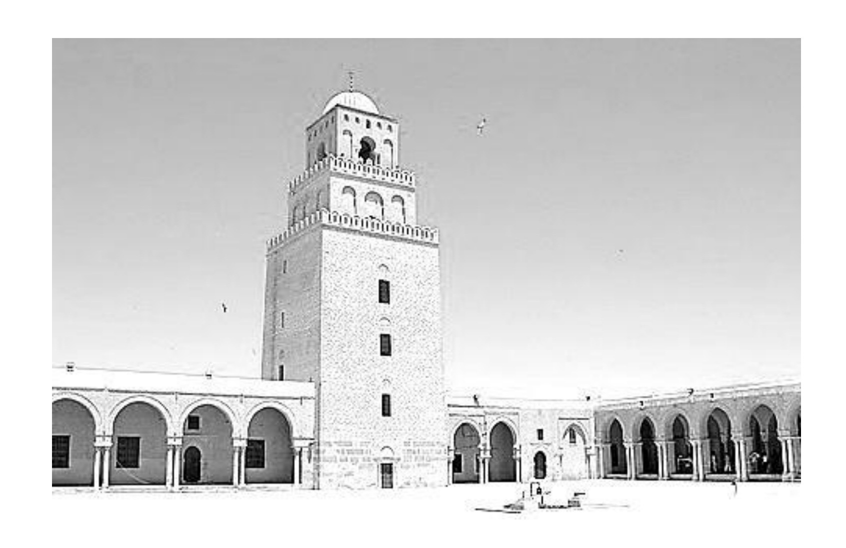
مسقط أفقي مشهد السيدة رقية



منارة مسجد بلال بأسوان



منارة مسجد سوسة



جامع سوسة



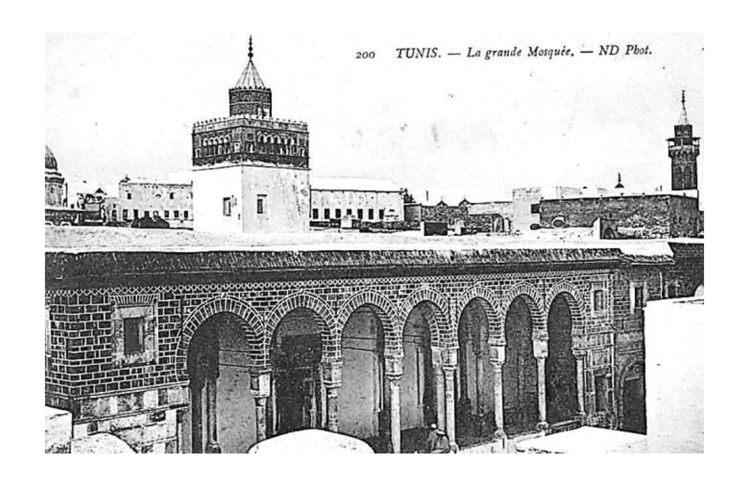
قبة قاضي الشريعة بأسوان



قبة المحراب بجامع الزيتونة بتونس



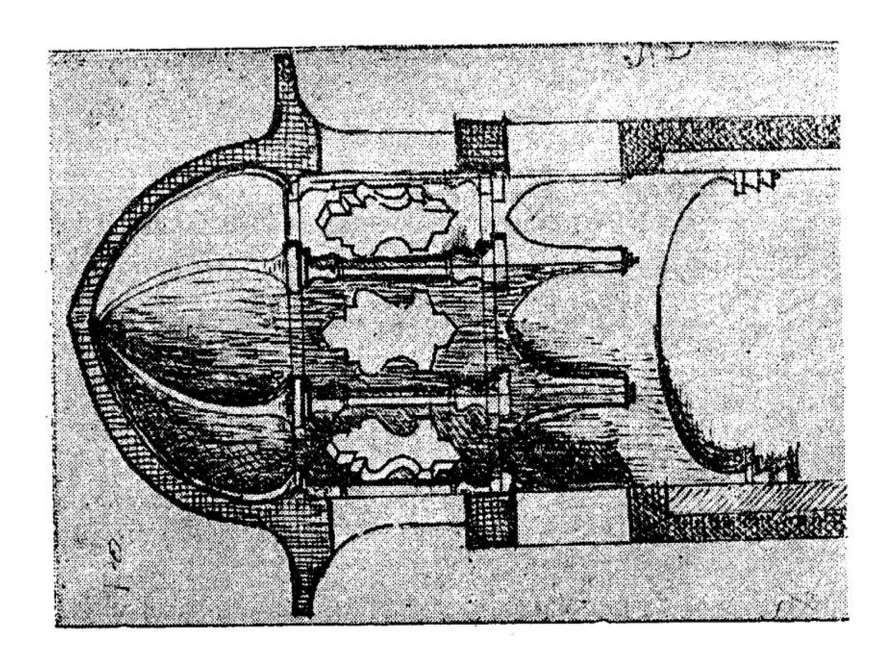
الأعمدة الحفصية على الواجهة الشرقيةبجامع الزيتونة بتونس



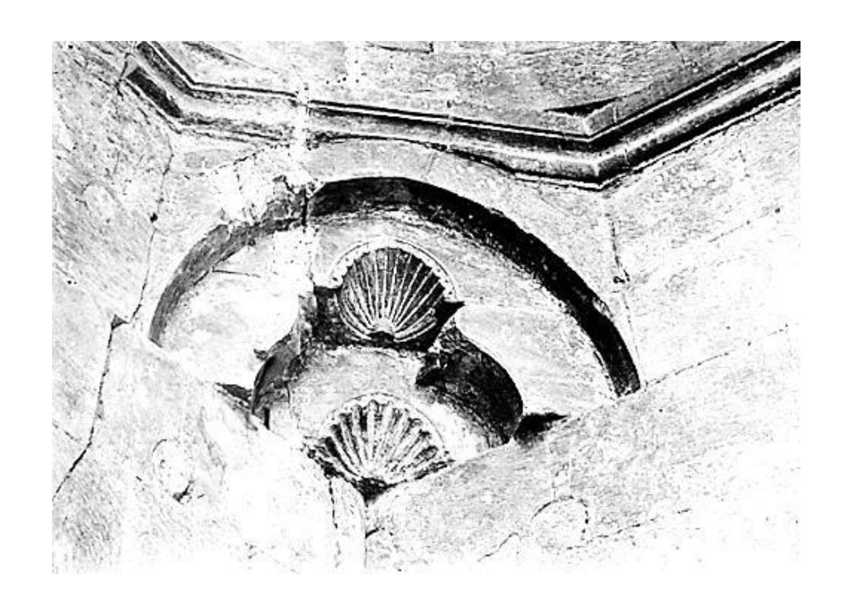
جامع الزيتونة ١٨٨٠م



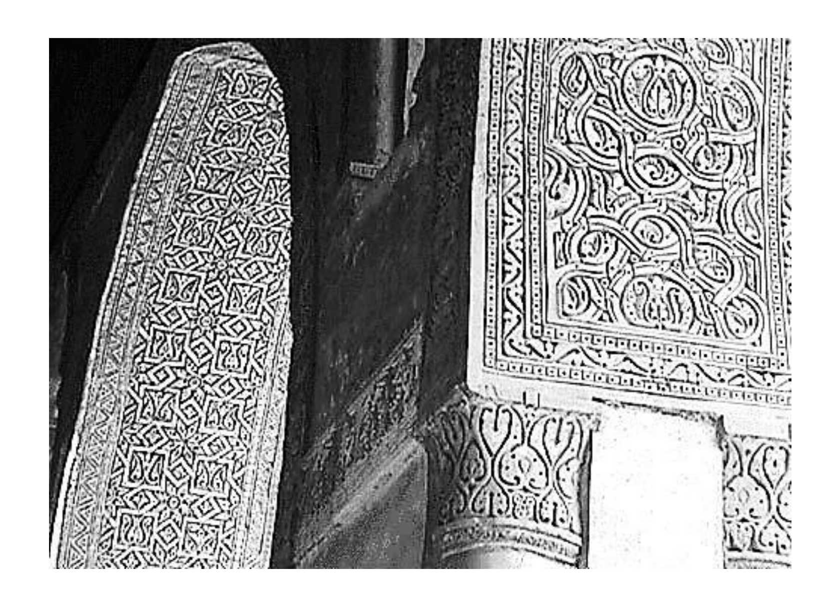
فناء جامع الزيتونة



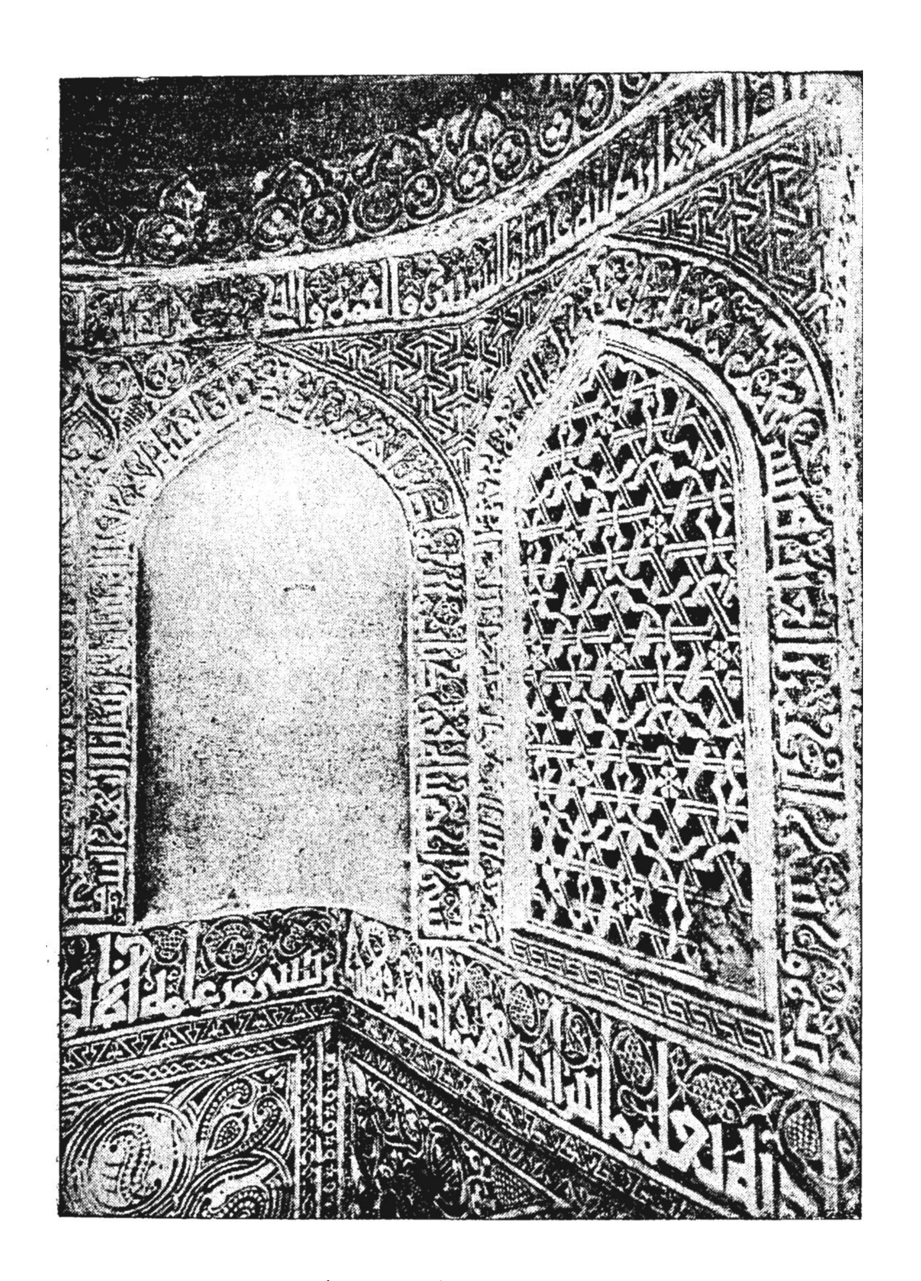
قطاع لقبة السيدة رقية بأسوان



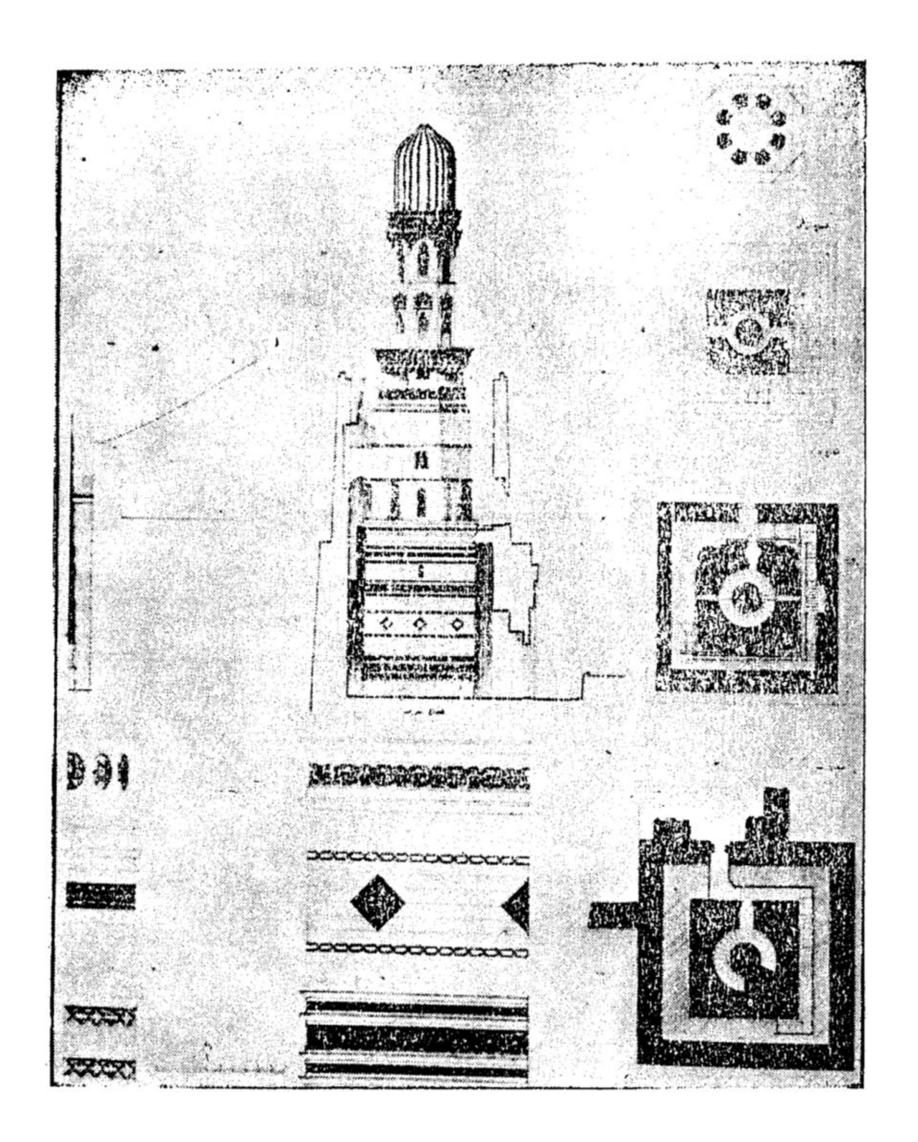
مقرنص مدخل باب زويلة



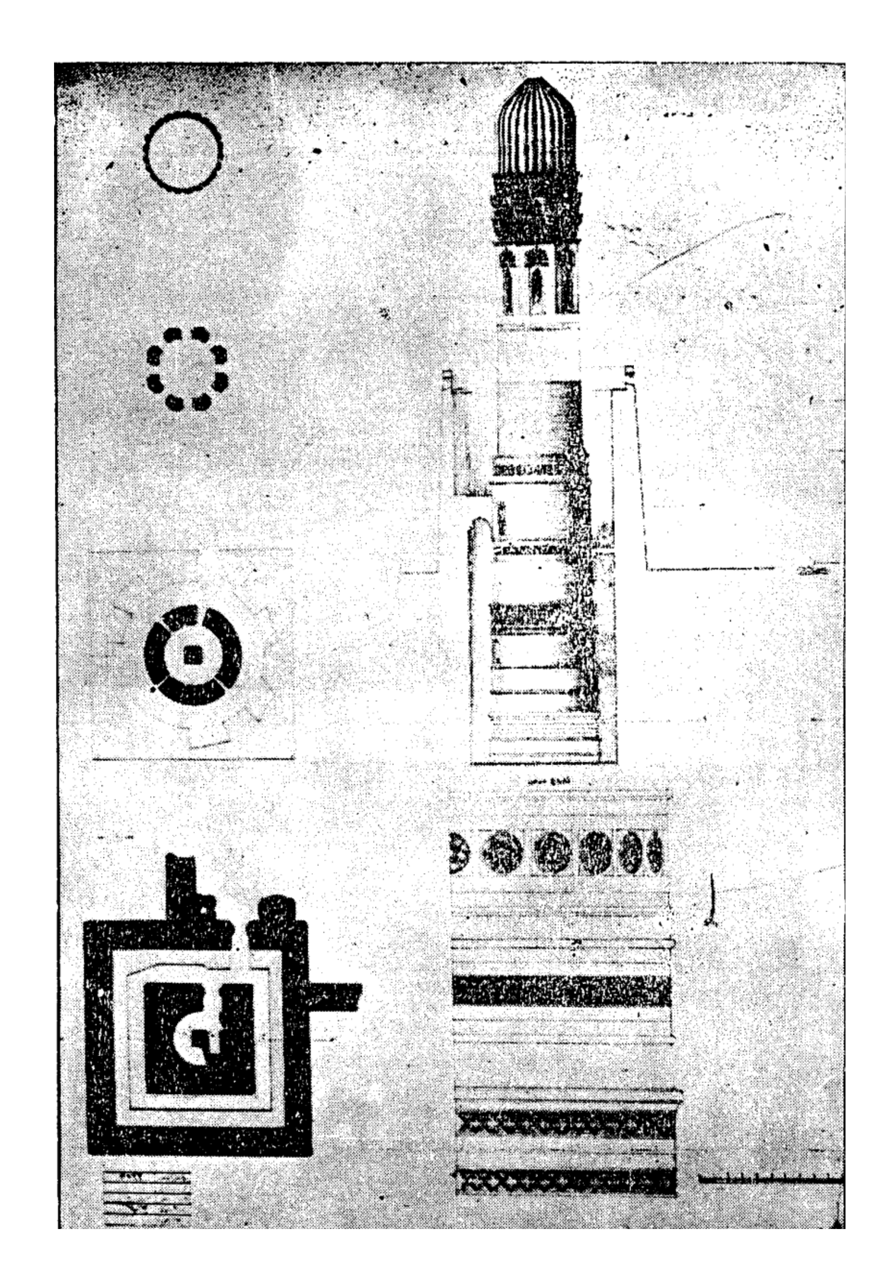
زخارف بالجدار الشمالي بالأزهر



مقرنص قبة البهو برأس المجاز بالأزهر



المنارة القبلية لجامع الحاكم بأمر الله



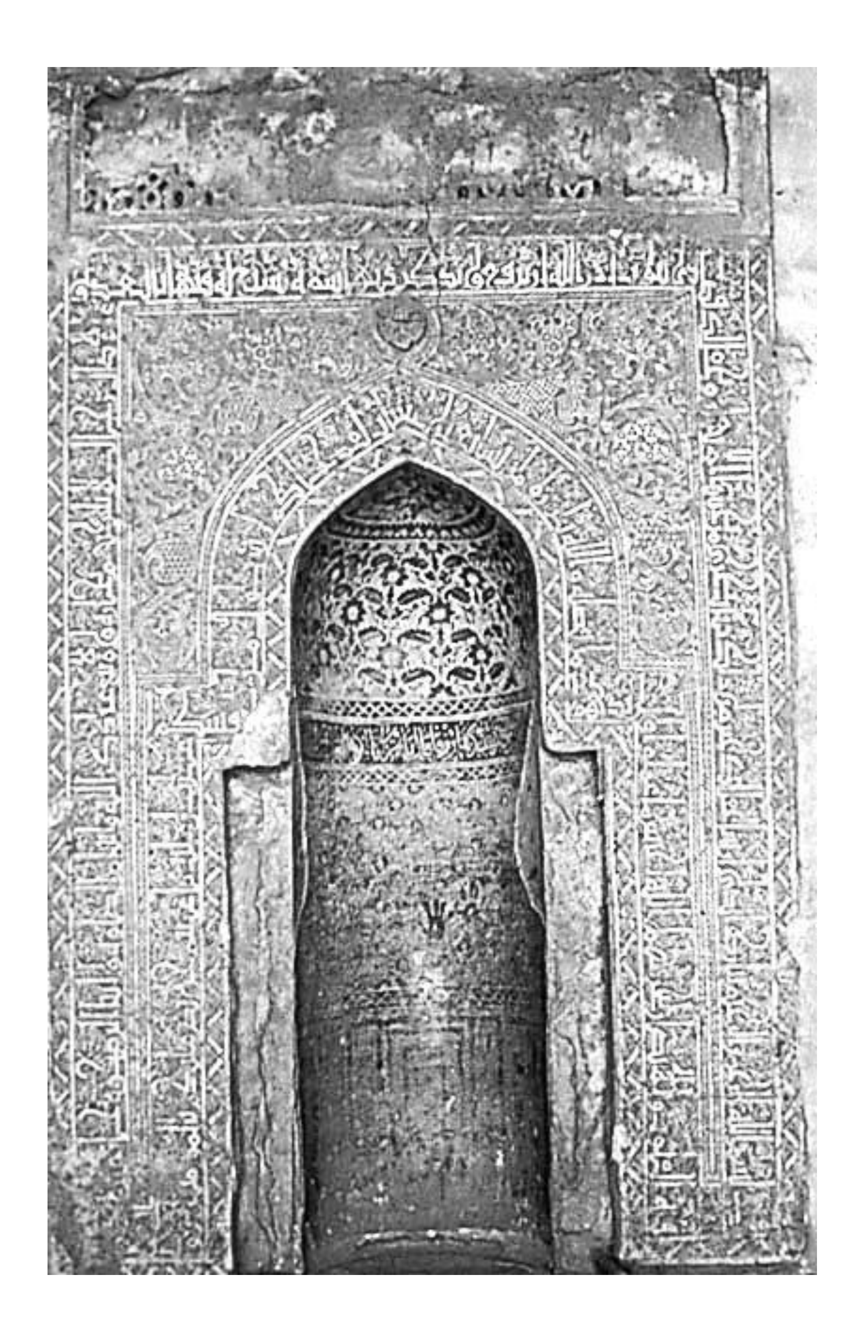
المنارة البحرية بجامع الحاكم بأمر الله



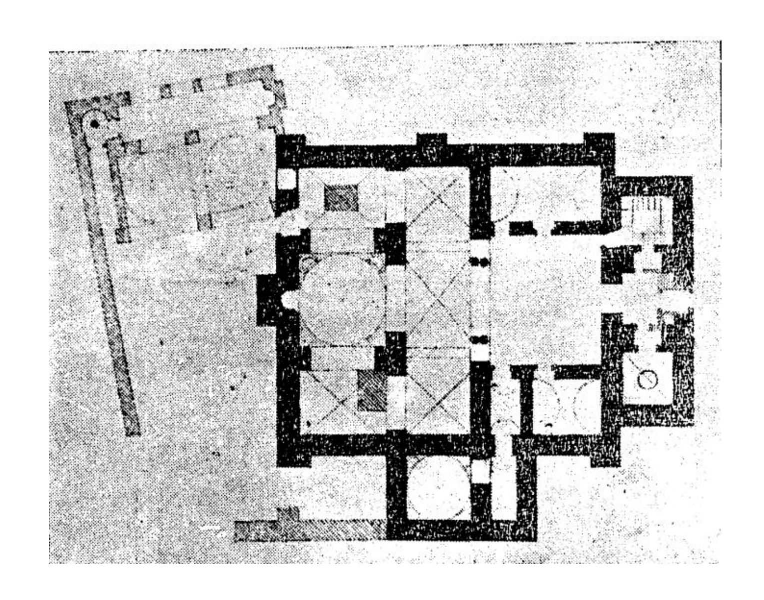
فناء جامع الحاكم بالقاهرة



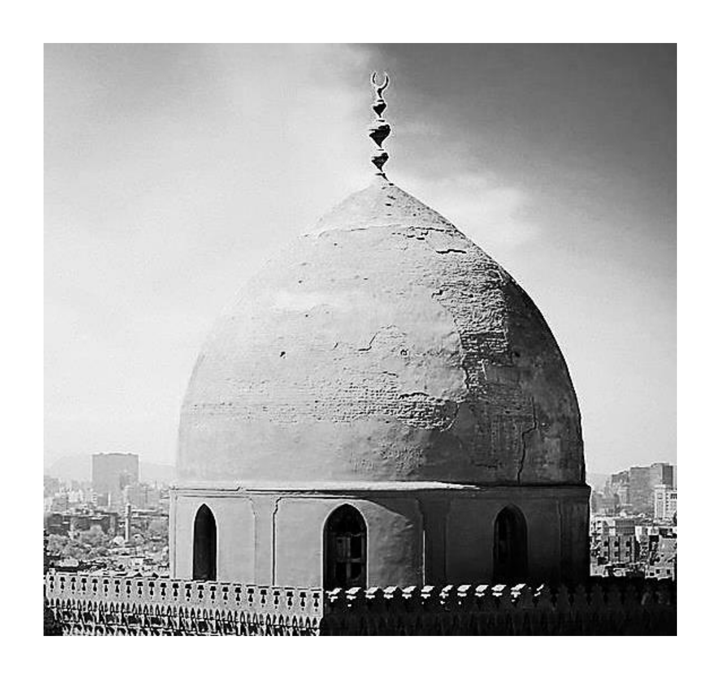
زخارف كتابية أعلى الباب الرئيسي بجامع الحاكم



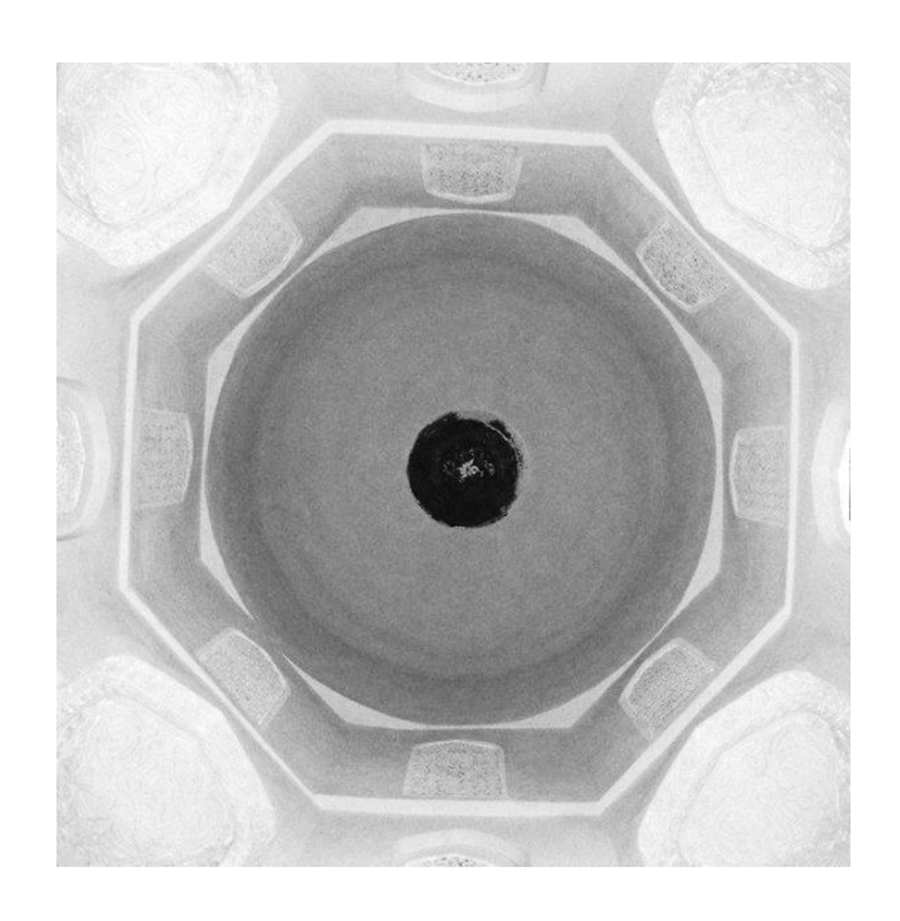
محراب مشهد الجيوشي



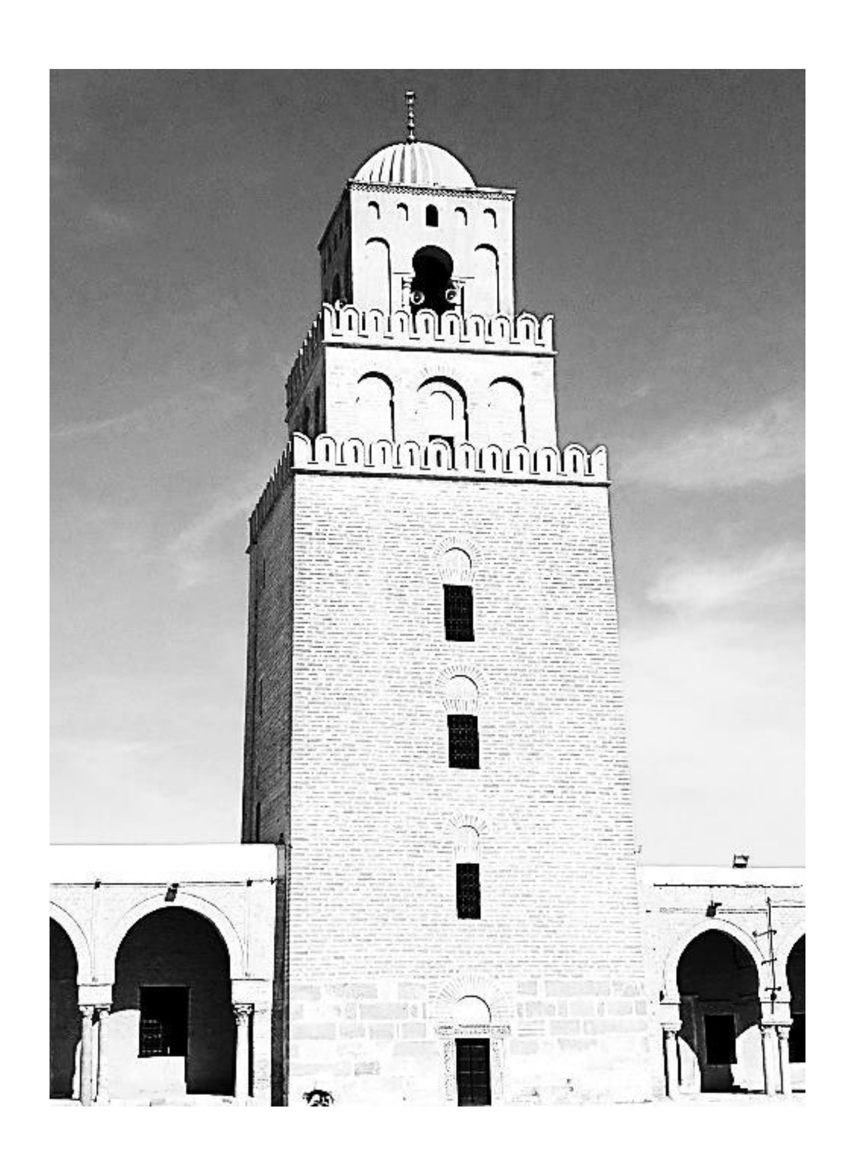
مسقط أفقي لمشهد الجيوشي



قبه مشهد الجيوشي



مقرنص قبة الجيوشي



منارة مسجد عقبة بالقيروان



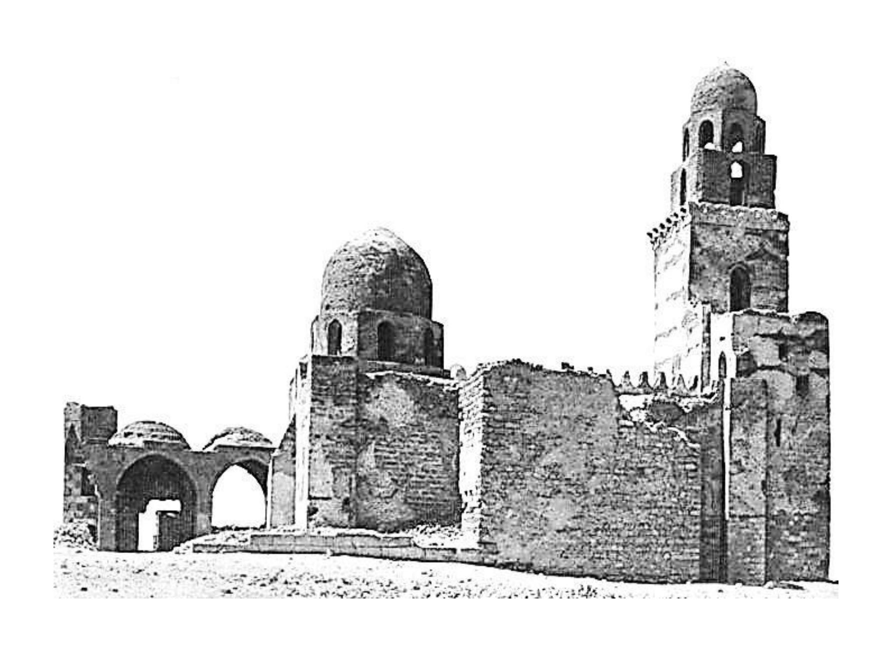
منارة مسجد الجيوشي



منارة الجامع العتيق بإسنا



منارة مسجد بهجورة



مقرنص قبة بدر الجمال



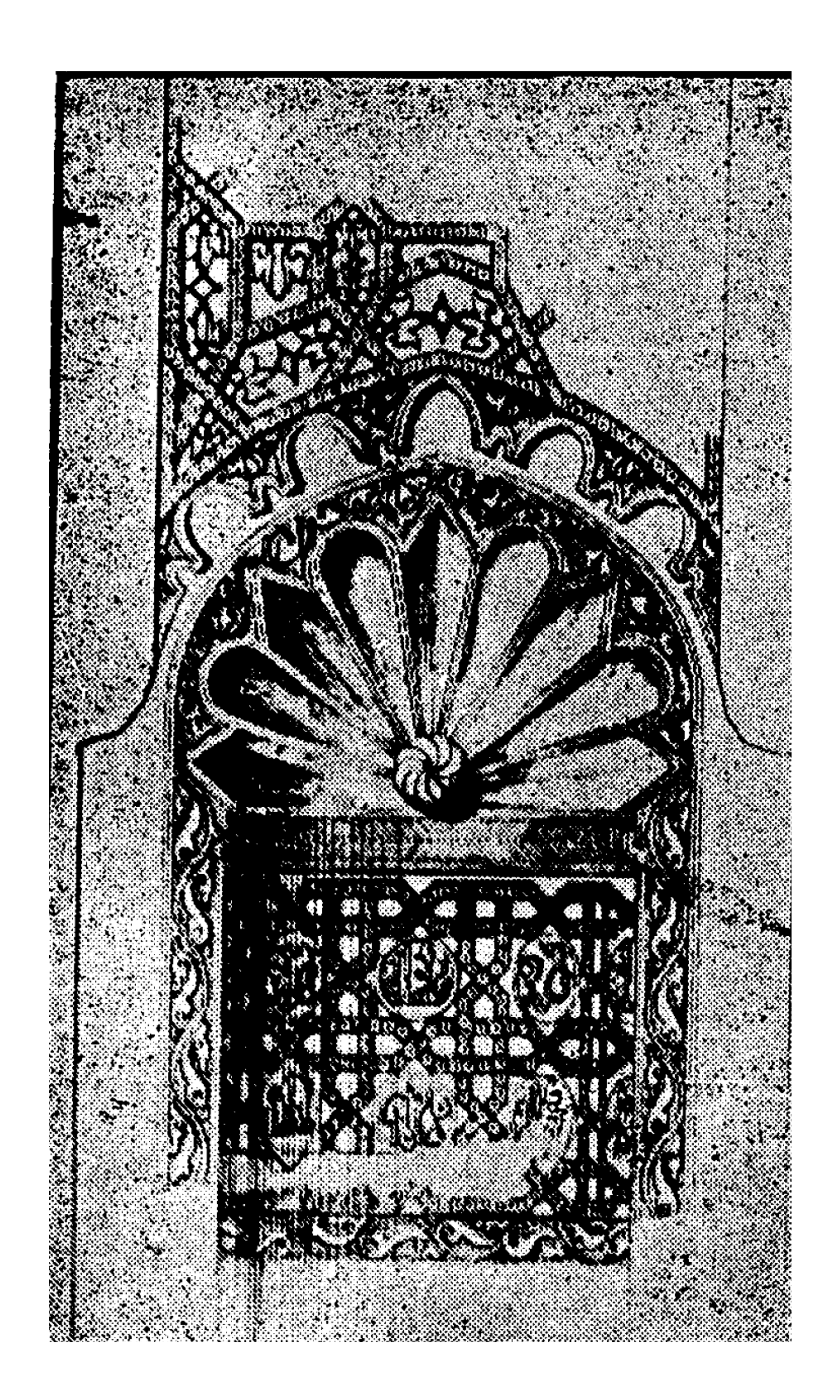
قبة بدر الجمال



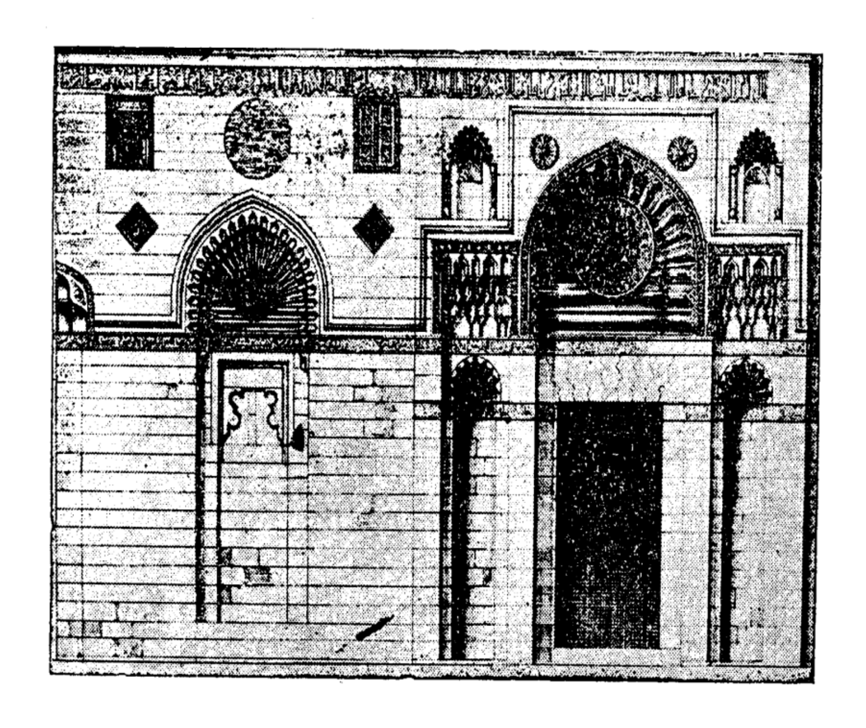
قبة إخوة يوسف



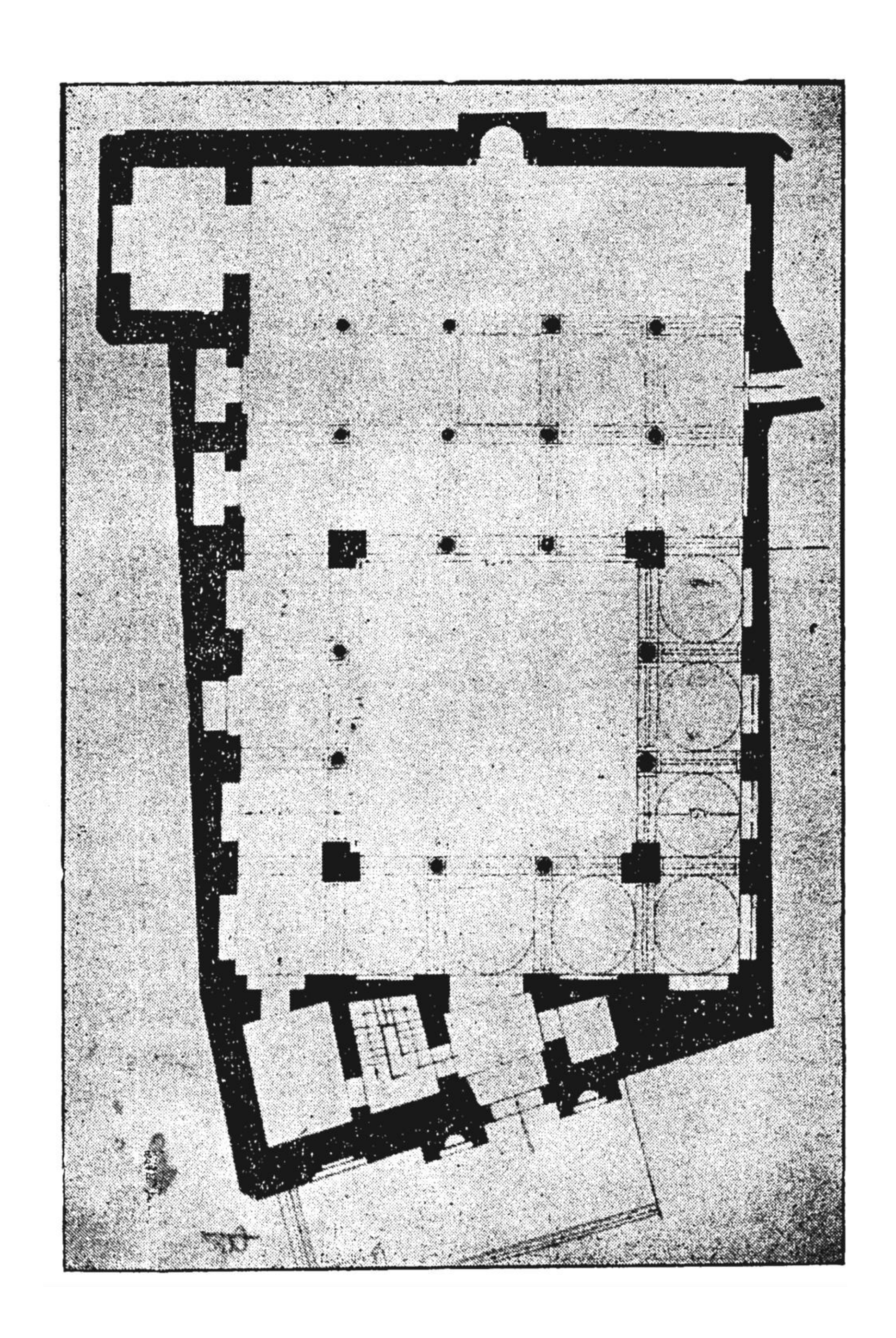
محراب قبة إخوة يوسف



محراب مشهد كلثم



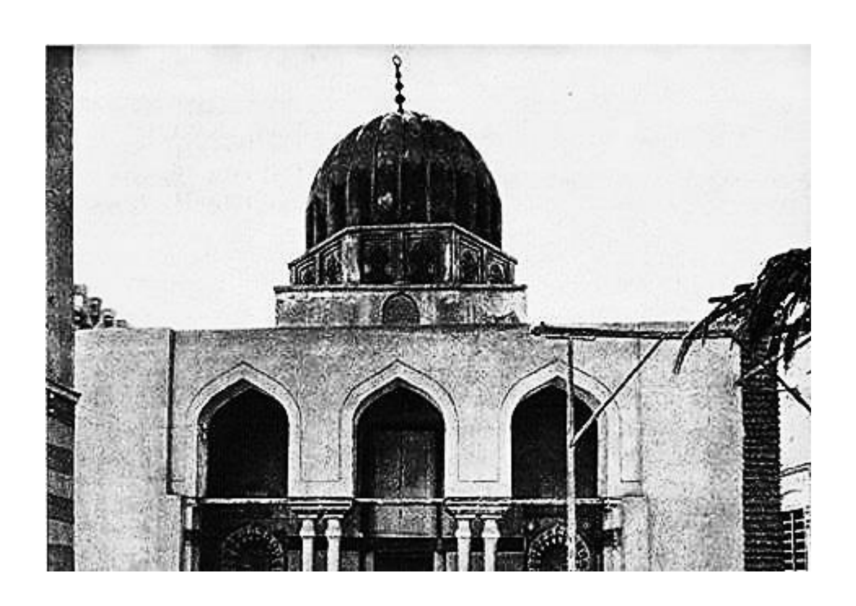
واجهة الجامع الأقمر



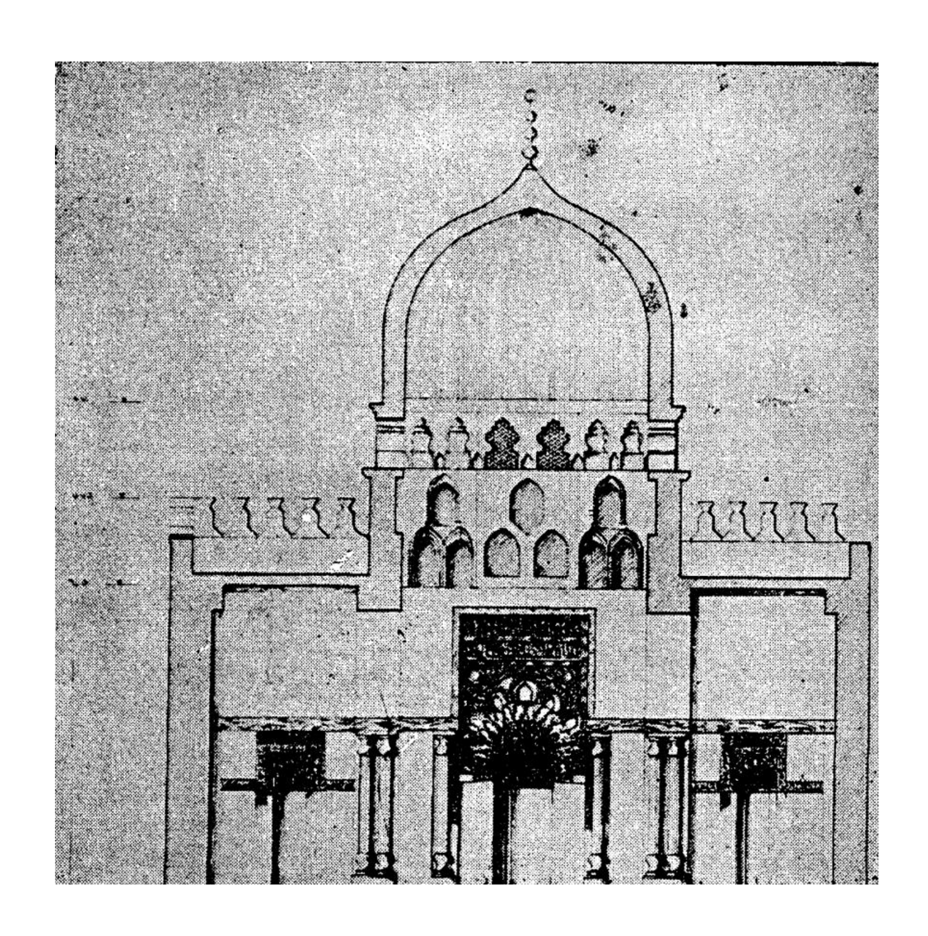
مسقط أفقي الجامع الأقمر



الإيوان الشرقي بالجامع الأقمر



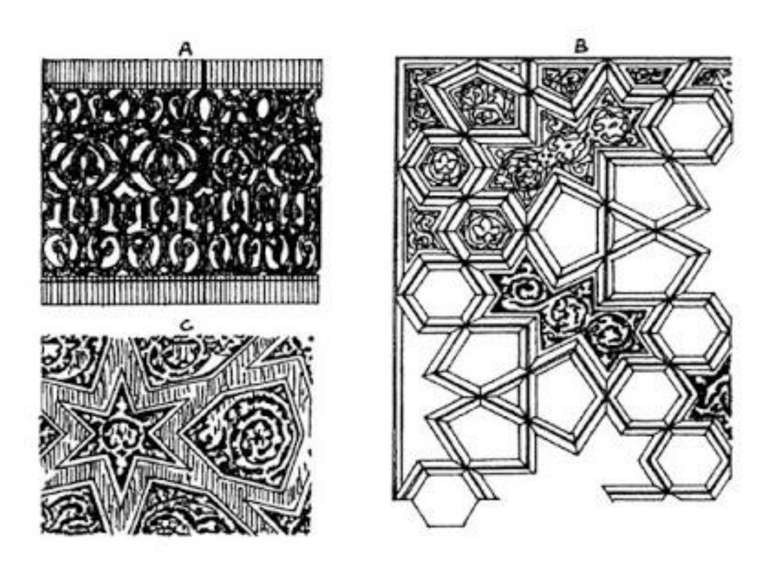
مشهد السيدة رقية



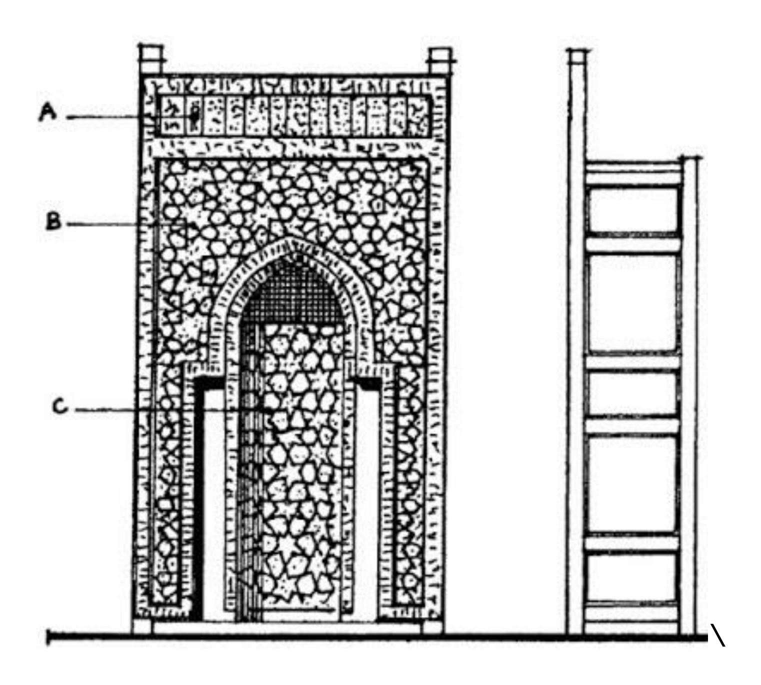
قطاع لقبة مشهد السيدة رقية



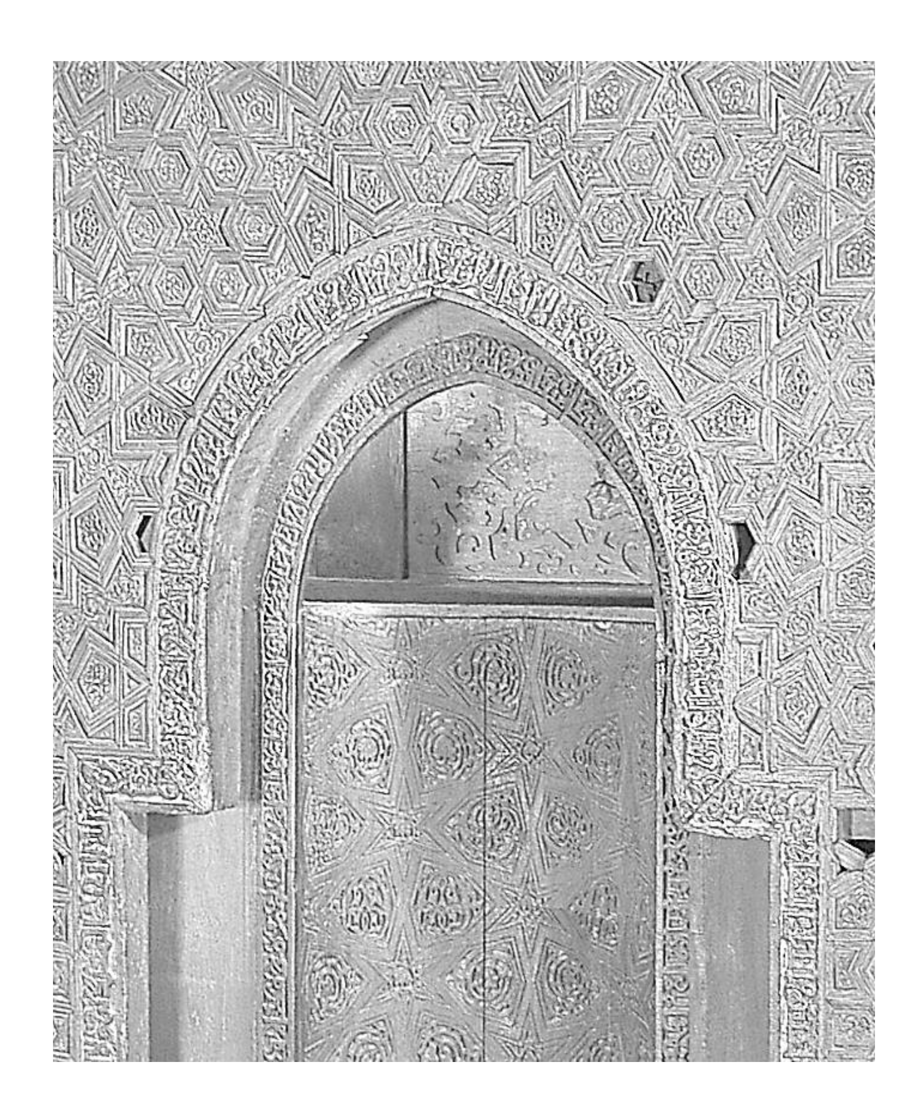
محراب خشبي متنقل من مشهد السيدة رقية



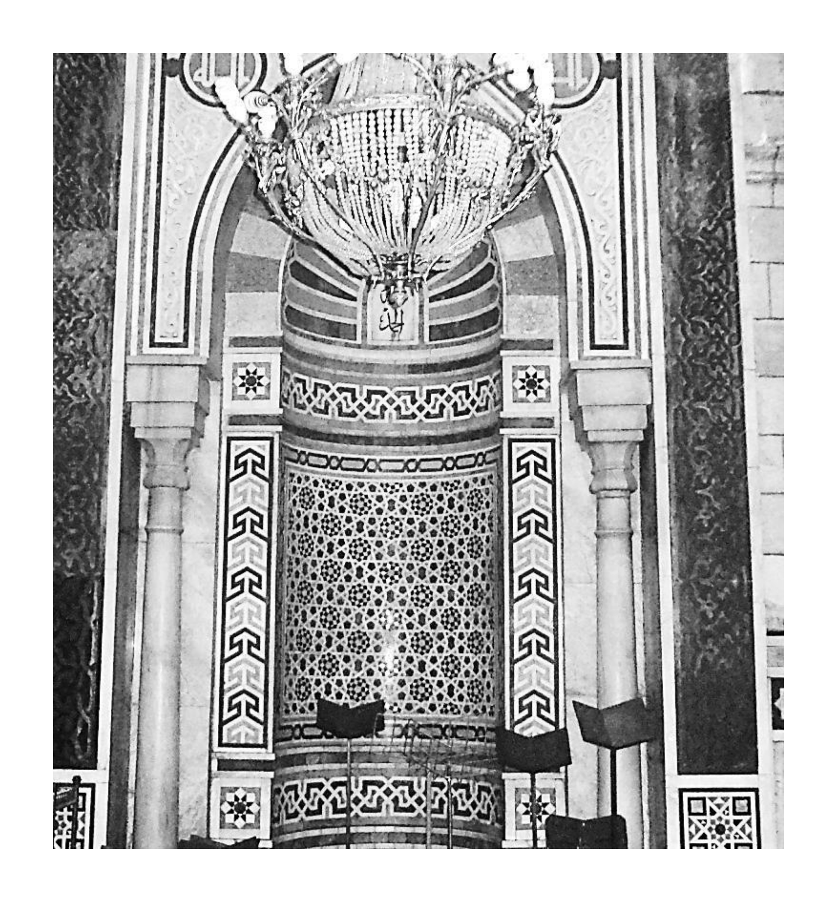
تفاصيل المحراب الخشبي المتنقل بمشهد السيدة رقية، القاهرة



المحراب المتنقل – مشهد السيدة رقية



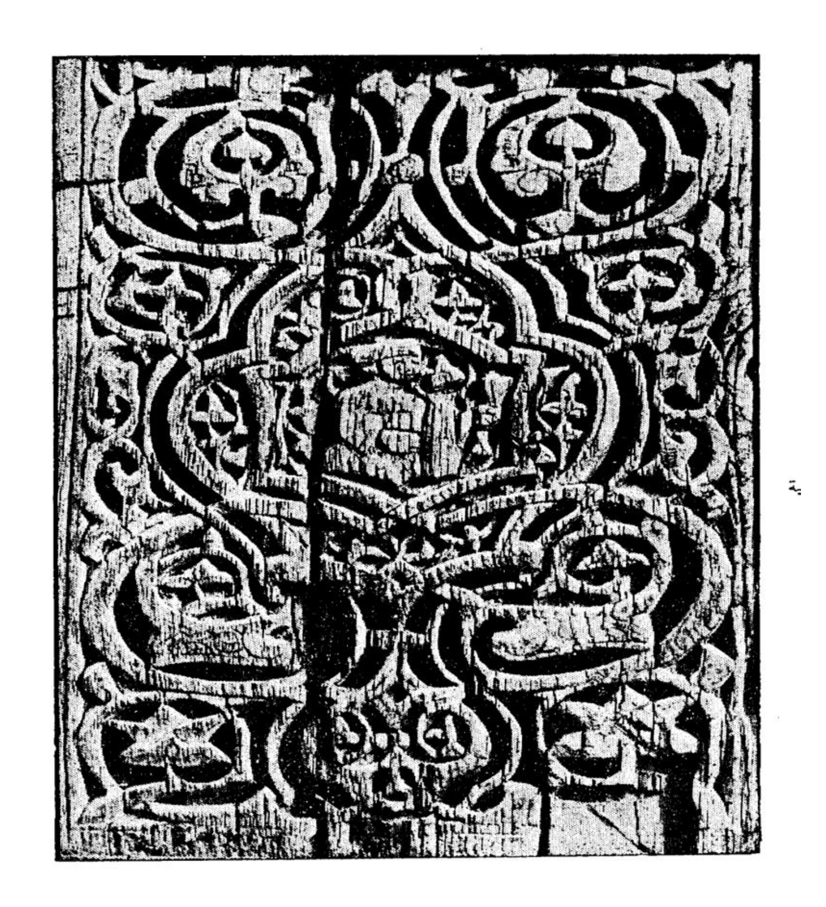
المشهد النفيسي – تفاصيل من المحراب المتنقل



محراب قبة مشهد السيدة نفيسة



جزء من طراز مخلف من القصور الفاطمية



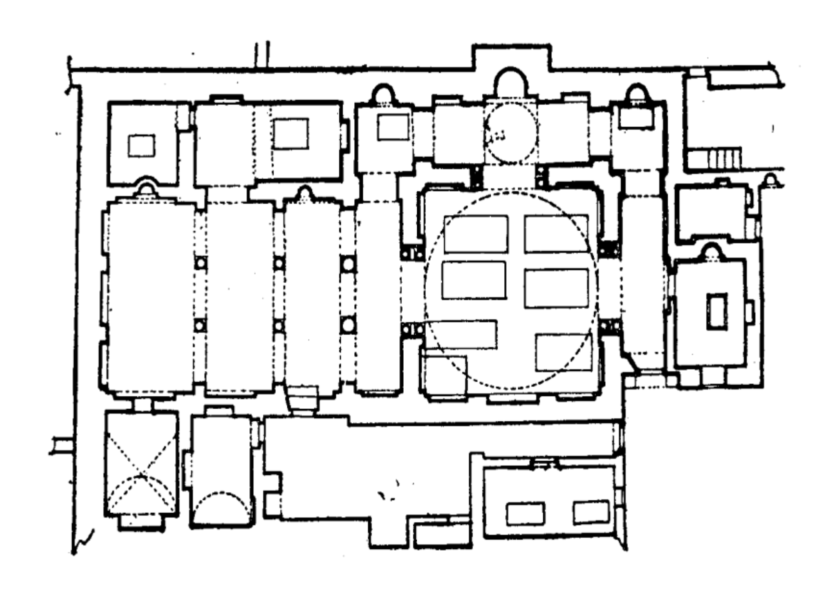
حشوة من أحد مصاريع القصور الفاطمية



جزء من طراز فاطمي مخلف من القصور الفاطمية



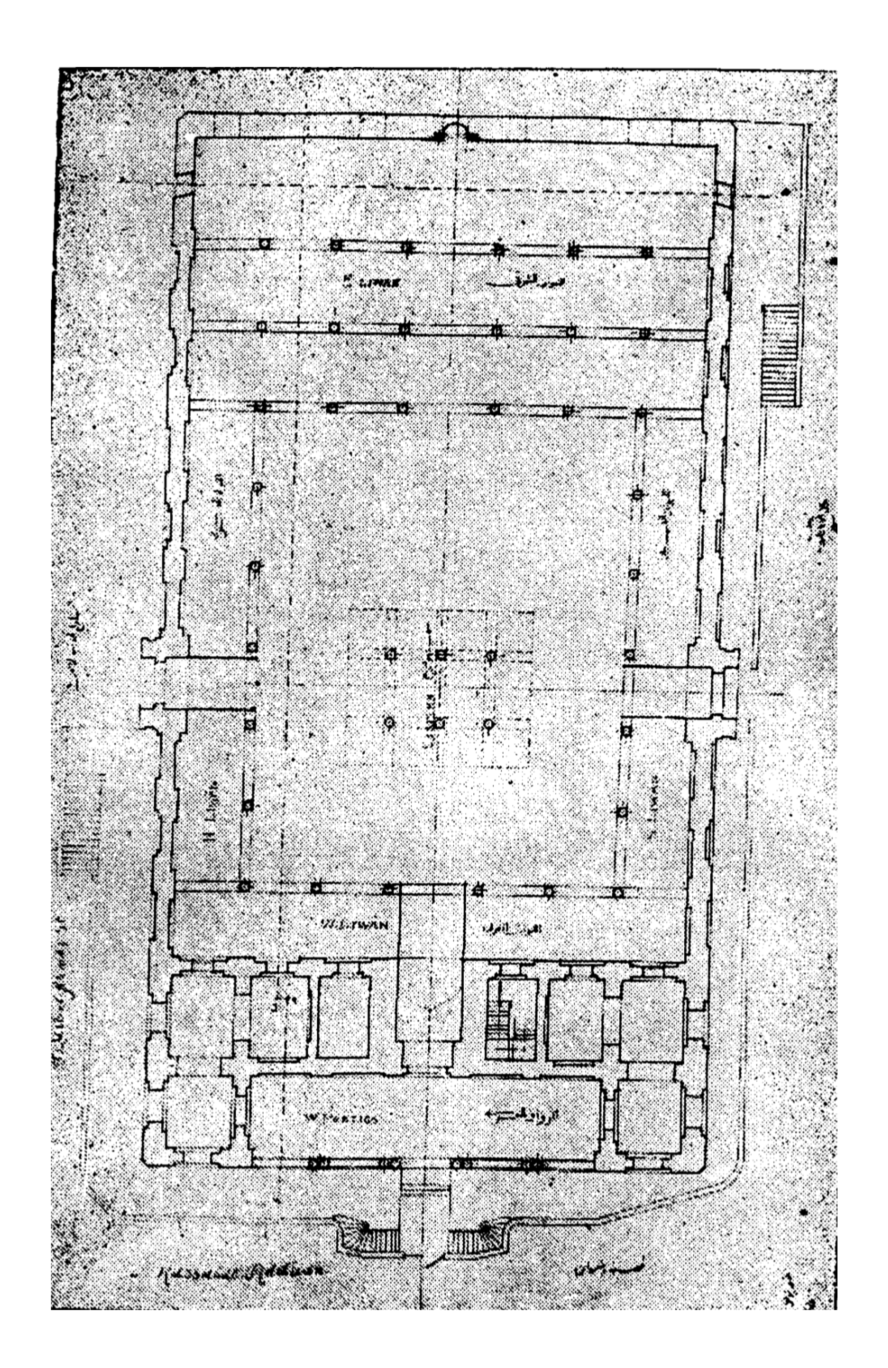
قبة يحى الشبيه



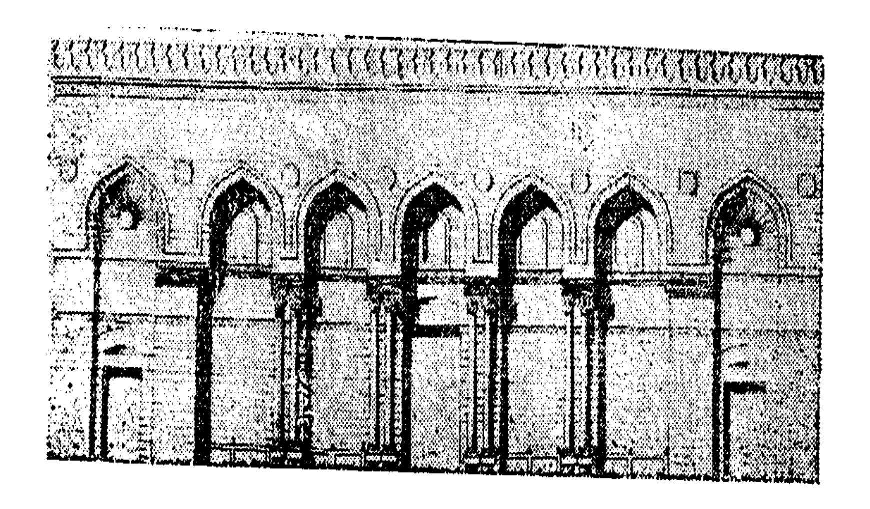
مسقط أفقي مشهد يحى الشبيه



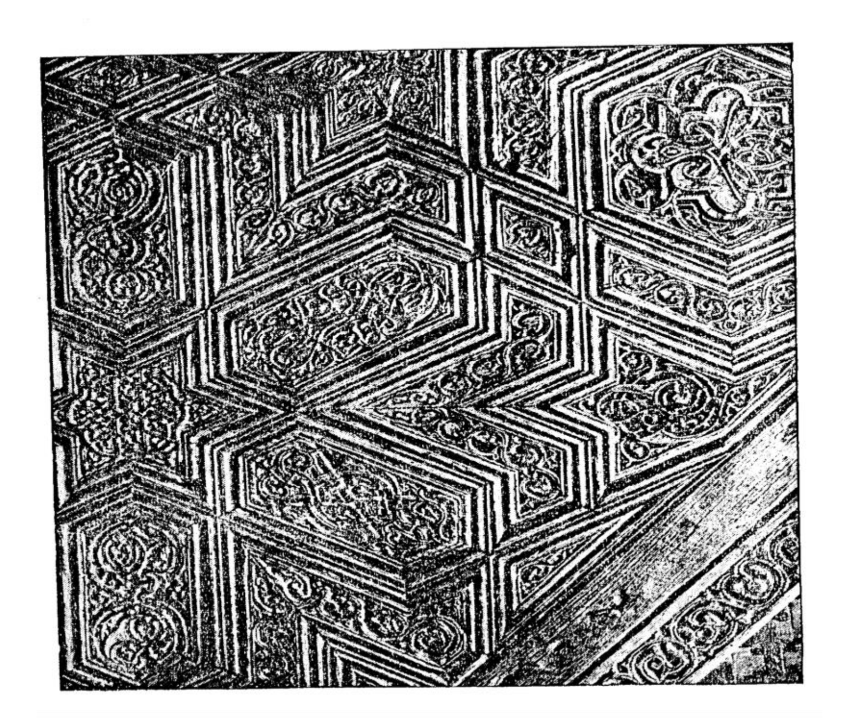
داخل مشهد يحيى الشبيه



مسقط أفقي مسجد الصالح طلائع



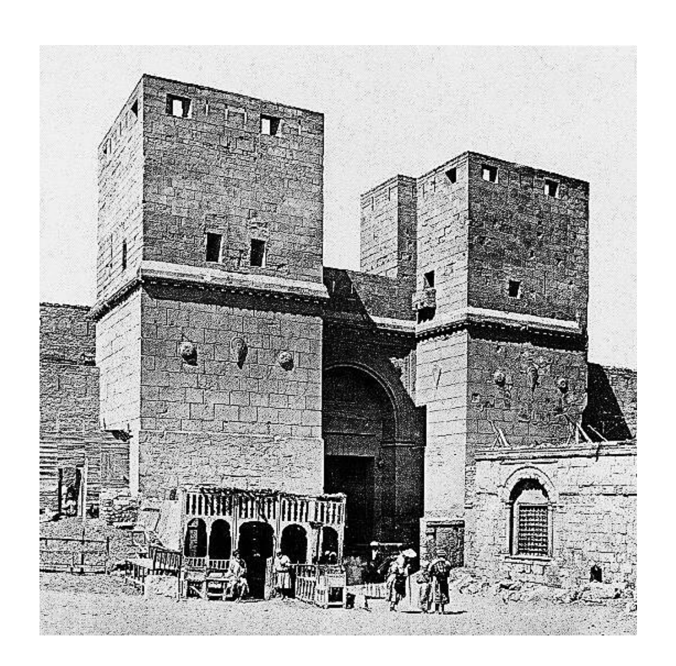
قطاع لمسجد الصالح طلائع



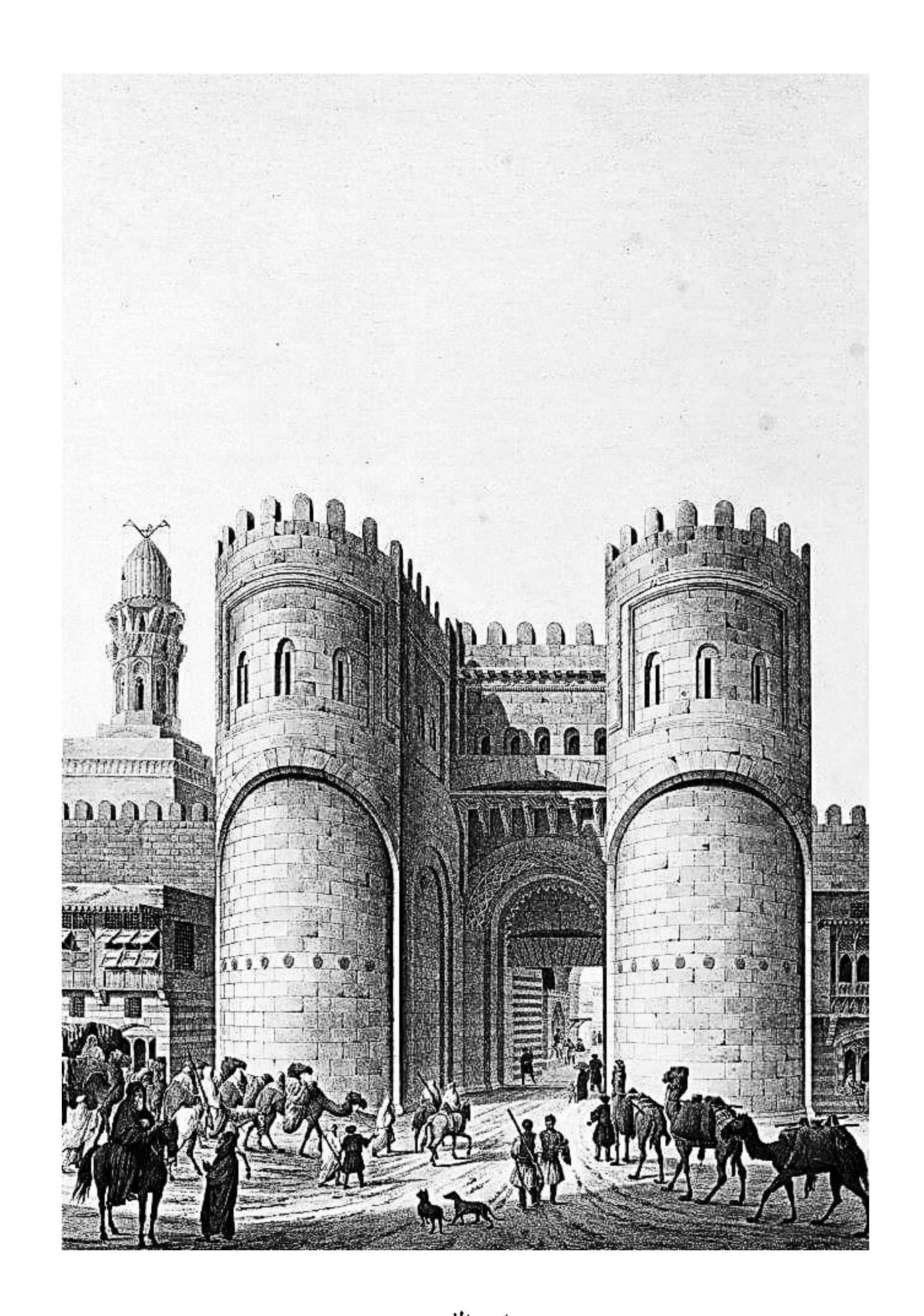
جزء من منبر طلائع في قوص



الإيوان الشرقي لجامع الصالح طلائع



باب النصر



باب الفتوح



باب زويلة

تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها[1]

عنيت الشعوب الإسلامية بتخطيط المدن التي أنشأتها عقب الفتوحات الإسلامية، وراعوا في تخطيطها القواعد الصحية من شق شوارع، وعمل ميادين ورحاب، وتقسيمها إلى شوارع وسكك وحارات وأزقة ، وقد تضمنت قوانين تخطيط المدن الخروج بالمدافن والمصانع المقلقة إلى أطراف المدينة، كالحدادة، ومصانع الزجاج، وقماين الجير والطوب، والبعد بالأسواق عن مقر الحكم.

وكذلك خصصت لكل صناعة سوقاً خاصة بها، كما خصت التجارات بأسواق لاحقت بعضها عرفت بها الأخطاط الواقعة فيها.

وعندما كانت تنشأ مدن جديدة، امتداداً لمدن أخرى سبقتها، كانت تخصص المدينة الجديدة أولاً لسكني الوالي، أو الخليفة وحاشيته، والمقربين منه، وهذا ما فعله القائد جوهر حينما أنشأ مدينة القاهرة سنة ٣٥٨هـ – ٩٦٩م امتداداً للفسطاط والعسكر والقطائع. فإنه أعدها لتكون دار خلافة ينزلها الخليفة وعساكره وخواصه، وهكذا كانت الحالة في أطراف المدينة حينما كان يسكنها الخلفاء أو الملوك، فإنها تكون سبباً في عمران ما حولها.

شرع جوهر في بناء سور حول المدينة، وأذن للقبائل بأن تختط كل قبيلة خطة عرفت بها، ثم أنشأ جامع القاهرة (الأزهر)، والقصر الشرقي الكبير، واحتفر الخندق في الجهة الشمالية، وقد لوحظ أن الحارات التي اختطتها القبائل كانت قريبة من الأسوار والحارات كحارات: الروم، وزويلة، والبرقية.

ومن دراسة القاهرة على ضوء ما كتب عنها، تبين أنها خططت وقسمت إلى ميادين ورحاب أمام القصور وفيما بينهما، وأمام مبانيها الرئيسية ومساجدها.

---

[1] محاضرة ألقيت بالمجمع العلمي المصري في جلسة ٤ أبريل سنة ١٩٥٥.

وكان أمام القصر الكبير وفيما بين القصرين الكبير والصغير في الدولة الفاطمية، ميدان فسيح كانت تقام فيه حفلات استعراض الجيش، حيث كان يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل. وعلى الجانب الغربي لهذا الميدان، أقيم القصر الصغير الغربي. وعلى جزء من أرضه الآن منشآت المنصور قلاوون. فعرف هذا الميدان ثم الشارع فيما بعد (بين القصرين). وكان يوجد بجوار القصر الغربي ميدان آخر، موضعه المنطقة المعروفة بالخرنفش، وبجواره البستان الكافوري المطل على الخليج.

وباستقصاء مواقع ملحقات القصرين الفاطميين، عرفنا أنه كان يتوصل إليها من شوارع متسعة، وحولهما الميادين والرحاب، وهذا ما نراه بصورة مقربة على الخريطة التي وضعها مسيورافيس استناداً إلى المراجع التاريخية، وأخالفه في وضعه باب الفرج على الخليج، فقد كان في شارع تحت الربع.

وقد وصف القاهرة الطبيب أبو الحسن علي بن رضوان "بأن ارتفاع الأبنية[(١)] فيها دون أبنية الفسطاط، وأن أزقتها وشوارعها أنظف منها، وإذا تأملنا حال القاهرة كانت بالإضافة إلى الفسطاط أعدل وأجود هواء وأصلح حالاً".

وقال ناصر خسرو الرحالة الفارسي وقد زارها سنة ٤٤١هـ - ١٠٤٩م يصف تخطيطها: "ويقع قصر السلطان في وسط القاهرة، وهو طلق من جميع الجهات، ولا يتصل به أي بناء، وكل ما حوله فضاء... ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة..."[(٢)].

واستطرد في الوصف إلى أنه قال: "وليس للمدينة قلعة، ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعاً من القلعة. وكل قصر حصين. ومعظم العمارات يتألف من خمس أو ست طبقات".

غير أن المعز لدين الله حينما قدم إلى القاهرة سنة ٣٦٢هـ - ٩٧٣م لم يرق في

---

(١) ٣٦٥ - ٦٦ جـ ١ مقريزي (المواعظ والاعتبار).

(٢) سفر نامه ص ٤٨ تعريب الدكتور الخشاب.

نظره موقعها لأنها بغير ساحل، ووجه اللوم إلى جوهر وقال له: "فاتك بناء القاهرة على النيل عند المقس (ميدان المحطة)، فهلا كنت بنيتها على الجرف؟ (منطقة الرصد)[1]. وله كل الحق في نقده، فإن منطقة الرصد التي أشار إليها منطقة جميلة تشرف على النيل والجبل وبركة الحبش، وجمعت بين السهل والجبل، وبين الخضرة والماء، وقد وصفها الشاعر الأشبيلي أبو الصلت أمية ابن عبد العزيز بقوله:

يا نزهة الرصد المصري قد جمعت ... من كل شيء حلا في جانب الوادي

فذا غديـــــر وذا روض وذا جبـل ... والضب والنون والملاح والـحادي

وخير وصف لها، ذلك الذي وصفها به أمير مصر موسى بن عيسى، إذ خرج يوماً إليها فقال لمن حوله:

"أتتأملون الذي[2] أرى؟ قالوا وما الذي يرى الأمير؟ قال: أرى ميدان رهان، وجنان نخل، وبستان شجر، ومنازل سكنى، وذروة جبل، وجبانة أموات، ونهراً عجاجاً، وأرض زرع، ومراعي ماشية، ومرتع خيل، وساحل بحر، وصائد نهر، وقانص وحش، وملاح سفينة، وحادي إبل، ومفازة رمل، وسهلاً وجبلاً، فهذه ثمانية عشر متنزهاً في أقل من ميل في ميل".

وإذا كان فات جوهر ما أشار به المعز لدين الله واختار موقع القاهرة بنظرته العسكرية، فإن الخفاء الفاطميين لم تفتهم مواطن الجمال في أطراف القاهرة والفسطاط والجزيرة، فانتفعوا بها وبشاطئ النيل، وحافتي الخليج، وشبرا، حيث كانت الخضرة والماء، فأنشأوا المناظر والحدائق، وكانوا يقضون فيها أوقاتاً سعيدة. وكان لانتفاعهم بتلك المناطق أثر كبير في تعميرها بخاصتهم والمقربين منهم، فامتد العمران إلى خارج أسوار القاهرة.

---

(1) ص ١٢٨ جـ ١ المواعظ والاعتبار للمقريزي، ٣٧١ جـ ٣ صبح الأعشى، اتعاظ الحنة، ص ٧٤، وهذا المرتفع الصخري على يسار الذاهب إلى المعادي، تجاه منطقة أثر النبي.

(2) المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٥٣.

وفي سنة ٤٨٠هـ – ١٠٨٧م وسع القاهرة الوزير بدر الجمالي من حديها الشمالي والجنوبي، وأجاز السكنى فيها، فامتد عمرانها إلى أطرافها وخارج أسوارها، فصار يقال لأبنية مدينة القاهرة داخل السور. ولما خرج عن أسوارها ظاهر القاهرة، وأنشئت فيها أخطاط جديدة بعد أن كانت فضاء تشغله البساتين، هذا عدا حدها الشرقي فيما بين السور والجبل، فإن الحاكم بأمر الله أمر أن تلقي أتربة القاهرة خلف السور لمنع السيول من دخول القاهرة، فصار منها تلك الكيمان التي تعرف بكيمان البرقية بنهاية شارع الدراسة، وهي الجاري رفعها الآن بهمة مشكورة.

وفي دولة السلطان صلاح الدين، ثم في دولة المماليك، امتد العمران، وخاصة في دولة الناصر مُحَمَّد بن قلاوون، حيث زادت القاهرة بمقدار النصف، وصارت القاهرة والفسطاط مدينة واحدة تمتد من العباسية إلى بركة الحبش (أثر النبي) ومن النيل إلى المقطم[١].

وكان لتحولات النيل فضل كبير في توسيع رقعة مصر والقاهرة. ويصفها ابن فضل الله العمري المؤرخ الجغرافي في القرن الرابع عشر الميلادي بقوله:

"ولم تزل القاهرة في كل وقت تتزايد عمارتها، وتتجدد معالمها، خصوصاً بعد خراب الفسطاط[٢] سنة ٥٦٤هـ – ١١٦٨م وانتقال أهلها إليها حتى صارت على ما هي عليه في زماننا من القصور العلية، والدور الضخمة، والمنازل الرحيبة، والأسواق الممتدة، والمناظر النزهة، والجوامع البهجة، والمدارس الرائعة، والخوانق الفاخرة، مما لم يسمع بمثله في قطر من الأقطار، ولا عهد نظيره في مصر من الأمصار".

هذه لمحة عن نشأة القاهرة، وتطورها الذيساير الزمن فامتدت شمالاً وجنوباً وغرباً، وها هي ستمتد شرقاً بفضل إزالة كيمانها، تلك النقطة السوداء وسط

---

(١) المقريزي المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٣٦٥.

(٢) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٧٠.

صحيفتها البيضاء. وإنشاء مدينة المقطم، ومدينة النصر بالعباسية الشرقية.

هذه المدينة الزاهرة كانت موضع رعاية الحكومات المتعاقبة عليها، والإشراف على جميع مرافقها حتى نمت وتدرجت مع الزمن، كما توضحها المصورات الجغرافية.

تنظيم القاهرة

لم يكن تخطيط المدن جزافاً ولا ارتجالاً، فقد وضعت القوانين للتخطيط منذ الفتح الإسلامي، وعنيت الشريعة الإسلامية بتنظيم تخطيط المدن، ففي سنن أبي داود: أن النبي ﷺ أمر أن ينادي في معسكره، بأن من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له، وذلك حينما لاحظ تضييق صفوف الأخبية في ميادين القتال[(١)].

وقال شارح السنن: إنه لا يجوز تضييق الطريق التي يمر فيها الناس ونفى جهاد من فعل ذلك على طريقة المبالغة في الزجر والتنفير.

وقد وضع عمر بن الخطاب دستوراً لإنشاء المدن، أذاعه على فاتحي الأمصار ومنشئيها في صدر الإسلام، فجعل محور المدينة المسجد بحيث تتفرع الشوارع حوله، وأن تكون المناهج أربعين ذراعاً. وما يليها ثلاثين، وما بين ذلك عشرين، والأزقة سبعة أذرع والقطائع ستين[(٢)].

وكذلك تناول المشرع الإسلامي قوانين سعة الشوارع والطرق، وتناولها في أحكامه. واتفقوا على أن الطريق النافذ مباح المرور فيه لكل إنسان لأنه حق للمسلمين، فليس لأحد أن يبني فيه أو يخالف خط جاره (خط التنظيم فلا[(٣)] يبرز عنه، كما وضعوا قوانين لإقامة الأسبطة[(٤)]، واشترطوا أن تكون مرتفعة بحيث يمر المحمل، أو الفارس على جواد ورمحه قائم، وحرموا بناء المساطب وغرس الأشجار أمام

---

(١) التراتيب الإدارية ص ٢٨٢ جـ ١.

(٢) التراتيب الإدارية ص ٢٨٢ جـ ١.

(٣) الفوائد الباهرة في حكم شوارع القاهرة (خط).

(٤) الساباط: ممر بين منزلين من أعلى.

الدور، ما دام يترتب على غرسها تضييق الطريق).

ووضعوا في حكم المنافع العامة الشوارع الخاصة التي أبيح استعمالها، ومثلها الشوارع التي اصطلح الملاك على تركها من أملاكهم، والطرق التي تشقها الدولة، فلا يجوز شغلها، ولا تضييقها صوناً لنقوش الجدران في وجهات المساجد والدور، وتيسيراً للمرور، ولتوفر الهواء والنور، شددوا على سعة الشوارع.

وقد تركوا الحرية لمن ينشئ شارعاً خاصاً، ولكنهم فضلوا أن يكون متسعاً على أن لا يقل عن سبعة أذرع.

وفي مشروعات نزع الملكية، لتوسيع الشوارع والحارات، ولتوسيع المساجد، اتبعت طريقة المفاوضة مع المالك، فإذا لم يتم الاتفاق يودع الثمن المقدر في بيت المال، ويستولى على العقار[1] وهو ما نتبعه الآن.

على ضوء هذه القوانين، وما استجد بعدها تبعاً لتدرج العمران، وضعت القوانين الخاصة بتنظيم الطرق، وإزالة ما يعترضها، وحددت سلطة المحتسب الذي يقوم بتنفيذها.

والحسبة قانون مدني، فيدخل في اختصاص المحتسب وأعوانه حمل الناس على المصالح العامة في المدينة، وقد جمع اختصاصه بين الشرطة والصحة والبلدية، فيدخل فيه إصلاح الشوارع، والإشراف على نظافتها وإضاءتها وتوسيعها، والتشديد على أن يكون البناء على خط التنظيم، فلا يخرج في الشارع عن سمت جاره. ويمنع الجلوس على الأفاريز والخروج بالميازيب أعلى الجدران والبروز بسقائف أو مساطب أمام الحوانيت والحكم[2] على الملاك بإزالة المباني المتداعية وهدم ما يتوقع منه ضرر على السابلة[3]، وقفل الطريق عند إزالة الخلل صوناً للأرواح[1]، وهذا ما حصل عندما

---

[1] ٤٦ فتوح البلدان طبع أوروبا.

[2] ابن الأخوة (معالم القربة) ص ٧٨ – ٧٩.

[3] خطط الشام جـ ٥ ص ١٣٦.

هدمت منارة جامع المؤيد سنة ٨٢١هـ ١٤١٨م فإن باب زويلة أغلق ثلاثين يوماً.

ومن سلطة المحتسب، أن لا يرخص بإقامة مصانع للصناعات الثقيلة أو مدابغ أو مصانع زجاج أو قماين طوب أو جير إلا خارج المدينة.

وقد بلغ من التشديد في تنفيذ تلك القوانين، النص على إزالة المباني المعترضة للطريق، أو التي تقفله وهدمها، ولو كان المبنى مسجداً[٢].

ومن اختصاص المحتسب منع شغل الطريق بتشوينالمون[٣] وأدوات البناء، إلا لفترات قصيرة مدة نقلها، وله حرية إباحة الخروج بالمشربيات، وإقامة الأسبطة وميازيب المياه وآبار المجاري طبقاً لسعة الشوارع.

وفي مستهل القرن الرابع عشر الميلادي، كان من واجبات والي القاهرة، القيام بتحسين المدينة وتزيينها، فيأمر بعمارة ما في الدور من خلل، وتعمير ما فيها من خراب، والاهتمام بتوسعة رحابها، وتعلية ساباطاتها وسقائف أسواقها، ولا يمكن أحداً من تضييق الطريق أو إحداث ما يضر بالمارة. وأن ينظر في تنظيف الطرق والرحاب من الأوساخ إن كانت من بيت المال، وإلا فيأمر السكان بنظافة ما حولهم[٤]. وكذلك الخروج بالصناعات المقلقة، وقماين حريق الجير، والمدابغ ومسابك الزجاج إلى خارج المدينة.

وكذلك وجدت وقفيات يصرف منها على تعديل الطرق ورصفها[٥] ذكرها ابن بطوطة عند ذكر الأوقاف بدمشق بقوله:

"ومنها الأوقاف على تعديل الطرق ورصفها، لأن أزقة دمشق لكل واحد، منها

---

[١] ١٢٥ جـ ٥ علي باشا مبارك (الخطط الجديدة).

[٢] نهاية الأرب جـ ٦ ص ٣١٤.

[٣] نهاية الأرب جـ ٦ ص ٣١٤.

[٤] آثار الأول في ترتيب الدول ص ١٦٥.

[٥] رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ٦٠.

رصيفان في جنبيه يمر عليهما المترجلون، ويمر الركبان بين ذلك.

النظافة

ويدخل في اختصاص المحتسب منذ إنشاء القاهرة، الإشراف على النظافة ومنع إلقاء القمامة في الشوارع، وعدم الإفراط في رش الماء مما يتسبب منه الزلق. كما يلزم الملاك بإزالة الأوحال من أمام دورهم ومحالهم. ويمنع هز المون وسط الطريق أو ترك مخلفات العمارة، ويشدد على أصحاب الأسواق بكنسها ورشها[1] ومداومة نظافتها، ومنع طرح القمامة بجوار الطرق.

أما المساجد فقد رصد في وقفيتها مبالغ تصرف لمن يقوم بالنظافة والرش أمامها وحولها. وهذا ما تضمنته وقفية الغوري[2] فقد رصد فيها مرتب للكناس والرشاش للطرقات تجاه بابي المدرسة، وحول القبة والخانقاه.

كذلك يحتم على ناقلي السماد إحكام تغطيته عند نقله، حتى تنقطع رائحته فلا يتأذى الناس منها، ويأمر بمنع ربط الدواب في الطريق حتى لا تعوق السير.

وإلى سنة ١٢٢٩هـ - ١٨١٣م كان والي القاهرة وأعوانه من الشرطة يمرون في الشوارع والأسواق ملزمين السكان والتجار بنظافتها ورشها[3].

ظل المحتسب يشرف على تنفيذ أوامر النظافة إلى أن أنشئت أقسام البوليس في أوائل القرن التاسع عشر، وأذيع على أقسام البوليس ورؤسائها ومشايخ الأقسام التعليمات الواجب عليهم اتباعها والمنشورة في الوقائع المصرية الصادرة في ١٧ صفر سنة ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م وقد جاء فيها:

"ينبغي عند صبيحة كل يوم أن يقوم أهل الأسواق بكنس ورش المنطقة أمام دكاكينهم وأن سكان المنازل يكنسون ويرشون أمام بيوتهم، فإذا ضبط مندوب

---

(1) معالم القرية ص ٧٩.

(2) الخطط الجديدة جـ ٥ ص ٦٣.

(3) الجبرتي جـ ٤ ص ٢٠٤.

أميرالاي المحروسة أناساً يلقون القاذورات، يضربهم ضرباً خفيفاً، ويحذرهم من العودة إلى ذلك، وعلى أقسام البوليس تأديب من يتأخر عن النظافة أمام بيته أو دكانه؛ ويجب المناداة بذلك والتنبيه على مشايخ الحارات بمراقبة التنفيذ.

أما المنشآت الحكومية، فينبه على نظارها بالإشراف على نظافة ما حولها وما يكون حول القلعة يكلف بنظافته سقا باشي القلعة.ويقوم بنظافة المحلات الخربة سقا الحارة، وأجرته على الموسرين من السكان.

وفي سنة ١٨٣١هـ عينت الحكومة الموظفين لمراقبة النظافة ومراقبة تنفيذ[(١)] تلك التعليمات، كذلك حددت أماكن لإلقاء الأتربة (المقالب)، فلا يلقي فيها إلا بإذن. كما حددت أماكن لإيداع القمامة تودع فيها إلى أن تنقل وتلقى في البحر، وهذا ما حدده الأمر الصادر من مجلس الملكية في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٤٩هـ – ١٨٣٣م وقد أذن بخروج الأتربة المخلفة من عمارات قصور قنطرة الدكة، والأزبكية من أبواب القاهرة، المعتاد إخراج الزبالة وفضلات القاهرة منها، إلى خارج المدينة.

وأن يأمر كذلك ناظر الترسانة بإتمام إنشاء القوارب اللازمة لنقلها إلى خارج المدينة، والتي تجمع بشونة المسكنة بساحل البحر إلى البحر الأبيض المتوسط مراعاة للصحة العامة[(٢)].

مكافحة التسول

لم يكن الاهتمام بالقاهرة قاصراً على نظافتها من القاذورات، بل شمل نظافتها من المناظر المنفرة، فقد كوفح أصحاب العاهات ومفتعلوها، ذلك أنه في سنة ٦٦٤هـ ١٢٦٥م، أمر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري بجمع أصحاب العاهات، فجمعوهم بخان السبيل بالحسينية[(٣)]، ثم نقلوهم إلى الفيوم، وأفردت لهم بلدة تغل

---

(١) تاريخ الإدارة الصحية ص ٣٦.

(٢) وثيقة رقم ١٨ دفتر ٧٩٦ ديوان خديوي.

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ١ قسم ٢، ص ٥٥٣ والتحفة الملوكية ص ١٩.

للصرف عليهم بما يكفيهم، وأراحوا الناس من مضايقاتهم، غير أنهم لم يستقروا بها وتفرقوا، ورجع كثير منهم إلى القاهرة.

والعناية بالفقراء ووقايتهم شر السؤال موجودة في جميع أدوار التاريخ منذ فجر الإسلام، ومنذ الدولة الفاطمية أنشئت الربط لإيواء الفقراء من الرجال والنساء، وما خصص منها للنساء كان بمثابة دور كفالة للمرأة، وكان للنساء فضل إنشاء الكثير منها في دولتي المماليك، إلى القرن الثامن عشر، وكانت تلك الربط تؤوي النساء الفقيرات والعجائز والأرامل والبنات حتى يتزوجن، والمطلقات حتى يعدن إلى أزواجهن أو يتزوجن.

وكان يختار لرئاسة تلك الربط، سيدات اشتهرن بالعلم والحزم لتعليم المقيمات بها وصيانتهن، وإلى الآن ما زالت بقايا تلك الربط موجودة "كرباط خوند زينب بالخرنفش".

وكثيراً ما كانت الحكومات تجمع المتسولين إذا لاحظت عليهم تمرداً دعاها ذلك إلى مكافحتهم بشتى الوسائل، ذلك أنه في سنة ٧٧١هـ - ١٣٦٩م أمر السلطان شعبان بجمع المتسولين وتوزيعهم على الأمراء والتجار لإعالتهم، كل حسب مقدرته وثرائه، ونودي في القاهرة بعد ذلك أن لا يتصدق أحد على متسول[١].

وفي سنة ١١٠٦هـ - ١٦٩٤م وقع غلاء بمصر، فعزت الأقوات على الفقراء فاهتم بهم إسماعيل باشا والي مصر، فجمع الفقراء والمتسولين ووزعهم على الأمراء والتجار للإنفاق عليهم، وخص نفسه بجانب منهم، إلى أن انقضى الغلاء[٢].

وفي ٢٣ جمادي الثانية سنة ١٢١٥هـ - ١٨٠٠م صدرت الأوامر بجمع المتسولين وخصصوا أماكن لإقامتهم، وعهدوا إلى نظار الأوقاف بالصرف عليهم[٣].

---

[١] عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان العيني جـ ٢٤ قسم ٢ ص ١٨٣.

[٢] تقويم النيل جـ ٢ ص ٦٥.

[٣] عجائب الآثار للجبرتي جـ ٣ ص ١٣٨.

وفي أوائل القرن التاسع عشر جمع الغلمان المشردون وألحقوا بالمصانع المنشأة وقتئذ.

مكافحة المناظر المحزنة والدجالين

وكذلك وجهت العناية إلى مكافحة المناظر المحزنة والدجالين التي تخالف تعاليم الدين فكان المحتسب منذ الدولة الفاطمية يمنع النساء من الخروج خلف الجنازات كاشفات وجوههن ورؤوسهن، ويعاقب النائحات إلى حد النفي[١].

وفي سنة ٨٢٤هـ - ١٤٢١م منع المحتسب النساء من النياحة على الأموات[٢].

وفي شوال سنة ٩١٠هـ - ١٥٠٤م أمر السلطان الغوري بأن ينادي في القاهرة بأن لا يعمل عزاء بطارات، ولا نائحة تنوح على ميت. ثم أوعز إليه على نائحة عملت عزاء بطارات، فقبضوا عليها، ولطخوا وجهها بالسواد وعلقوا طاراً في عنقها وأركبوها حماراً، وشنعوا عليها في أنحاء القاهرة. وكان هذا سبباً في إقلاع النساء عن تلك العادات[٣].

وكذلك كافحوا الدجالين الذين ينصبون على النساء ويغررون بهن. فقد صدرت أوامر الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٣هـ - ١٣٢٣م بالقبض على المنجمين وتسليمهم إلى والي القاهرة، فضربوا وحبسوا، ومات منهم تحت العقوبة أربعة[٤].

ومن ذلك ما فعله الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٣هـ من ذبحه للعنزة التي كان يدجل بها الشيخ عبد اللطيف خادم السيدة نفيسة، وتوبيخه والتشهير به بوضع

---

[١] معالم القربة في أحكام الحسبة ص ٥١.

[٢] نزهة النفوس والأبدان ص ١٠٣ (خط).

[٣] ابن أياس جـ ٤ ص ٧٦.

[٤] البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٦١.

جلدها على عمامته وطوافه بالقاهرة وسط الطبول والأشاير[١].

تمهيد الطرق

لم تقف العناية عند تنظيم الطرق وتوسعتها ونظافتها، بل شملت تمهيدها وتعبيدها حتى يمكن السير والجر عليها، فقد كان عمر بن الخطاب يعهد إلى أهل الذمة بإصلاح الجسور والطرق[٢] كما ثبت أن عبد العزيز بن مروان في ولايته على الفسطاط سنة ٦٥هـ- ٦١٤م اهتم بتعبيد الطرق، وأعد لها الأدوات اللازمة، ليمكن السير والجر عليها[٣] وكذلك تضمنت التعليمات التي كانت تصدر إلى والي الفسطاط عند تعيينه[٤] ، التشديد على نظافة المسالك والساحات، ومنع توعير السبل، والطرقات، وكانت الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم مصر تقوم بين آونة وأخرى، بتمهيد الطرق وقطع ما ارتفع منها[٥] باعتبار ذلك من الأعمال الرئيسية للدولة.

وقد بلغ من الاهتمام بتنظيم الطرق وإعدادها وتنسيقها، احتساب الاهتمام بها من حسنات الملك أو الوالي المهتم بها. كما ورد في ترجمتي الأمير منجك[٦] اليوسفي والملك[٧] الأشرف أينال؛ فقد عد من حسناته أنه وسع شارع بين القصرين.

وفي القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، اشترك والي الشرطة مع المحتسب في تنفيذ تلك الأوامر، فكان يلزم سكان الدور والحوانيت بتمهيد الطريق

---

[١] عجائب الآثار جـ ١ ص ٣٦٢.
[٢] التراتيب الإدارية جـ ١ ص ٢٨٣.
[٣] التراتيب الإدارية جـ ١ ص ٢٨٤.
[٤] صبح الأعشى جـ ١ ص ٣٣٦.
[٥] المقريزي جـ ٢ ص ١٠٧ (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار).
[٦] المنهل الصافي لابن تغرى بردي جـ ٣ قسم ٣ ص ٣٦٧.
[٧] الضوء اللامع السخاوي جـ ٢ ص ٣٢٩.

أمامهم[١].

ومن لهم أثر مشكور في العناية بالطرق، الأمير يشبك من مهدي دوادار الملك الأشرف قايتباي، فإنه في سنة ٨٨٢هـ- ١٤٧٨م شرع في توسعة الطرق والشوارع والأزقة، وخاصة الشارع الرئيسي للقاهرة من باب الفتوح إلى باب زويلة، وتبييض الدكاكين ووجهات الربوع، وعهد إلى القاضي فتح الله السوهاجي أحد نواب الشافعية، بأن يحكم بهدم ما وضع في الشوارع والأسواق بغير طريق شرعي، من أبنية، وسقائف، ورواشن، ومساطب[٢] واستمرتتلك العملية إلى سنة ٨٨٣هـ- ١٤٧٩م حيث أمر أيضاً بإصلاح وجهات المساجد، وطلاء رخامها، فحصل بذلك نفع كبير.

وكان لتوسيع الطرق وتمهيدها أثر كبير في الكشف عن وجهات المساجد المطلة على الشارع الرئيسي (المعز لدين الله). وعين للإشراف على تنفيذ تلك الأعمال، ملاحظاً للطرق[٣]. كان يستحث الناس على سرعة إنجاز أعمال البياض والدهان، حتى صارت القاهرة كأنها مستجدة البناء والزخرف، وكذلك اهتم بتجميل شوارع القاهرة السلطان الناصر[٤] أبو السعادات مُحَمَّد بن الأشرف قايتباي، فإنه أمر في سنة ٩٠٤هـ- ١٤٩٨م بأن ينادي في القاهرة بأن جميع أصحاب الحوانيت التي بالأسواق والشوارع يبيضون وجوهها، ويزخرفونها بالدهان، ثم أمر بتبييض وجوه الرباع المطلة على الشوارع.

وكذلك اهتم السلطان الغوري بتمهيد الطرق وتعبيدها. فألزم السكان بالقيام بهذا العمل في سنة ٩٠٩هـ- ١٥٠٣م[٥].

وإلى سنة ١٢٣٣هـ- ١٨١٧م كانت الحكومة تلزم السكان بتمهيد الطرق، إذ

---

[١] التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي ص ٣٦.

[٢] ابن إياس جـ ٢ ص ١٧١- ١٧٧، النزهة السنية في ذكر الخلفاء والملوك المصرية ص ١٣٥.

[٣] تاريخ مصر لابن إياس جـ ٢ ص ١٧٧.

[٤] تاريخ مصر لابن إياس جـ ١ ص ٣٤٦.

[٥] تاريخ مصر لابن إياس جـ ٤ ص ٥٩.

في هذه السنة كلف بهذه المأمورية مصطفى أغا المحتسب، فنادى في المدينة وأمر الناس بقطع أرضية الطرقات والأزقة حتى العطف والحارات الغير نافذة[1].

ولم تغفل كتب اللغة شؤون الطرق، فعالجت مسمياتها في معاجمها، وقد عكف على جمعها الباحث المدقق السيد سليم الجندي وسماها "رسالة الطرق" ونشرها تباعاً في تسع مقالات في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، بدأها في الجزأين السابع والثامن من المجلد الثامن عشر (جمادي الآخرة رجب سنة ١٣٦٢هـ- ١٩٤٣م)، وانتهى منها في المقال التاسع المنشور في الجزأين السابع والثامن من المجلد العشرين سنة ١٩٤٥.

تجميل القاهرة

من تلك الأخبار نقف على أمر هام، وهو أن العناية لم تقتصر على تعبيد الطرق وتمهيدها بالقاهرة، بل تعدتها إلى تجميلها، مما دعاهم أيضاً إلى ستر الخرائب عن العيون، كما نفعل الآن بوضع لوحات الإعلانات عليها.

ذلك أنه لما استولى الخراب في زمن المستنصر بالله أمر الوزير أبو مُحَمَّد اليازوري ببناء جدار يستر الخرائب عن نظر الخليفة الفاطمي حينما يتوجه من القاهرة إلى الفسطاط، وذلك فيما بين العسكر والقطائع، وكذلك أقام جداراً آخر عند جامع أحمد بن طولون[2].

وفي خلافة الآمر بأحكام الله عهد إلى وزيره أبي عبد الله مُحَمَّد بن فاتك بتعمير الخرائب والفضاء فيما بين باب زويلة والسيدة نفيسة، فنادى في القاهرة وأمر بأن من كانت له دار في الخراب أو مكان يعمره، ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له في شيء منه، ولا حكر يلزمه. فعمرت الخرائب وأصبحت المنطقة عامرة، وأصبحت القاهرة لا تتخللها

[1] عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي جـ ٤ ص ٢٩٠.

[2] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ٢ ص ٢٠.

خرائب[1].

وكذلك نقلت أنقاض مدينة العسكر ومهدت، فصار الفضاء فيما بين السيدة نفيسة إلى كوم الجارح (وهي المنطقة التي مهد جزء من كيانها. والمعروفة بتلال زين العابدين.

ولأهمية بركة الفيل باعتبارها من أجمل متنزهات القاهرة، عنى الناصر مُحَمَّد بن قلاوون، بتجميلها والمحافظة على رونقها، فأمر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، بإقامة حائط بطولها[2] ليحجب الأجزاء التي لم تعمر من جهة الجسر الأعظم.

فرش الرمل الأصفر

وعلى ذكر تجميل القاهرة أذكر أن مصر عرفت فرش الرمل الأصفر في حفلاتها الرسمية منذ ألف عام، فقد كان نظام حفلات الاستقبال في الدولة الفاطمية يقضي بفرش الرمل في الطريق المؤدي إلى القصر الفاطمي[3] وأمامه، وهذا ما كان متبعاً بمصر إلى وقت قريب جداً.

ظلت العناية بتعبيد الطرق، وإصلاحها وتجميلها موكولة إلى سكان القاهرة حتى عنيت بها الحكومة وأصدرت أوامرها في سنة ١٨٤٨م، بتعيين أربع بلوكات من ديوان الجهادية للقيام بتسوية وتمهيد الطرقات والشوارع في كل من نواحي الموسكي، والأزبكية[4] وبولاق.

القضاء على الخرائب

وكذلك وجهت العناية إلى إزالة الدور المتخربة، والقضاء على الخرائب التي

---

[1] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ٢ ص ٢٠.

[2] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ٢ ص ١٦٥.

[3] المواعظ والاعتبار للمقريزي جـ ١ ص ٤٣٣.

[4] الوقائع المصرية العدد ١٠٦ الصادر في ٢٣ ربيع الأول سنة ١٢٦٤هـ

تشوه القاهرة، فصدرت الأوامر في سنة ١٨١٦م بإعداد تجريدة من المهندسين للكشف على دور القاهرة، فإن وجدوا بها خللاً أمروا بإصلاحه أو هدمه، وذلك على أثر[١] سقوط منزل.

وتعجيلاً لعمرانها والقضاء على خرائبها، صدر قرار آخر بتعمير الخرائب، سواء أكانت مملوكة أم موقوفة، وذلك في سنة ١٨٣١م بعد إحصائها فيه:

"يؤذن بالقرار الصادر بشأن خرائب القاهرة التي أصحتها اللجنة برئاسة أمين أفندي، وعضوية الباشمهندس الحاج مصطفى قوله، والشيخ حسن أبو صفيحة مندوب المحكمة الشرعية، والتي تبين من إحصائها أن عدد الخرائب بأقسام البوليس السبع[٢] بالقاهرة بلغ ٢٥٨ خرابة ليس في مقدور مالكيها القيام بترميمها، فهذا القرار يعرض بأن تقسم هذه الخرائب إلى قسمين قسم تراه الحكومة لازماً لها فتأخذه وتعمره، والقسم الآخر تتخذ الإجراءات اللازمة لبيعه لمن حوله من الجيران الموسرين الذين يستطيعون بناءه وتشييده".

هذا ما يتعلق بالأعيان المملوكة، أما الأعيان الموقوفة فقد صدر بشأنها أمر في سنة ١٢٤٧هـ – ١٨٣١م نصه:

"يؤذن بقراره الصادر بشأن ٩٧٨ عيناً من عقارات الأوقاف كانت لجنة إحصاء خرائب القاهرة ذكرت في تقريرها أن نظار الأوقاف التابعة لهم أخذوا على عهدتهم أن يرمموها[٣].

وبما أن معظم هذه المحال لم تمسها يد الإصلاح إلى الآن، فالمجلس يرى وجوب قيدها في الديوان الخديوي، مع إرغام نظارها على الوفاء بعهدهم، على أن لا يضن عليهم بتقديم المعونة اللازمة من قبل ناظر الأبنية الأميرية.

---

[١] عجائب الآثار للجبرتي جـ ٤ ص ٢٥٣.

[٢] وثيقة رقم ٨٦ (١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٤٧) دفتر تركي ٧٨٤.

[٣] وثيقة رقم ١٩١ (١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٤٧).

وفي سنة ١٨٣٧م صدر قانون بمعاينة المساكن الآيلة إلى السقوط وإزالتها هي والحيشان والدور المتخربة المستعملة كزرايب ومستودعات للقاذورات، والتنبيه على أصحابها ببنائها مساكن، وذلك في ظرف ثلاثين يوماً، وإلا عرض العقار للبيع، فإن لم يتقدم مشتر اشترته الحكومة، وإن كان تابعاً لوقف تنبه على ناظره بالبناء، فإن لم يستطع يصير استبداله[١].

إزالة الكيمان وغرس الأشجار

وفي سنة ١٨٢٩م أزيلت الكيمان المجاورة للقصر العالي (جاردن سيتي) والمعروفة بكوم العقارب، وكان مسطحها تسعة أفدنة، فأزيلت في ٣٩٣ يوماً.

وكذلك أزيلت التلال فيما بين الناصرية وجاردن سيتي ومساحتها ٣٨ فداناً وغرست بأشجار الزيتون وغيرها[٢].

وكذلك أزيلت الأكمة، التي كانت تسد الطريق إلى شبرا، بجوار قنطرة الليمون وحولت إلى منتزه عام[٣].

وفي سنة ١٤٨٦ استعجل الأمر الصادر بتوسيع أزقة وفتح شوارع الموسكي وقطع كوم سلامة، وشوارع بولاق وفم الخليج والقلعة[٤].

وفي سنة ١٢٦٠هـ – ١٨٤٧م حولت المنطقة عند كوبري الليمون إلى متنزه عام غرست فيه أنواع الزهور والأشجار[٥].

وفي سنة ١٢٦٣هـ – ١٨٤٧م شرع في توسعة الشارع من باب الحديد إلى

---

[١] تاريخ الإدارة الصحية في مصر ص ٣٨ – ٣٩.

[٢] الوقائع المصرية رقم ١١٤ (٢ رمضان سنة ١٢٤٥).

[٣] تقويم النيل جـ ٢ ص ٥٣٢.

[٤] الوقائع المصرية.

[٥] الوقائع المصرية.

الظاهر، والمتصل بطريق السويس[1]، كما أجرى توسيع شوارع درب الجماميز، وباب الخلق، والمشهد الحسيني، ثم غرست الأشجار في الشوارع، ومهد طريق متسع بين مصر وشبرا غرست على جوانبه أشجار الجميز واللبخ، كان من أجمل متنزهات مصر .وكذلك ردمت بركة الأزبكية وحولت إلى متنزه عام[2].

ثم غرست الأشجار على جانبي الشوارع الكبيرة. وحينما ظهرت آثارها من تجميل المدينة وتلطيف الجو، صدرت الأوامر بغرسها على حافتي طريق الرميلة وقره ميدان[3].

التغييرات الجوية

وكانت تصدر نشرة عن الظواهر الجوية في الوقائع المصرية تحت عنوان (ميزان هواي مصر).ظهرت لأول مرة في الوقائع المصرية الصادر في غاية ذي القعدة سنة ١٢٤٤هـ ١٨٢٩م.

مجلس للإشراف على تجميل القاهرة

في ٨ ذي الحجة سنة ١٢٥٩ – ديسمبر سنة ١٨٤٣م، صدر أمر بإنشاء مجلس للإشراف على تزيين وتجميل المحروسة، وتعديل طرقها، أسوة بما استحدث في الإسكندرية، وهذا المجلس مؤلف من:[4] رشيد أفندي مفتش الأبنية الأميرية، لينان أفندي مهندس القناطر، مصطفى بهجت رئيس قلم الهندسة بديوان المدارس.

مجلس تنظيم المحروسة

ورد ذكر هذا المجلس سنة ١٢٦٤هـ – ١٨٤٧م في الأمر الصادر بترقيم الدور وتسمية شوارع المحروسة.

---

[1] الوقائع المصرية عدد ٧٥ (١٣ شعبان سنة ١٢٦٣).

[2] الوقائع المصرية رقم ٨٩ في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٢٦٤.

[3] الوقائع المصرية عدد ٩٧ بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٢٦٤.

[4] دفتر ٢٠٩١ ورقة ١٤ ديوان المدارس.

وفي ٥ شعبان سنة ١٢٨٤هـ – ٢ ديسمبر سنة ١٨٦٧م، صدر أمر بتشكيل مجلس بلدي وفصل إيراد مدينة القاهرة ومصروفها من نظارة المالية، وإسناد إدارتها إلى هذا المجلس ليعمل على تنظيم المدينة، وليكون له الحق في تنظيم ميزانيته، وصرف ما يراه مناسباً للأعمال النافعة، شأنه في ذلك شأن المجالس البلدية في سائر الممالك[١].

من ذلك الوقت أخذت الحكومة في الإشراف بنفسها وعلى نفقتها القيام بأعباء كل تلك الأعمال.

كورنيش النيل

وعلى ذكر العناية بالنيل، وتنفيذ عمل الكورنيش عليه من حلوان إلى القناطر الخيرية ذلك العمل الخالد في تاريخ مصر الحديث. وأنصع صفحة من صفحات حكومة الثورة العمرانية. أذكر أن النيل كان موضع الرعاية والاهتمام بترك شاطئه خالياً من البناء، ولكنهم قديماً صبغوا قوانين تخليته بصبغة دينية، فحذروا الناس من السكنى على شاطئه مباشرة، وقالوا: إن الجالس على النيل كالجالس على الطريق[٢]، لأن البحر طريق للمرور فيه بالمراكب، وذلك منعاً لكشف عورات المسلمين، وللبعد عن سماع فحش الكلام من النوتية وغيرهم، صوناً للبنات والنساء.ثم ذكروا أن العلماء نصوا على أن حرم العيون خمسمائة ذراع، وحرم الأنهار ألف ذراع.

وفي أخريات سنة ٧٠٨هـ – ١٣٠٨م أمر الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير بإقامة جسر على النيل من القاهرة إلى دمياط، وذلك حينما وصلت إليه الأخبار بأن ملك قبرص تآمر مع غيره من ملوك الفرنج على غزو دمياط، فاجتمع الأمراء واتفقوا على تنفيذ الجسر من القاهرة إلى دمياط. خشية أن تكون حركة الفرنج في زيادة النيل فيتعذر الوصول إلى دمياط، وعهد إلى الأمير آقوش الرومي

---

[١] إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ص ١١٦.

[٢] المدخل لابن الحاج جـ ١ ص ٢٤٦ – ٢٤٨.

بتنفيذه. فكتب الأمراء إلى بلادهم بخروج الرجال مع الأبقار كل في منطقته، وصدرت الأوامر إلى الولاة بمساعدة الأمير آقوش بالرجال والأبقار. فسارت الأعمال بهمة خارقة، حيث عمل في تنفيذه ٣٠٠ جرافة بستمائة رأس بقر، وثلاثين ألف رجل، إلى أن فرغ في نحو شهر واحد، فكانت المسافة من قليوب إلى دمياط تقطع في يومين. وعرض الطريق من أعلاه أربع قصبات ومن أسفله ست قصبات يسير فيه ستة رؤوس من الخيل صفاً واحداً. فعم النفع به. وسلكه المسافرون بعد ما كان يتعذر المرور فيه أيام فيضان النيل لغمره بالماء.

الإضاءة

كانت الإضاءة تعم الشوارع والحارات في الفسطاط ثم في القاهرة، ذلك أنه في سنة ٣٨٣هـ – ٩٩٣م أمر الخليفة العزيز بالله بإضاءة المصابيح على الدور وفي الأسواق[١]. وفي ذي الحجة سنة ٣٩١هـ – ١٠٠٠م أمر الحاكم بأمر الله أن توقد القناديل في سائر البلد على جميع الحوانيت وأبواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة، فنفذت أوامره. ولازم الحاكم بأمر الله الركوب في الليل، وكان ينزل كل ليلة إلى المدينة متفقداً شوارعها وأخطاطها وأزقتها، فتبارى السكان في الإضاءة، وزينت القياسر والأسواق بأنواع الزينة[٢].

ولم تكن الإضاءة قاصرة على الدور والشوارع والحوانيت، بل ألزم بها المشاة، فكل إنسان يحمل فانوساً يضيء له، ومنها الصغير للفرد والكبير يسير به الضوي أما سادته. هذا عدا المشاعل التي تتقدم المواكب.

والطريف في أمر الإضاءة في المواكب ما اتخذ منها لمنع التصادم ومنع الخطر في الليل، وأول من حمل الشمع معه على البغال في الليل مُحَمَّد بن طغجالأخشيد منذ عشرة قرون ونصف. فكانت الشمعة تحمل على مؤخر البغل وفراش راكب أمامها

---

[١] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي جـ ٢ ص ١٠٨.

[٢]المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي جـ ٢ ص ١٠٨.

يلتفت إليها بين آونة وأخرى يصلحها أو يضيئها، ولا شك في أنه كان يسير في مؤخر الركب، بل وفي مقدمته أيضاً[١].

ومنذ ذلك الوقت شاع استعمال الفوانيس التي تحمل على البغال مع الفانوسية أمام وخلف ركب الملوك في الليل. وظلت أوامر الإضاءة على الدور والأسواق منفذة على سكان مصر تصدر بشأنها الأوامر بين آونة وأخرى[٢]، إلى أن كان عهد الحملة الفرنسية بمصر سنة ١٢١٣هـ – ١٧٩٨م فإنهم أمروا بإبطال القناديل التي كانت توقد في الليل على الدور والدكاكين. وأن يوقدوا عوضاً عنها في وسط السوق مجامع في كل مجمع أربع قناديل، وبين كل مجمع ٣٠ ذراعاً، يقوم بذلك الأعيان دون الفقراء، ثم عادت الإضاءة إلى نظامها القديم.

مكافحة الحريق

كان في مدينة الفسطاط في عهد والي مصر عبد العزيز بن مروان، فرقة إطفاء مكونة من خمسمائة عامل لمكافحة حريق طارئ في البلد[٣] أو هدم، ولقد شملت أوامر الإضاءة أمام الدور والدكاكين منذ الدولة الفاطمية ضرورة وضع زير مملوء بالماء أمام كان حانوت مخافة حدوث حريق في مكان فيطفأ بسرعة[٤].

ولما كثرت الحرائق في سنة ٤٠٥هـ – ١٠١٤م أمر الحاكم بأمر الله باتخاذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوءة، وإزالة السقائف التي على أبواب الحوانيت والرواشن التي تظلل الباعة فنفذت أوامره بالفسطاط والقاهرة[٥].

وفي سنة ٥١٧هـ – ١١٢٣م أمر الوزير المأمون الواليين بمصر والقاهرة،

---

[١] صبح الأعشى جـ ١ ص ٤١٦.

[٢] عجائب الآثار للجبرتي جـ ٣ ص ٤١.

[٣] المقريزي المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٧٨.

[٤] المقريزي المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٠٧.

[٥] المقريزي المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٠٨.

بإحضار رؤساء السقائين وأخذ التعهدات عليهم باستعدادهم للحضور كلما دعت الحاجة إليهم ليلاً ونهاراً. ورتب عدداً من العتالين كي يبيتوا على باب كل معونة (مركز الشرطة) مع عشرة من الفعلة ومعهم الطوارق والقرب مملوءة بالماء. على أن تتكفل الحكومة بنفقاتهم[١].

وبمناسبة الحرائق التي حدثت بمصر والقاهرة سنة ٧٢٠هـ – ١٣٢٠م نودي في القاهرة بوضع زير أو دن مملوء بالماء عند كل حانوت، وأن يقام مثل ذلك في الحارات[٢] والأزقة.

وإلى القرن الخامس عشر مان والي الطواف (صاحب العسس) يجلس كل ليلة بعد العشاء في منطقة الغورية وأمامه مشعل وحوله عدة من الأعوان وكثير من السقائين، والنجارين، والقصارين، والهدادين بنوب مقررة لهم، خوفاً من أن يحدث في القاهرة حريق بالليل، فيتداركون إطفاءه، ومن حدث منه في الليل خصومة، أو وجد سكراناً، أو قبض عليه من السراق، تولى أمره وإلى الطوف، وحكم عليه بما تقتضيهالحال[٣].

مصلحة الإطفاء

ظل الشعب بالاشتراك مع الحكومة يكافح الحرائق إلى حوالي سنة ١٨٤٥م حيث أنشئ قسم لطلمبات الحريق (مصلحة الإطفاء) وإلحاق تسعين جندياً به، وإيداع طلمبة في كل خط من أخطاطها، واستحضرت الأدوات اللازمة لصنع آلات الإطفاء بمصر.

ثم صدرت التعليمات إلى المشرفين على المطافئ بأن يرفعوا عقب كل حريق تقريراً عن أسباب الحريق، وبيان الخسائر، والمدة التي أخمد فيها الحريق.

---

[١] المقريزي المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٤٦٣.

[٢] المقريزي المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٥١٤.

[٣] المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ٢ ص ١٠٣.

وتحدثنا الوقائع المصرية عن نماذج لبعض الحوادث ووصفها، ننشرها بنصها:

"في ١٠ شوال سنة ١٢٦٣هـ– ١٨٤٧م وصل الخبر إلى الضبطية بظهور حريق في الساعة الرابعة من ليلة ٢٧ رمضان الماضي في منزل علي الزيات بباب الشعرية، فأرسلت الضبطية ما لزم من الطلمباتوالطلومبجية، وحصل تدارك الحريق بطلومبة الخط المذكور أيضاً، فحصل إخمادها سريعاً، ولكنه نفق بسببها بقرتان وثوران وحمار.

ونشرت في العدد الصادر في ١٧ شوال سنة ١٢٦٣هـ– ١٨٤٧م أن مخزن الليف ببولاق ملك الشيخ مُحَمَّد صقر، ظهرت به حريقة في الساعة الثانية من يوم الجمعة الموافق نهاية الشهر الماضي، ولما وصل خبره إلى الضابطخانة أرسلت من طرفها ومن طرف الطلومبخانة بعض الطلمبات مع مأموريها وبذلوا جهدهم الزائد مع الطلمبجية المختصين ببولاق، فأخمدوها، ولم يحترق سوى جانب من ليف كان موجوداً بالمخزن[١].

وفي فبراير سنة ١٨٧٥م تحرر من وزارة الخارجية إلى الحكومة الإنجليزية بطلب انتداب اليوزباشي شو رئيس فرقة المطافئ بلوندرة، لاستشارته في الإجراءات التي تتخذ ضد الحريق، وتنظيم فرقة المطافئ بالقاهرة، والإقامة لهذا الغرض بضعة أيام للإدلاء برأيه في هذا الشأن[٢].

وكان الإطفاء بواسطة آلات تدار بالبخار، تجرها جياد دربت أحسن تدريب كانت تتحرك من أماكنها بمجرد سماعها جرس الحريق وتقف في مكانها من سيارة الإطفاء، وظلت مستعملة إلى أن استبدلت بسيارات الإطفاء في سنة ١٩٢٠.

تسمية الشوارع وترقيم الدور

عهدنا بالشوارع والحارات والرحاب في القاهرة أن تطلق عليها أسماء التجارات والصناعات التي تشغلها، كما أطلق عليها أسماء بعض القبائل والأفراد كما هو واضح

---

[١] الوقائع المصرية عدد رقم ٨٣ سنة ١٢٦٣هـ– ١٨٧٤.

[٢] إسماعيل كما تصوره الوثائق ص ١١٧.

ومدون في أول الجزء الثاني من خطط المقريزي، وما هو وارد في الحجج القديمة.

وفي سنة ١٨٤٧م وبعد أن نظمت القاهرة وشقت فيها الشوارع، وغرست بها الأشجار وأضيئت، رؤى تسمية الشوارع وترقيم الدور، فصدر الأمر بذلك في سنة ١٢٦٢هـ- ١٨٤٧م مستهلاً بتلك الديباجة:

"لما كانت كتابة أسماء الأزقة بمصر المحروسة على محل يناسبها فوق زواياها، وتنمير البيوت الكبيرة والصغيرة برقم نمرها بأعلى أبوابها أو بجانبها، كأسلوب أوروبا، مما يستوجب المنافع العظيمة للمملكة، ويورث السهلة لمن يقصد زقاقاً أو بيتاً، سواء كان من الأهالي أو من الأجانب، استقر الرأي بمجلس تنظيم المحروسة، على التدابير اللازمة لذلك، طبق الإرادة السنية، واندرج بيانها تفصيلاً في نسخ الوقائع المنمرة برقم ٦٤ وحصل في هذه الأيام الشروع في إجراء ذلك ابتداء من باب الخلق بمقتضى الترتيب الآتي ذكره أدناه وهو خمسة عشر بنداً:

(البند الأول)

حيث إن خليج مصر المحروسة ماراً من وسطها تقريباً، وكان باب الخلق متصلاً بالخليج المذكور، ومركزاً لمصر المحروسة، استنسب أن تكون الجادة الممتدة من باب الخلق إلى القلعة، تسمى بشارع القلعة[1] ، ويكتب على رأس زوايا تلك الطرق اسم شارع القلعة وتكتب نمر البيوت الكائنة هناك على أرضيات بيضاء بمداد أسود، يحيط بها برواز لونه كلون مداد الأحرف، وتنمر البيوت التي عن يمين المار بباب الخلق بنمرة الوتر، والتي عن يساره بنمرة الشفع، أي تكون التي في الجهة اليمنى غير مزدوجة، والتي في الجهة اليسرى مزدوجة إلى انتهائها بناحية القلعة.

(البند الثاني)

أن تسمى الطريق الممتدة من باب الخلق إلى مبرك النوق المعبر عنه الآن بباب

---

[1] كان الشارع الرئيسي الموصل إلى القلعة من باب الخلق هو تحت الربع، فالدرب الأحمر فالتبانة، فباب الوزير حيث لم يكن شارع محمد علي موجوداً وقتئذ.

اللوق بشارع باب اللوق. وابتدأ بالنمر من باب الخلق على الوجه المشروح بالنسق المذكور في الأحرف والبرواز والأرضية.

(البند الثالث)

إن الجادة الممتدة من باب السيدة زينب البراني، إلى غاية قره قول باب الخلق تسمى بشارع السيد زينب، ويكون لون أرض لوحتها أصفر، ولون أحرفها وبروازها أحمر.

(البند الرابع)

إن الطريق الممتدة من باب الخلق إلى زاوية الموسكي، تسمى بشارع باب الخلق ويكون لون أحرفها أحمر كذلك، وأرضية لوحتها صفراء.

(البند الخامس)

إن الجادة التي من زاوية الموسكي إلى غاية باب العدوي، تسمى بشارع الشعراني، وتكون أحرفها حمراء أيضاً، وأرض لوحتها صفراء.

(البند السادس)

إن الطريق الممتدة من قرة قول السيدة زينب إلى القلعة، تسمى بشارع الرميلة، وتكون أحرفها وبروازها بالمداد الأسود، وأرضيتها بيضاء.

(البند السابع)

إن الجادة الذاهبة من قرة قول الصليبة إلى باب زويلة، تسمى بشارع الصليبة ويكون لون خطها أحمر على أرضية صفراء.

(البند الثامن)

إن الطريق الممتدة من السيدة نفيسة إلى قرة قول الصليبة، تسمى بشارع السيدة نفيسة، ويكون لون خطها وبروازها أحمر، وأرضيتها صفراء.

(البند التاسع)

إن الجادة الممتدة من باب زويلة إلى سبيل الجمالية، تسمى بشارع الغوري، ويكون لون خطها وبروازها أحمر، على أرضية صفراء.

(البند العاشر)

إن الطريق الممتدة من سبيل الجمالية إلى باب الفتوح، يعبر عنها بشارع باب الفتوح، ويكون لون خطها وبروازها أحمر، وأرضيتها صفراء.

(البند الحادي عشر)

إن الجادة من السبيل المذكور إلى باب النصر، تسمى باب النصر، ويكون لون خطها وبروازها أحمر، وأرضيتها صفراء.

(البند الثاني عشر)

إن الجادة الكائنة من قرة قول باب الشعرية إلى الباب الجديد، يعبر عنها بشارع الباب الجديد، ويكون لون خطها وبروازها أسود.

(الباب الثالث عشر)

إن الطريق التي من القرة قول المذكور إلى باب الفتوح، تسمى بشارع مرجوش، ويكون لون خطها وبروازها أسود.

(البند الرابع عشر)

إن الطريق الممتدة من زاوية الموسكي إلى الاسبتالية[١] الملكية الكائنة بالأزبكية تسمى بشارع الموسكي، ويكون لون خطها وبروازها أسود.

(البند الخامس عشر)

إن الطريق الممتد من شارع باب الخلق، إلى شارع الغوري، تسمى بشارع

---

[١] هي دار الشفاء التي كانت بالعتبة الخضراء.

الحمزاوي، ويكون خطها وبروازها أسود.

وأعقب البند الخامس عشر هذا التعليق:

"لما كانت الشوارع المحررة أعلاه إذا كتبت أسماؤها على الحيطان يحصل فيها مشقة على من يكتبها ولا تتحصل بسرعة كما ينبغي، بل تطول مدتها ولا يمكن كتابتها مع الراحة بسبب ذهاب الناس وإيابهم في الأزقة، ومرور الحيوانات ذوات الأحمال والعربات أيضاً، استنسب أن تحرر أسماؤها على ألواح ثم تعلق عليها وتسمر بالمسامير.

ومن حيث أن نمر البيوت ليست بالمثابة المذكورة لزم أن تكون كتابتها فوق الأبواب أو بجانبها حسب الاقتضاء. وإذا كانت النمر المذكورة ترتب على قدر طول الشوارع كما ذكر. ومن المعلوم أن كل شارع منها يشمل محلات كثيرة مسماة بأسماء مشهورة، استنسب أن تكون كتابة اسم الشارع المشتمل على النمر في ألواح الزوايا بخط جلي وأن يكتب اسم المحل تحته بخط رفيع بالنسبة إليه، حتى أن كل من نظر إلى اللوحة يعلم اسم المحل الذي هو فيه.

ولما كان من مقتضيات الإرادة السنية إتمام مأمورية تنمير البيوت التي في الأزقة الاتي ذكرها بسبب ما حصل من اجتهاد المأمورين والعمال الذين عينوا لذلك وشرع في وضع نمر ما بقي من البيوت. وعند انتهائها يدرج ذكرها في الوقائع ليكون معلوماً للعامة.

(البند السادس عشر)

إن الجادة الممتدة من قنطرة السيدة زينب إلى باب حارة الزير المعلق بآخر شارع درب الحجر، تسمى بشارع الناصرية، تكتب نمرتها بالمداد الأحمر.

(البند السابع عشر)

إن الطريق الممتد من قنطرة سنقر إلى باب الزير المعلق، تسمى بشارع درب

الحجر، وتكون نمرتها سوداء.

(البند الثامن عشر)

إن الطريق التي من باب قرة قول سويقة السباعين، بشارع الناصرية إلى حارة السقايين، تسمى بشارع درب الحمام وتكتب نمرتها بالمداد الأسود.

(البند التاسع عشر)

إن الطريق التي من باب الزير المعلق الكائن بدرب الحجر إلى بيت شربتجي باشا، تسمى بسكة الزير المعلق، وتكون نمرتها بالمداد الأحمر.

(البند العشرون)

إن الطريق التي ابتدأوها من شارع درب الحجر المارة من عابدين المنتهية إلى جادة باب اللوق، تسمى عابدين، وتكون نمرتها حمراء.

(البند الحادي والعشرون)

إن الجادة الممتدة من شارع باب اللوق المارة تجاه بيت حضرة الباشا مدير المالية المنتهية إلى الجبانة، تسمى بشارع البيدق، ونمرتها تكون حمراء.

(البند الثاني والعشرون)

إن الطريق التي تمتد من باب الخوخة إلى شارع باب اللوق، تسمى بشارع البلاقسة، ونمرتها تكون حمراء.

(البند الثالث والعشرون)

إن الطريق الممتدة من باب درب أبي الليف إلى شارع الشيخ ريحان، تسمى بشارع حارة السقايين، ونمرتها تكون حمراء.

(البند الرابع والعشرون)

إن الطريق الممتدة من درب باب أبي الليف بشارع الناصرية إلى باب حارة

السقايين، تسمى بشارع أبي الليف، وتكون نمرتها حمراء.

(البند الخامس والعشرون)

إن الجادة الممتدة من شارع الأستاذ الحنفي إلى جادة الناصرية، تسمى بدرب القرودي، ونمرتها تكون حمراء.

(البند السادس والعشرون)

إن الطريق الممتدة من قنطرة السيدة زينب إلى عطفة عمر شاه؛ تسمى بشارع الدرب الجديد. والطريق الممتدة من باب عطفة عمر شاه الموصلة إلى شارع الهياتم ودرب القرودي، تسمى بشارع سويقة اللالة، والطريق الممتدة من الشارع المذكور إلى جادة الناصرية، تسمى بشارع الحنفي، وتكون نمر هذا الطريق بالمداد الأحمر، والطريق التي من جادة الحنفي إلى سبيل الخليج، تسمى بشارع الهياتم، وتكون نمرتها سوداء.

(البند السابع والعشرون)

إن الطريق الممتدة من قنطرة عمر شاه إلى شارع الدرب الجديد، تسمى بشارع عمر شاه، وتكون نمرتها سوداء.

(البند الثامن والعشرون)

إن الطريق الممتدة من جادة درب الجماميز إلى عطفة كور أغلى، تسمى بشق العرسة، ونمرتها تكون سوداء.

(البند التاسع والعشرون)

إن الطريق التي تمتد من جادة حضرة السيدة زينب إلى عطفة الشيخ السادات، تسمى بعطفة كور أغلى، ونمرتها تكون سوداء.

(البند الثلاثون)

إن الجادة التي تمتد من قنطرة درب الجماميز إلى شارع الحنفي، تسمى بشارع

خليل طينة، وتكون نمرتها سوداء.

(البند الحادي والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من شارع السيدة زينب المارة نحو بيت الشيخ السادات المنتهية إلى بركة الفيل، تسمى بشارع السادات، وتكون نمرتها سوداء.

(البند الثاني والثلاثون)

إن الجادة المبتدئة من أمام مسجد السيدة زينب الممتدة إلى الجهة الغربية من الخليج، تسمى بحارة السيدة زينب، ونمرتها تكون سوداء.

(البند الثالث والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من جانب قنطرة سنقر إلى عطفة قرا علي بجوار الخليج تسمى بشارع الخليج، ونمرتها تكون حمراء.

(البند الرابع والثلاثون)

إن الطريق المبتدئة من الباب المحازي لقنطرة الذي كفر المنتهية إلى شارع عابدين، تسمى بشارع رحبة عابدين، وتكون نمرتها سوداء.

(البند الخامس والثلاثون)

إن الطريق المبتدئة من باب حارة النصارى المارة من سوق الجمعة الممتدة إلى سويقة السباعين بجادة الناصرية، تسمى بشارع سوق الجمعة، وتكتب نمرتها بالمداد الأسود.

(البند السادس والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من باب حارة النصارى الكائن بشارع سوق الجمعة المتصل بقنطرة سنقر، تسمى حارة النصارى، ونمرتها تكون حمراء.

(البند السابع والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من الباب القريب من درب الجماميز إلى شارع سوق الجمعة، تسمى بسوق مسكة، وتكون نمرتها حمراء.

(البند الثامن والثلاثون)

إن الزقاق الممتد من شارع الحنفي إلى سوق الجمعة، يسمى بعطفة الفقوسة، وتكون نمرتها سوداء.

(البند التاسع والثلاثون)

إن الطريق الممتدة من شارع السيدة نفيسة إلى سوق العصر المعادلة لجادة طولون، تسمى بشارع درب الحصر، ونمرتها تكون سوداء.

(البند الأربعون)

إن الطريق الممتدة من شارع طولون المنتهية إلى شارع الرميلة، تسمى بسكة بير الوطاويط، ونمرتها تكون حمراء.

(البند الحادي والأربعون)

إن الطريق الممتدة من أمام بئر الوطاويط الواصلة إلى باب البركة، تسمى بسكة أزبك، ونمرتها تكون حمراء.

(البند الثاني والأربعون)

إن الطريق الممتدة من عمارة حسني باشا المارة على الشيخ نور الظلام، الواصلة إلى جادة الصليبة قريباً من بيت محمود بك، تسمى بسكة الشيخ نور الظلام، ونمرتها تكون حمراء.

(البند الثالث والأربعون)

إن الطريق الممتدة من المحجر أمام بيت المرحوم إبراهيم باشا يكن، الواصلة إلى

شارع سوق السلاح، تسمى بسكة الكومي، ونمرتها تبدأ من جادة سوق السلاح، وتكتب بالمداد الأسود.

(البند الرابع والأربعون)

إن الطريق الممتدة من أمام قرة قول باب الوزير إلى سكة الكومي، تسمى بعطفة الكوم الوسخة، وتكون نمرتها سوداء.

(البند الخامس والأربعون)

إن الطريق المبتدئة من شارع القلعة الممتدة إلى سكة الكومي، تسمى بدرب القزازين، وتكون نمرتها حمراء.

(البند السادس والأربعون)

إن الطريق الممتدة من جامع إبراهيم أغا الكائن بشارع القلعة إلى جامع أصلان (أصلم)، تسمى بدرب شغلان، وتنمر بالمداد الأحمر.

(البند السابع والأربعون)

إن الطريق الممتدة من قرة قول التبانة إلى الدرب المحروق، تسمى بشارع النبوية وتنمر بالمداد الأحمر.

(البند الثامن والأربعون)

إن الطريق الممتدة من الدرب المحروق إلى باب المحجر، تسمى بالدرب المحروق وتنمر بالمداد الأحمر.

(البند التاسع والأربعون)

إن الجادة الممتدة من جامع قجماس الكائن بالدرب الأحمر بشارع القلعة إلى

الدرب المحروق، تسمى بير المش[1] وتنمر بالمداد الأسود.

(البند الخمسون)

إن الطريق المبتدئة من باب الخلق الممتدة إلى جادة الحمزاوي، تسمى درب سعادة، وتنمر بالمداد الأحمر[2].

ونشرت الوقائع المصرية في عددها رقم ٨٤ في ٧ شوال سنة ١٢٦٣هـ، أن الإرادة السنية تعلقت بتنمير المساكن والدكاكين والأزقة وجميع المحال بمصر والإسكندرية. كما صدر أمره العالي أن يتبع هذا النظام أيضاً في رشيد ودمياط، ثم باقي بنادر الوجه البحري، كالمنصورة، وسمنود، وفوة وطنتدا، وأسيوط وغيرها من البنادر المماثلة لها ويكون ذلك بمعرفة الضباط الأربعة المكلفين بالتنمير بمصر المحروسة[3].

نخرج من هذا البيان بعدة فوائد: أولها تخطيط القاهرة في القرن التاسع عشر مع بيان هام لأكبر شوارعها وبعض سككها المتفرعة منها، وبواباتها وتحديد بعض قرة قولات البوليس بها، غير أنني أقرر أن لهذا البيان ملحقاً لم أقف عليه، لأنه لم يتناول أسماء الشوارع في مصر القديمة ولا بولاق؛ بالرغم من وجود لافتات بها، ومع أني عثرت على الكثير من لافتات الشوارع ونمر الدور في المناطق الواردة في هذا البيان وخاصة الشوارع الرئيسية، فإني وجدت الكثير منها في شوارع بولاق، ومصر القديمة، غير أنها لم ترد في هذا البيان، وهي مناطق أثرية آهلة بالسكان. كما أنه لم يتضمن

---

(١) رأيت هذه اللافتة على منزل خلف مسجد قجماس (أبو حريبة). من الجهة البحرية الشرقية وقد هدم وأعيد بناؤه.

(٢) الوقائع المصرية العدد ٨٣ في ٢٩ رجب سنة ١٢٦٣هـ وتقويم النيل جـ ٢ ص ٥٤٧ – ٥٥٢.

(٣) تقويم النيل جـ ٢ ص ٥٥٤ والعدد ٧٨ من الوقائع المصرية في ٤ رمضان سنة ١٢٦٣هـ.

مسميات الحارات في المناطق التي سمي شوارعها[1]. بالرغم من وجود لافتات بها.

وقبل التحدث عنها، أناقش التعليق الملحق بالبند الخامس عشر، والمتضمن صعوبة كتابة أسماء الشوارع على الجدران، لما فيه من مشقة على كاتبها بسبب مرور الناس والعربات ذات الأحمال، واستحسان كتابتها على ألواح خشبية تعلق وتثبت.

والأمر الثاني تلوين بعض اللوحات في مختلف الأحياء. فأذكر أن جميع اللوحات التي عثرت عليها من الجص المثبت على الجدران. وأن مسمياتها وألوانها تتفق ما جاء في بنود البيان. كما أن الكثير من الكتابات بالمداد الأسود، ووجدت في أرضيات بعضها أثر التلوين، وهذا يجعلني أؤكد أنه حصل عدول عن كتابتها على ألواح خشبية وعن التلوين في بعضها واستعيض عنها بألواح جصية. صبت وكتبت ثم لونت وركبت أو عملت على (بيتها) حسب اصطلاح الصناع وهو سر بقائها للآن. وكانت ملونة وفقدت تلوينها حيث وصلت إلينا مع مضي الزمن بيضاء أو حروفها بيضاء.

ومما يعزز أن تلك اللوحات عملت تنفيذاً للأمر الصادر سنة ١٨٤٧، مطابقة نصوصها للبيان كما أسلفت، وأن جميع ما عثرت عليه منها مثبت على منشآت أثرية تسبق عصر مُحَمَّد علي أو على منشآته أو منشآت عصره، وأذكر على سبيل المثال بعض الأماكن المثبتة عليها: باب الفتوح – باب زويلة – مسجد قجماس الإسحاقي بالدرب الأحمر – سبيل عمر أغا بشارع التبانة – مسجد إيتمشالبجاسي برأس باب الوزير – سبيل العقادين (مُحَمَّد علي) بحارة الروم – مسجد الغوري منزل أوده باشي بالجمالية – بوابة السلحدار برأس حارة بيرجوان – دار المحفوظات بالقلعة، وسور القلعة – باب درب اللبانة بالمنشية – مسجد مرزا ببولاق – مسجد القاضي يحيى بشارع المحكمة ببولاق، سبيل حبيش تحت الربع – سبيل السلطان مصطفى بميدان السيدة زينب – سبيل السلطان محمود بدرب الجماميز – مسجد قرافجا الحسني

[1] لعل البيان الذي ننشده هو المشار إليه في العدد ٦٤ من الوقائع، أو لعله السابق الوعد به في التعليق على البند الخامس عشر. والقائل فيه: عند انتهاء التسميات يدرج ذكرها في الوقائع ليكون معلوماً للعامة.

باللبودية – باب قايتباي بالسيدة عائشة – مدفن تمرباي الحسيني بشارع القادرية بالخليفة – سبيل القبرصلي بالفحامين – بوابة كنيسة أبي سرجة وحارة مار جرجس بمصر القديمة – وكالة المشنات ببولاق – سبيل محمَّد كتخذ بالداودية.

وجميع الأماكن التي ذكرت تسبق سنة ١٨٤٧م ومنها ما هو من منشآت القرن التاسع عشر المنشأة قبل صدور الأمر بعمل اللوحات.

كما أنها لم توجد على منشآت معمارية بعد سنة ١٨٤٧ مما يجعلني أؤكد أن جميع ما عثرت عليه منها يرجع إلى أول القرن التاسع عشر، وفقد استعيض عن اللوحات الخشبية بلوحات جصية كانت أيسر تثبيتاً وبقاء.

وبدراسة الشوارع الرئيسية طبقاً لما ورد في بنود هذا البيان، وجدت لوحاتها الموجودة مطابقة لها. فقد نص البند الأول على تسمية الشارع الممتد من باب الخلق إلى القلعة، باسم شارع القلعة، فوجدت أن اللوحة المثبتة على البدنة الغربية لباب زويلة مكتوب عليها (شارع القلعة) بحروف سوداء تحتها لوحة بيضاوية صغيرة كان بها اسم الشارع الفرعي – لعله الدرب الأحمر[١] – وهذا يطابق ما ورد في التعليق الملحق بالبند الخامس عشر من كتابة اسم الشارع بخط جلي وكتابة اسم المحل تحته بخط رفيع بالنسبة إليه – كما وجدت لوحة مثبتة على سبيل عمر أغا أما مسجد آق سنقر (إبراهيم أغا مستحفظان) بشارع باب الوزير مكتوب عليها شارع القلعة وعلى اللوحة البيضاوية تحتها الخربكية بخط فارسي صغير، وقد اتفقت نصاً وتلويناً.

وجاء في البند التاسع أن الجادة الممتدة من باب زويلة إلى الجمالية، تسمى بشارع الغوري، ويكون لون خطها وبروازها أحمر وأرضيتها صفراء.

وبفحص اللوحة الموجودة على البدنة الشرقية لباب زويلة، وجدتها مكتوباً عليها (شارع الغوري) وقد بدت بقايا الحروف بيضاء وبالأرضية أثر تلوين يميل إلى الصفرة وعلى اللوحة البيضاوية تحتها كتب بخط فارسي (السكرية)، وتبدو الحروف بيضاء

---

[١] هو فعلاً الدرب الأحمر لأن البند رقم ٤٩ اعتبر جامع قجماس الإسحاقي بشارع الدرب الأحمر.

لزوال التلوين. وقد اتفقت نصاً وتلويناً.

وينص البند العاشر على أن تسمية الطريق من سبيل الجمالية إلى باب الفتوح، باب الفتوح تكتب باللون الأحمر – ويفحص اللوحة المثبتة على باب الفتوح تبين أنه كان مكتوباً عليها بالمداد الملون (باب الفتوح).

وينص الباب الثالث على تسمية الشارع الممتد من باب السيدة البراني إلى قرة قول باب الخلق، شارع السيدة بحروف حمراء على أرضية صفراء وبرواز أحمر. وبفحص اللوحات التي عثرت عليها وجدت إحداها على مسجد قرافجا الحسني مكتوب على الرئيسية منها شارع السيدة والفرعية درب الجماميز، ويغلب على الحروف البياض مما يفيد فقدان اللون، وفي الأرضية اصفرار.

والثانية على سبيل السلطان محمود ومكتوب عليها شارع درب الجماميز؛ والفرعية ضلع[1] السمكة، ويغلب على الحروف البياض مما يفيد فقدان اللون وفي الأرضية اصفرار.

وهذا يعزز ويؤكد اتفاق ما عثرت عليه في أهم الشوارع مع ما جاء في البنود نصاً وتلويناً.

وقد وجدت أثر التلوين في أرضية لوحة سكة باب الوزير على مسجد إيتمشالبجاسي بشارع القلعة القديم، وجلياً في الإطار الأحمر حولها.

وقد اتفقت تلك اللوحات في الوصف والمقاس، فاللوحات الرئيسية مستطيلة مقاسها ٠,٨٧ × ٠,٤٧ سم والفرعية تحتها بيضاوية، مقاس ٠,٤٩ × ٠,٤١ سم.

أما نمر الدور فيوجد الكثير منها على الدور السابقة للقرن التاسع عشر ومنشآت أوائله، وهي مربع صغير من الجص أحيط بإطار من البوية السوداء أو

---

[1] لم يرد في البنود ذكر التسمية الفرعية (ضلع السمكة) وقد ذكرها علي باشا مبارك عند ذكره لمسجد كاتم السر الذي هدم في توسعة الخليج وعند ذكره لتكية السلطان محمود في الجزء الثالث ص ٩ من الخطط التوفيقية.

الحمراء يتوسطه الرقم باللون الأسود، أو الأحمر، ومنها ما هو مثبت على جانب الباب أو فوق عقده، وقد وجدت منها الكثير في مصر ورشيد والمنصورة.

ومن البلدان التي عثرت فيها على لافتات بأسماء الشوارع (أسيوط) حيث وجدت لوحة على مسجد الكاشف، ومدينة رشيد، حيث وجدت عدة لوحات، منها ما هو على مسجد الشيخ تقي، وعلى منزل الأمصيلي، وعلى منزل المناديلي والحاج يوسف بحارة الحاج يوسف، وكلها أماكن منشأة في القرنين الثامن عشر وأوائل التاسع عشر الميلادي وهي تطابق مثيلاتها في مصر، غير أنها خالية من اللوحات الفرعية.

ولا شك في أن ما وجدته من لوحات أسماء الشوارع ونمر الدور في مصر والأقاليم باقية من وقت صدور الأمر بعملها.

بوابات الحارات

بعد أن امتد العمران خارج القاهرة وأحدثت في أسوارها أبواب جديدة لتعدد مسالكها، أقيمت على الدروب والحارات أبواب لمنع السرقات، ذلك أنه في سنة ٨٦٤هـ – ١٤٥٩م كثرت السرقات، فاهتم[١] الأغنياء بإقامة البوابات على الحارات والدروب، وعينوا لها البوابين فكانت تغلق عقب صلاة العشاء وبعضها كان يغلق عقب الغروب بقليل.

وقد نبهت المؤلفة في سياسة الدول الإسلامية على ضرورة يقظة حارس الدرب، وعدم السماح للغرباء بالدخول إلا بعد التحقق[٢] منهم، والتحري عنهم، وأن يقوم بالتبليغ عن الحرائق والسرقات، ولا يدلي بأسرار السكان لوال أو لغيره.

وقد ورد ذكر أبواب الدروب والخوخات في عدة حوادث من تاريخ القاهرة نذكر فقرات منها.

---

[١] حوادث الدهور لابن تغري بردي قسم ٢ ص ٢٣٢.

[٢] معيد النعم ومبيد النقم ١٤٥.

في سنة ٩٠٣هـ – ١٤٩٧م أمر والي القاهرة، بأن ينادي باسم السلطان. بأن سكان الأسواق والحارات يعملون عليها دروباً، فامتثلوا لأمره، وبنيت بالقاهرة عدة دروب: منها ما هو على سوق تحت الربع وعلى سوق أحمد بن طولون، وعلى سوق أمير الجيوش وغير ذلك من الأسواق والحارات. لأن المناسر كانت كثرت في تلك الأيام، وصاروا يهجمون على الأسواق والحارات[1].

وفي سنة ٩٢٢هـ – ١٥١٦م أمر الأمير الماس والي الشرطة بالقاهرة بأن يعمر السكان على الحارات والأزقة دروباً في أماكن شتى، فعمروا دروباً في رأس سوق الدريس، وفي الحسينية، وعلى قنطرة الحاجب، وعند المقس[2] وعدة دروب في أماكن شتى، وأن يعلقوا على كل دكان قنديلاً، وأن لا يخرج أحد من الناس من بيته بعد العشاء، وذلك اتقاء لشر اللصوص وحدوث الحرائق المفتعلة.

وحينما كانت تقع اضطرابات سياسية أو غيرها كانت تغلق أبواب المدينة وأبواب الدروب والخوخات التي بالحارات. وهذا ما حدث في[3] ٢٩ ذي القعدة سنة ٩٢٣هـ – ١٥١٧م.

وقد حدثنا عن تلك البوابات الجبرتي في عهد الاحتلال الفرنسي لمصر فقال:

في سنة ١٢١٣هـ – ١٧٩٨م شرع الفرنسيون في تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة، وخرج عدة من عساكرهم يخلعون أبواب الدروب والعطف والحارات. كما خلعوا أبواب الدروب الغير نافذة أيضاً، ونقلوا الجميع إلى بركة الأزبكية عند رصيف الخشاب.

وفي جمادي الأولى من تلك السنة خلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة الغير نافذة، وهي التي تركت وسومح أصحابها وبرطلوا عليها. وكذلك دروب الحسينية

---

[1] بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أياس جـ ٢ ص ٣٣٦.

[2] بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أياس جـ ٣ ص ٣٣.

[3] بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أياس جـ ٣ص ١٤٣.

ونقلوها إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية، ثم كسروها وباعوها للوقود[1].

ومن وصف الجبرتي نعلم أن البوابات استعملت بكثرة للحارات والدروب.

وفي أوائل القرن التاسع عشر وحينما استتب الأمن[2] صدرت الأوامر بنزع البوابات التي على الدروب مبالغة في استقراره.

ورغم ما أصاب البوابات من التخريب فقد بقيت منها بقية صغيرة في أنحاء القاهرة كان الفضل في بقائها تسجيلها ضمن الآثار العربية مثل باب حارة وقاق المسك بالخيمية، وحارة الألايليبالغورية وبوابة طرباي بباب الوزير وباب درب الميضة بالجمالية، وباب حارة برجوان بالنحاسين، وباب متصل بقبة تتر الحجازية بالقفاصين قسم الجمالية، وبوابة بيت القاضي بجوار قسم الجمالية.

هذا عدا ما هو موجود منها في سوق الفحامين ومصر القديمة على الدرب المؤدي إلى قاعة العرسان، وعلى الدرب المؤدي إلى كنيسة أبي سرجة. وباب حارة سعد الدين بالقرب من مسجد أصلم السلحدار بدرب شغلان، وباب حارة زعيتر بشارع بولاق الجديد، وباب درب البارودية لصق قبة الغوري بالغورية.

وكانت تلك البوابات تغلق في الليل ويعين لها حارس، فيظلون طول الليل في موضع المراقبة وهم مسلحون، فيغلقونها عقب صلاة العشاء، ولا يفتحونها لطارق مجهول أو قادم إلا إذا أسر إليه بكلمة السر المتفق عليها مع السكان في تلك الليلة. أو قدم له بطاقته الشخصية.

البطاقات الشخصية

في ٢٣ ربيع الأول من سنة ١٢٤٥هـ- ١٨٢٩م قرر مجلس المشورة بالقاهرة أن يكون بيد كل إنسان تذكرة مختومة بختم مصر يقدمها عند خروجه[3] من أبواب

---

[1] عجائب الآثار للجبرتي جـ ٣ ص ٢٩.

[2] عبر البشر في القرن الثالث عشر ص ٤١ (خط).

[3] الوقائع المصرية الصادرة في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٥٤هـ.

مصر أو دخوله فيها وعند انتقاله من بلد إلى أخرى.

ونصت المادة ١٩٤ ضمن البنود المنتخبة من[١] الجمعية الحقانية في ٩ شعبان سنة ١٢٦٠هـ- ١٨٤٤م على "أن كل من يوفق تذكرة مرور بالزوار، أو يصنع حيلة في تذكرة مرور يكون أصلها صحيحاً، أو يستعمل تزويراتمثل ذلك، أو تذكرة مرور ذات حيلة فإنه يجازى بإرساله إلى اللومان بمدة من ستة أشهر إلى سنتين".

وكان يعهد إلى (البصاصين) رجال البوليس الملكي بمراقبة مداخل القاهرة والاطلاع على البطاقات، حتى إذا تبين أن أحداً لا يحمل بطاقة عذر وأنذر، فقد ضبط سالم أحد عربان العبابدة داخلاً من باب القرافة وهو بزي امرأة، وبالتحقيق معه وسؤاله عن تذكرته اعتذر عن تركها، وقال إنه لم يتزي بزي النساء، بل كان يحمل قميص والدته على كتفه، وبعد معاقبته أطلق سراحه (الوقائع المصرية عدد ١٩٣- ٩ ربيع آخر سنة ١٢٤٦).

والبطاقات الشخصية ليست وليدة القرن التاسع عشر. فقد كانت نواتها موجودة بمصر منذ القرن الرابع عشر الميلادي. فإن ابن بطوطة حينما زار مصر وذهب إلى دمياط قال "إذا دخلها أحد لم يكن له سبيل إلى الخروج إلا بطابع الوالي. فمن كان من الناس معتبراً طبع له في قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها، وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به[٢] وهذا بلا شك (جواز مرور أو بطاقة شخصية للوافدين على مصر من الأغراب. ثم حدثنا عن جوازات الدخول إلى مصر والخارجين منها حينما وصل إلى بلدة قطيا باعتبارها الحد الفاصل بين الشام ومصر وفيها الجمرك والدواوين فقال:

"ولا يجوز عليها أحد من الشام إلا ببراءة من مصر؛ ولا إلى مصر إلا ببراءة من الشام احتياطاً على أموال الناس وتوقياً من الجواسيس العراقيين، وكان يعهد إلى

---

[١]قانون منتخبات ص ١٠٣.

[٢]رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأعصار وعجائب الأسفار جـ ١ ص ١٦.

العرب بحراسة الحدود عند هذه البلدة، وطريقها في ضمان العرب، فإذا كان الليل مسحوا على الرمل فلا يبقى به أثر، ثم يأتي الأمير صباحاً فينظر إلى الرمل، فإن وجد به أثراً طالب العرب بإحضار مؤثرة[1] ، فيذهبون في طلبه فلا يفتهم فيأتون به الأمير فيعاقبه بما شاء".

وللصديق المحقق ميخائيل عواد بحث ممتع في جوازات الشفر حوى معلومات جديدة طريفة نشرت في مجلة الكتاب ص ٤٠- ٥٠ عدد مايو سنة ١٩٤٦ يرجع إليه من رغب التوسع في هذا الموضوع. ويعتبر ما ذكرناه مكملاً لبحثه.

تقسيم القاهرة

مما سبق يتضح أن القاهرة قسمت إلى مناطق سكنية، ومناطق صناعية. كما قسمت أيضاً إلى مناطق لهو بريء، وغير بريء، ومتنزهات خلوية، فمن مواطن اللهو غير البريء قنطرة الحاجب على الخليج المصري حيث كانت مقر أهل الطرب والخلاعة. وكانت العامة تقول في هزلها:

ستي، أين كنتي، أين رحتي، وأين جيتي؛ قالت: من ربع الزيتي[2]. هذا عدا المناطق المخصصة لعصير الخمر وبيعه وغالبها أماكن نزهة أو يسكنها غير المسلمين مثل حارة السودان، وحارة الساشا، وكوم دينار، وبركة اليقطين، وحارة عكا، والجزيرة، والمريس، والباطلية، وشبرا، ومنية السيرج، وحارة زويلة، وحارة الروم الجوانية، وسويقة صفية، وقنطرة الفخر[3].

وكانت مواطن اللهو البريء في رحبة باب اللوق، وكانت تجمع رحاباً خمس وبها كان يجتمع في القرن الخامس عشر الميلادي أرباب الملاعب المسلية كالمشعبذين

[1] رحلة بن بطوطة جـ ١ ص ٣٠.

[2] المقريزي (المواعظ والاعتبار) جـ ٢ ص ٧٨.

[3] حلبة الكميت ص ٤٠.

ولاعبي خيال الظل والحواة والبهلوانية وغيرهم[1].

وكانوا في القرن الرابع عشر يجتمعون في منطقة أخرى متاخمة لها عند جامع الطباخ القريب من ميدان (عابدين).

أما متنزهاتها فكثيرة على ضفاف النيل، وعلى حافتي الخليج، وحول برك الفيل والحبش والرطلي، والأزبكية، وشبرا وخارج الحسينية وجزيرة الروضة وغير هذا كثير.

وعلى الجزائر وضفاف البرك أقيمت السرادقات والأخصاص في فصل الصيف ففي سنة ٧٤٧هـ- ١٣٤٦م ظهر في النيل جزيرة حليمة فاتصلت بجزيرة الزمالك وأقبل سكان مصر على التصييف فيها فأنشأوا بها عدة أخصاص (عشش) تفننوا في تشييدها حتى بلغت نفقات الخص نحو[2] مائة وخمسين جنيهاً ما بين رخام ونقوش وحدائق حوله. وكانت الإقامة في تلك الأخصاص وفي أخصاص جزيرة الطينة أمام أثر النبي بمصر القديمة يستغرق ستة شهور.

وبذلك انتفع سكان مصر والقاهرة بجزائر النيل ابتداء من بولاق وجزيرة الروضة وما يتصل بها من جزائر إلى مصر القديمة وهي مساحة تزيد عن مساحة رأس البر.

وفي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وفي القرون الثلاثة التالية له، كانت منطقة الأزبكية حول بركتها من أجمل متنزهات مصر. حيث عنى بها الأمير أزبك من ططخ كبير أمراء السلطان قايتباي، فأزال كيمانها، وأعاد حفر البركة، وأجرى إليها الماء من الخليج الناصري، ثم أنشأ مناخاً لجماله، كما أنشأ قصراً له فعرفت بالأزبكية نسبة إليه.

وما أن تم عمرانها حتى أنشأ بها مسجداً كبيراً ألحق به مكتبة نفيسة، وأنشأ حوله حماماً ووكالة وقياسر للتجارة، وقد رقع الفراغ من تلك المنشآت حوالي سنة ١٤٧٧م. وكان من جراء حفر البركة وعمل رصيف حولها أن رغب سراة مصر في

---

(1) المقريزي (المواعظ والاعتبار) جـ ٢ ص ٥١.

(2) المقريزي (المواعظ والاعتبار) جـ ٢ ص ١٨٦.

سكنى الأزبكية، فشادوا القصور وغرسوا الحدائق حتى صارت مدينة عامرة تبارى الشعراء والأدباء في وصف جمالها.

ومن طريف ما وقفت عليه في مدحها مقامة الشيخ شمس الدين مُحَمَّد بن أبي بكر القادري التي سماها "عرف الروضة الذكية في وصف محاسن الأزبكية[١] " اقتطف منها تلك الفقرات.

فهي أحسن ما عمر في عصرنا. وبها البركة التي ليس في القاهرة أعظم منها، ومن أيامها المعدودة ذلك اليوم الذي تنساب فيه إلى البركة مياه النيل، حيث تضاء البركة والدور حولها، وتدخل إليها المراكب مزدانة وتقام حولها حفلات الطرب.

أما في زمن الربيع فإن هذه البركة تزرع كلها قرطاً، وتضرب الخيام حولها وتتحول إلى ربيع في وسط المدينة يتمتع بها خلق كثير.

"ويعجبني وصفه للمباني بقدر ما يسمح له خياله فيصف المسجد بأن[٢] أعمدته كشموع كبيرة ناصعة البياض، ورخامه المدبج قد استعار من البستان خضرة رياضة، ومن الليل والنهار لون سواده وبياضه، وكأن شرفاته المرتفعات، حسان نساء في أزرهن متربعات، وكأنه في الليل والبدر غير محتجب، سرادق من الفضة قد ضرب".

ثم أخذ في وصف منشآت الأمير أزبك حول البركة بأسلوب بليغ تحايل فيه ببلاغته على وصف تفاصيل العمارة الإسلامية أبلغ وصف[٣].

فمن وصفه لقاعات القصر ورخامها: "وافتخرت على البقاع بقاعاتها التي هي كجنات تجري من تحتها الأنهار، تطرد بها آناء الليل وأطراف النهار، من كل شاذر

---

[١] نزهة الأمم لابن أياس ص ٢٤٦ خط.

[٢] هذا المسجد كان في ميدان العتبة الخضراء حيث مدخل شارع الأزهر وقد هدم سنة ١٢٨٦هـ ١٨٦٩م واهتم بتصويره تجران باشا.

[٣]نزهة الأمم لابن أياس ص ٢٥٥ (خط)

وأن تقر به العينان، إذا انكسر ماؤه وانسكب، تسلسل كالفضة على أرض من ذهب، وقام بعد أن تكسر يجري في أخدود، يسر الوارد عند الورود، ينتهي من تلك الأخاديد إلى فساقي، تسع لسقيها عند الورود ألف ساقي[1].

وتلك القاعات بها رخام ملون، كأنه من بديع الزهر قد تكون؛ فكأن بستانها أهدى لرخامها من رياضة حللاً؛ محكمة النسيج لا ترى خلالها خللاً.

وكل مبيت يفضح الشموس والأقمار بقمرياته، ويدهش العيون إذا نظرت إليه بحسن دهاناته، إذا قابلت قمرياته الشمس إذا بزغت والقمر إذا طلع، يظنان أن قوس السحاب وقع عليها لحبه إياها وقطع يقابلها الدهانات البعلكية، التي تدهش العيون برؤيتها السنية؛ وشي كالنقش الأخضر على ترائب الأتراب الحسان، وجسم جمال النقش يكاد أن يتحرك بروح حسنه وعروقه اللاعبة.

وتظن رخامها الملون في حسنه من زهر الرياض، وأسوده في أبيضه كسواد العيون منها في البياض.

ثم وصف الحمامات بقوله: يا لها من حمامات يستوقف النواظر حسن رخامها الوسيم، ويستوقف الأسماع صوت مائها الرخيم؛ وتحير في حسن بهجتها النظار، إذا أشرقت أقمار جاماتها بالنهار".

---

[1] الشاذروان هنا يفيد أنه السلسبيل الذي تنساب عليه المياه متعرجة على نقوشه المموجة وعادة يكون في صدر السبيل أو الفسقية تنساب عليه المياه إلى الحوض أو في صدر الأيوان تنساب عليه المياه إلى الفساقي، وكذلك في قاعات القصور تنساب عليه المياه من أفواه الطيور فتسير في قنوات حفرت عليها أنواع الأسماك حتى تصل إلى الفسقية أو البركة.

ولعلماء اللغة تفسيرات أخرى تغاير هذا.

وهذا الأديب في وصفه البليغ أعطى للآثاريين مصطلحات معمارية دقيقة فيصف شرفات المسجد بحسان النساء في أزرهن متربعات، وفسر الشاذروان بأنه السلسبيل، ووصف الرخام الدقيق بأشكاله وألوانه ووصف القمريات (الشبابيك المستديرة ذات الزجاج الملون) أبدع وصف كما وصف جامات الحمام.

ولا شك في أن هذه المقامة وصفت التفاصيل المعمارية أجمل وصف. وما أحوجنا إلى الكثير من وصف تلك التفاصيل.

ثم وصف البركة بقوله "إنها بركة محفوفة بالمفترجات والمناظر، ترتاح إليها، النفوس وتقر بها النواظر، فهي بركة أنيقة المنظر، صافية المخبر، أرضها كالعنبر وعرفها كالمسك الأذفر.

ثم تدرج إلى وصف الحدائق حولها، وما يقام بها من حفلات بوصف لا يدع مجالاً للشك في استعمال الألعاب النارية في هذا الوقت، فيقول:

كأني أراها حين سعى الناس إليها من كل مكان في ليلة أحرقت مردة الهموم، بشهب من نيران النفط كالنجوم الرجوم، فبينما الناس في لهو وفرح، وبسط من الأنس ومرح إذا أطلع فلك سماء الماء فلكاً تحمل أشجاراً من نار، يقذف النفط منها أنواعاً من الأزهار، من مفضض ومذهب ومدبج من ألوان اللهب، وأسهم تنسب مع إصابتها إلى الخطأ، وضوء شمس يكشف عن وجه الظلام الغطا في ليلة ينجاب عن وجهها الظلام، وشاهد الناس فيها العجب، لما اصطلح الماء مع اللهب؛ وطار على وجه الماء فراس من ذهب، ودارت بأكف اللاعبين دواليب من نار، من غير رياش تدور على قلب ولا زنار؛ فيا لها من نار أثلجت الخواطر، وأقرت برؤيتها من الحاضرين كل ناظر.

ولا شك في أن هذا وصفاً صادقاً للألعاب النارية التي عرفتها مصر منذ أربعة قرون ونصف.

ثم استطرد في وصف البركة فقال: "فيا لها من بركة ماؤها بتجعيد الرياح كالمبرد يجلو عن القلوب الصدأ، افتخرت سماء مائها، بكواكب أسماكها؛ وإن افتخرت بشموسها وبدورها، افتخرت بشموس حسانها وبدورها، فهي في زمن النيل بمناظرها كالسماء ذات البروج، وفي زمن الخريف ذات شطوط ومروج؛ فإذا نضب عنها الماء خرج من سجن طينها من زغب الحب ما كان من المحابيس، وبرزت في حلل من زهر الربيع كأذناب الطواويس؛ يا لها من بركة إذا رآها الناظر أعلن بالتهليل والتكبير، ودعا بطول البقاء لمنشئها الأمير الكبير.

وختم هذا الوصف بما كانت عليه حوانيت التجارة حولها من رواج يشبه رواجها الحالي.

ظلت بركة الأزبكية عامرة بالدور والقصور حولها يسكنها أعيان مصر وسراتها. وألحقوا بدورهم الحدائق وأباحوها للشعب ينعم بالتنزه فيها. فكانت فرحة لسكان القاهرة يهرعون إليها في الصيف والربيع ينعمون بالتنزه حول مياها والتمتع بمباهجها. وعند جفافها ينعمون بخضرتها وزهورها وتقام حولها أهم الحفلات.

وحينما زار مصر الرحالة عبد الغني النابلسي سنة ١٦٩٣م نزل في دار[١] أسرة البكريالمطلة على البركة وكانت وقتئذ مزروعة فتناقش في مساحتها وهل هي أعرض من مرجة دمشق أم المرجة أعرض منها؟ مما دعاه إلى قياسها بالذراع الذي حدده بثلاثة أشبار. فكانت مساحتها ١٠٥٠ ذراعاً طولاً في ٤٤٢ ذراعاً عرضاً.

وفي سنة ١٧٧٦م وقع حريق كبير في أحد[٢] الأحياء حول البركة كان سبباً في تلف كثير من الدور الكبيرة، غير أن ولاة الأمور وقتئذ حتموا سرعة تعميرها بدرجة أنهم ألزموا غير القادرين على التعمير ببيع ما يملكون لمن يستطيع التعمير. وهكذا تم تعميرها في أقرب وقت. فلم يحل ميعاد الفيضان الثاني حتى كانت الأزبكية أبهج وأحسن مما كانت عليه، وهكذا نرى التاريخ يعيد نفسه.

وعند احتلال الفرنسيين لمصر اغتصبوا كثيراً من قصورها وأقاموا فيها وأنشأوا في سنة ١٨٠٠[٣] مسرحاً كوميدياً كما أقاموا مطاعم وملاهي خاصة بهم حولها.

وكان يشرف على البركة حي الأقباط المعروف الآن بحارة النصارى. وكانت دوره كبقية دور القاهرة حافلة بالمشربيات والشبابيك الخرط. وهو الطراز السائد لأحياء القاهرة.

---

[١] الحقيقة والمجاز رحلة النابلسي ص ٢٣٢ خط.

[٢] عجائب الآثار جـ ٢ ص ٢ – ٣.

[٣] عجائب الآثار للجبرتي جـ ٣ ص ١٤٢.

ومن الدور التي كانت تشرف على البركة وأبيحت حدائقها للجمهور. دار السيد إبراهيم بن السيد سعودي. وكانت من الدور الكبيرة التي عني بتشييدها وصرف عليها مبالغ كبيرة. أباح حدائقها المتاخمة لبركة الأزبكيةلعامة[1] الناس يتنزهون فيها.

وهذه الدار هي التي آلت إلى الأمير مُحَمَّد بك الألفي سنة ١٧٩٦م فهدمها وتغالى في بنائها. ولم يسكن بها سوى أياماً حتى وقع الاعتداء الفرنسي الممقوت فاغتصبها الفرنسيون وأقام بها ساري عسكر بونابرت ثم الجنرال كليبر. وبها قتل.

ومن تلك الدور دار الشرايبي، وكانت على الحافة الشرقية للبركة. وهي إحدى دور المجد، ألحقت بها مكتبة قيمة حفلت بكتب العلم في مختلف الفنون. عرضت للجمهور على الطريقة الحديثة. فيدخل الطالب فيختار ما يحلو له ليطالعه في المكتبة أو يستعيره خارجها[2].

وقد تنقلت ملكية هذه الدار حتى آلت إلى الأمير رضوان كتخدا الجلفي فأدخل عليها تعديلات، ووسع حدائقها وأباحها[3] للنزهة وخاصة أيام فيضان النيل. ثم آلت إلى طاهر باشا ناظر الجمارك ثم عباس باشا الأول فهدمها وأعاد بناءها. ومنذ ذلك الوقت أطلق على تلك المنطقة اسم العتبة الخضراء بدلاً من[4] العتبة الزرقاء. ومحلها الآن الحديقة وسط ميدان العتبة الخضراء.

وكانت مدرسة الألسن على البركة، ثم حولت إلى فندق للإنجليز عرف فيما بعد بفندق شبرد.

وفي منتصف القرن التاسع عشر ردم أكبر قسم من البركة فأزيلت الكيمان التي

---

[1] عجائب الآثار للجبرتي جـ ٣ ص ٢٤٣.

[2] عجائب الآثار للجبرتي جـ ١ ص ٢٠٤.

[3] عجائب الآثار للجبرتي جـ ١ ص ١٩٢.

[4] عبر البشر في القرن الثالث عشر ص ٤٨ خط.

كانت مجاورة لها وأقيمت المتنزهات وشيدت المنتديات.

وفي سنة ١٨٦٤م ردم البركة وضمت إلى الحديقة التي أعيد تنظيمها. وأقيمت بها البرك والأكشاك والجبلاية ووضعت بها[١] الطيور المغردة، وأضيئت بغاز الاستصباح، وشقت بها الشوارع حسب تخطيطها الحالي. وأنشئ بجوارها ثاني مسرح كوميدي. ثم أنشئت دار الأوبرا سنة ١٨٦٩م.

وفي سنة ١٨٩٩م تم إنشاء فندق الكونتننتال واحتفل بافتتاحه.

وفي ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٤ شقها شارع ٢٦ يوليه ذلك الشارع العظيم مضرب الأمثال في سرعة التنفيذ، وفتحت أبوابها للشعب ينعم بها ففرجت كرب الفقراء المحيطين بها وتنفسوا هواء نقياً استخلص الحمد والدعاء الخالص بدوام التوفيق للقائمين بهذا العمل الجليل.

وكذلك أباح الكثير من أغنياء مصر حدائق دورهم لجيرانهم ينعمون بالتنزه فيها. وكانت حدائق الدور الكبيرة وسط أحياء القاهرة بمثابة حدائق عامة تنفس بسعتها عن سكان الحي.

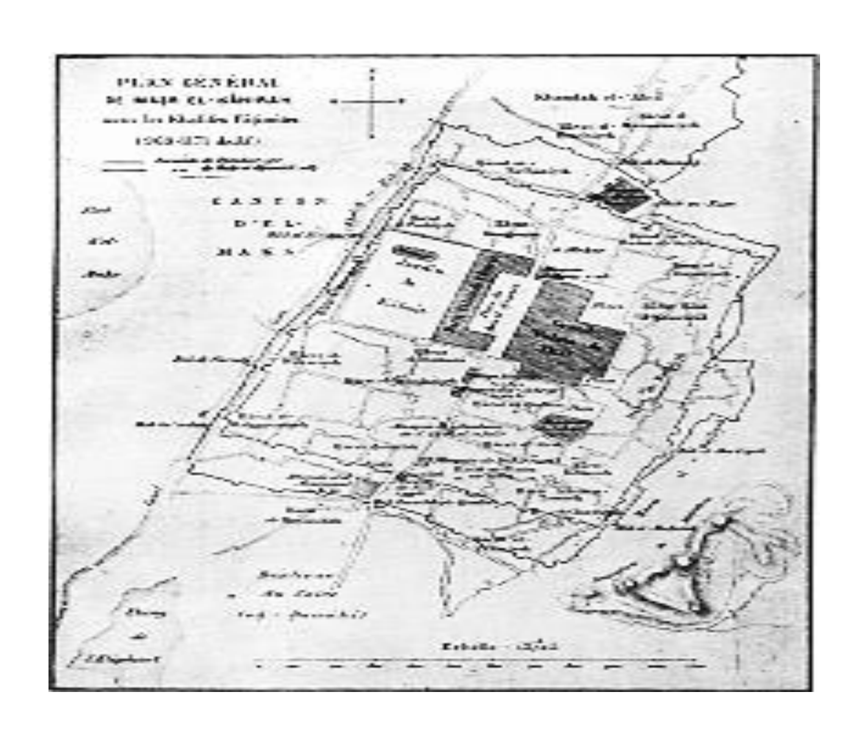
وممن أباح حديقة قصره وعلى نطاق واسع الأمير قاسم بك أبو سيف المتوفي سنة ١٢١٦هـ - ١٨٠١م. فقد كان قصره يشغل مساحة كبيرة من أراضي البركة الناصرية، يحيط به حديقة كبيرة تشقها قنوات الماء التي تصل إلى البركة أيام فيضان النيل، وأحكم جريان الماء في قنوات مرتفعة، وغرس فيها الزهور والفواكه والنخيل والأشجار[٢].

ونسق بها جلسات مفروشة لخاصته ظللها بالزهور، وأباح للناس الدخول إليها، والتنزه في رياضها ووضع لافتة على أحد الأشجار بمدخلها كتب عليها: (حديقة الصفصاف والآس، لمن يريد الحظ والائتناس).

---

[١] المحاسن البهية في حديقة الأزبكية ص ٥ – ٧.

[٢] عجائب الآثار للجبرتي جـ ٣ ص ٢١٩.



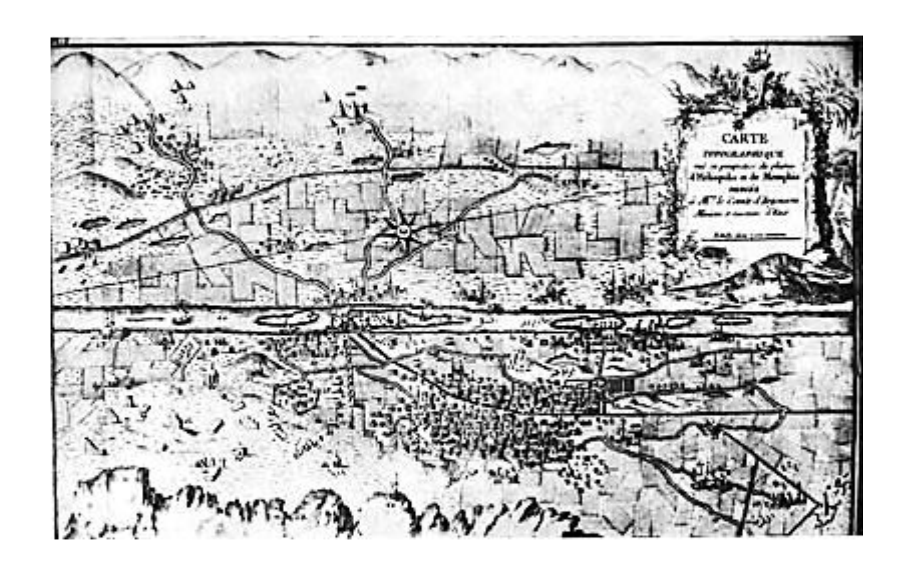
القاهرة الفاطمية والميادين حول القصرين الفاطميين عن رافيس



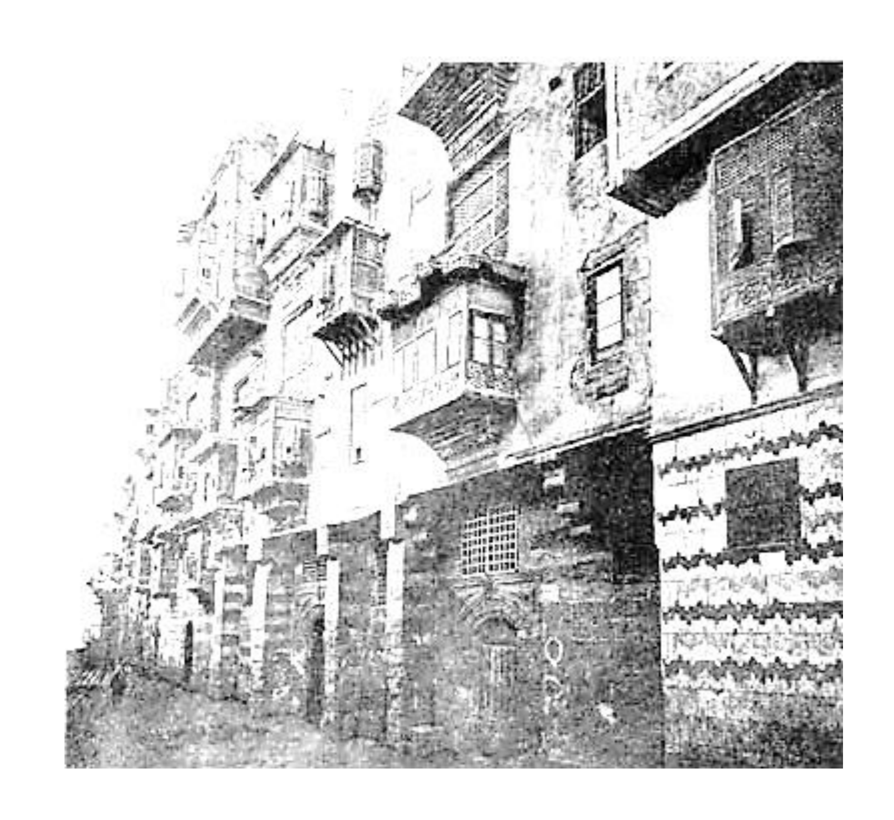
منظر للجيزة والأهرام مأخوذة من منطقة الرصد التي تمنى المعز لدين الله أن تكون بها القاهرة



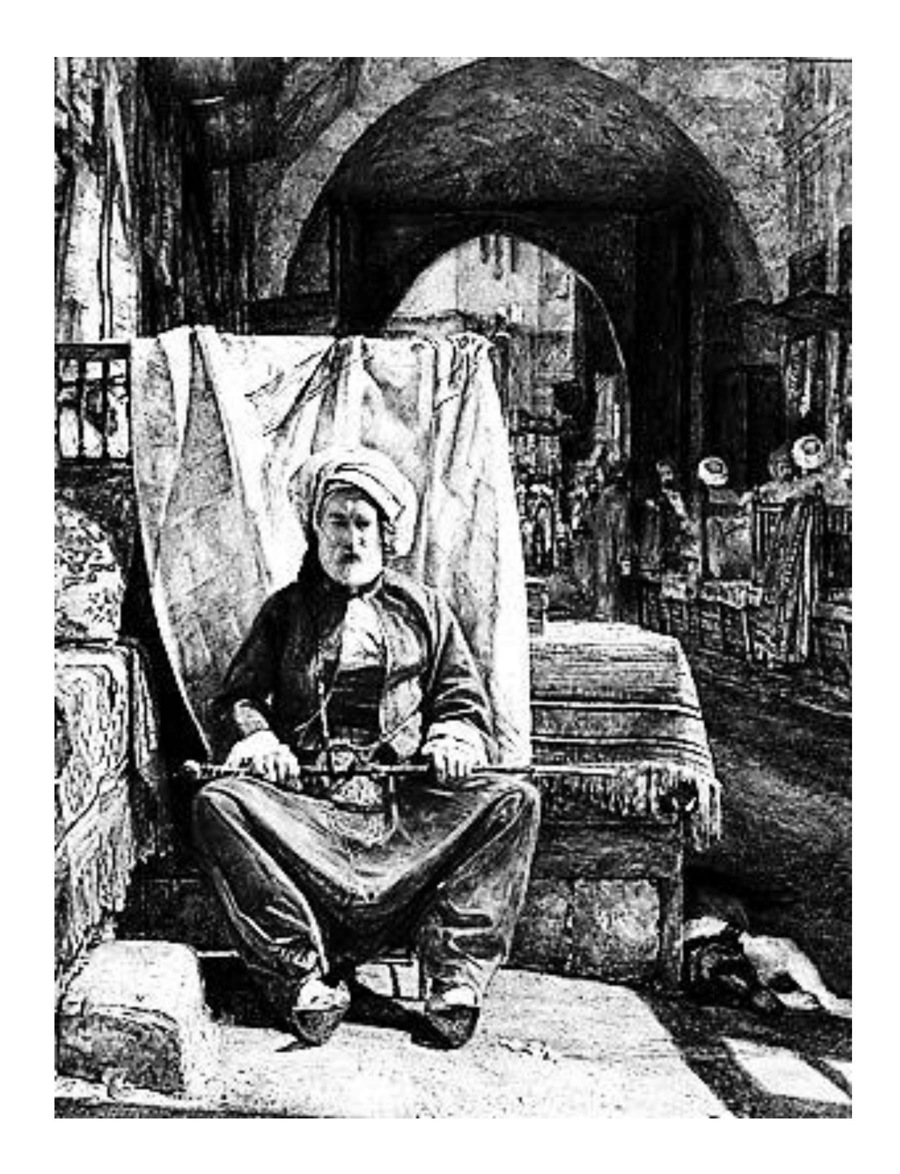
القاهرة سنة ١٥٦٩ عن براون وهاجتيرج



القاهرة سنة ١٧٥٠ عن قرمون



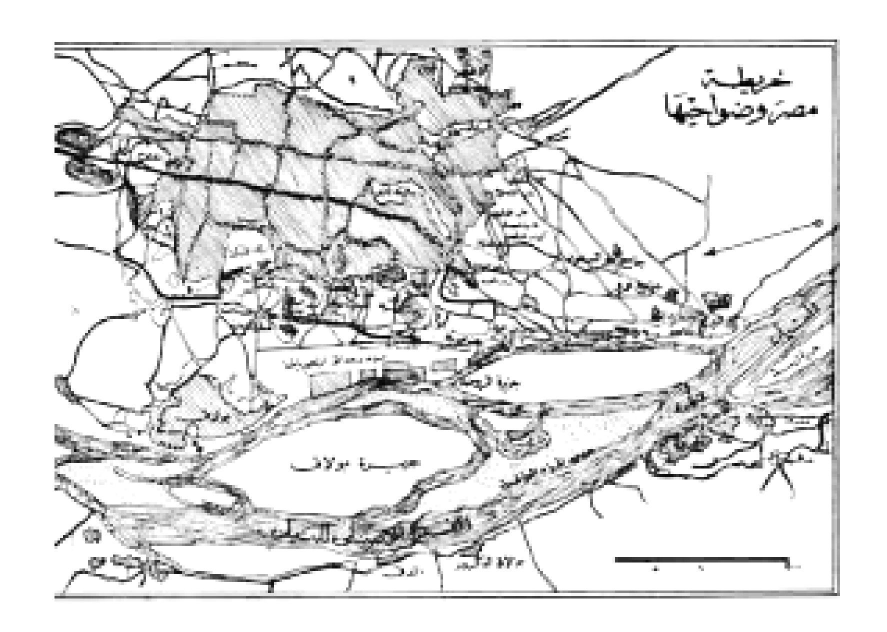
شارع الزيادة بجوار الجامع الطولوني (القاهرة في القرن الثامن عشر)



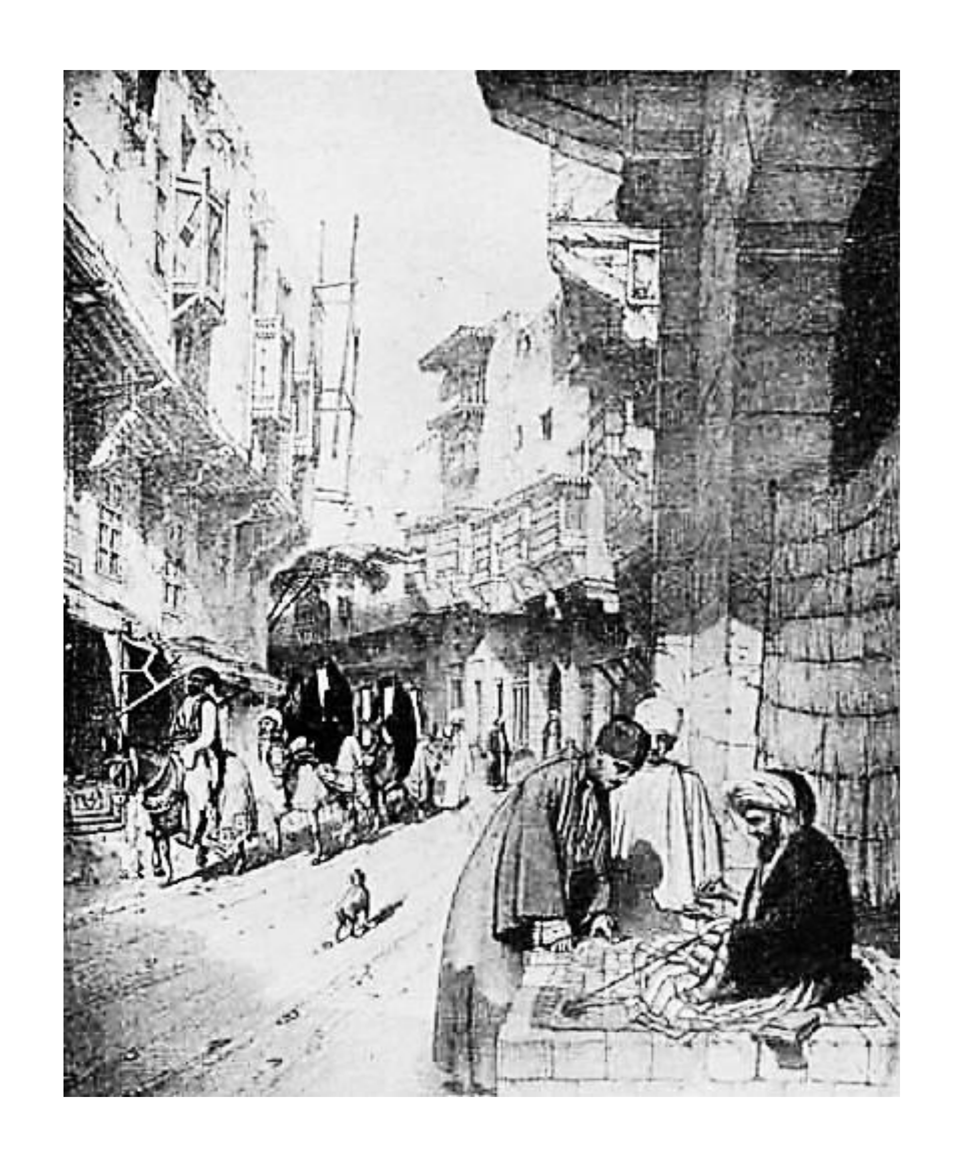
خان الخليلي في القرن الثامن عشر



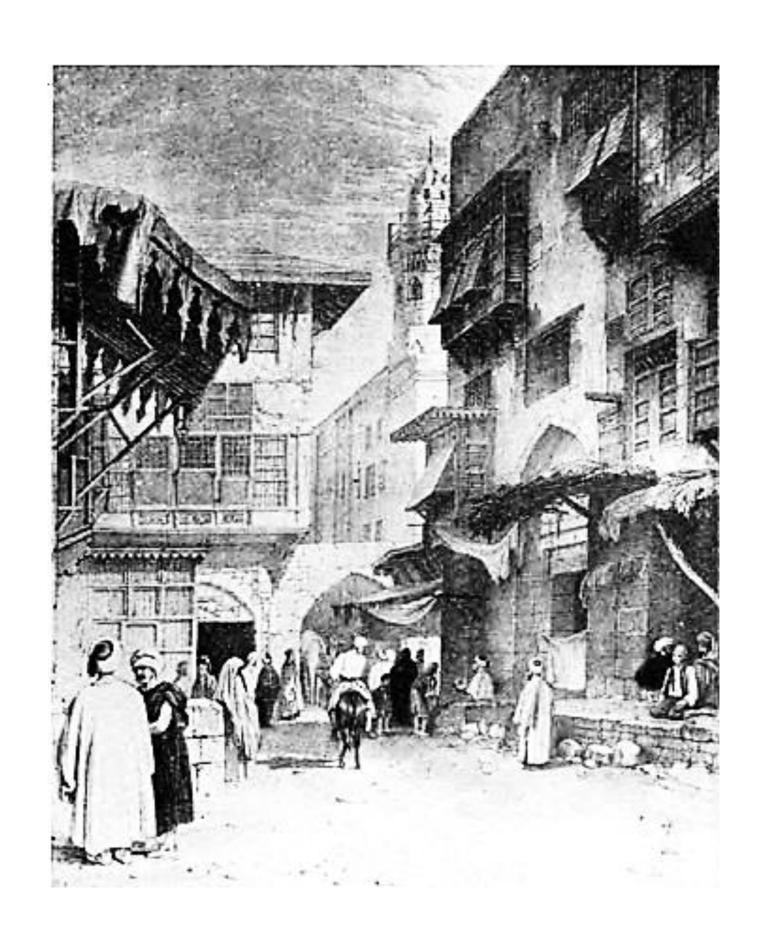
بركة الأزبكية في القرن الثامن عشر



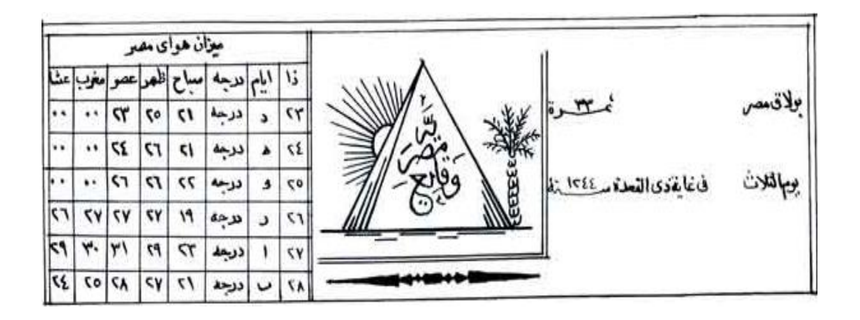
القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر عن كلوت بك



شارع باب الخلق (القرن التاسع عشر)



وكالة ذو الفقار وخط الجمالية – القرن التاسع عشر



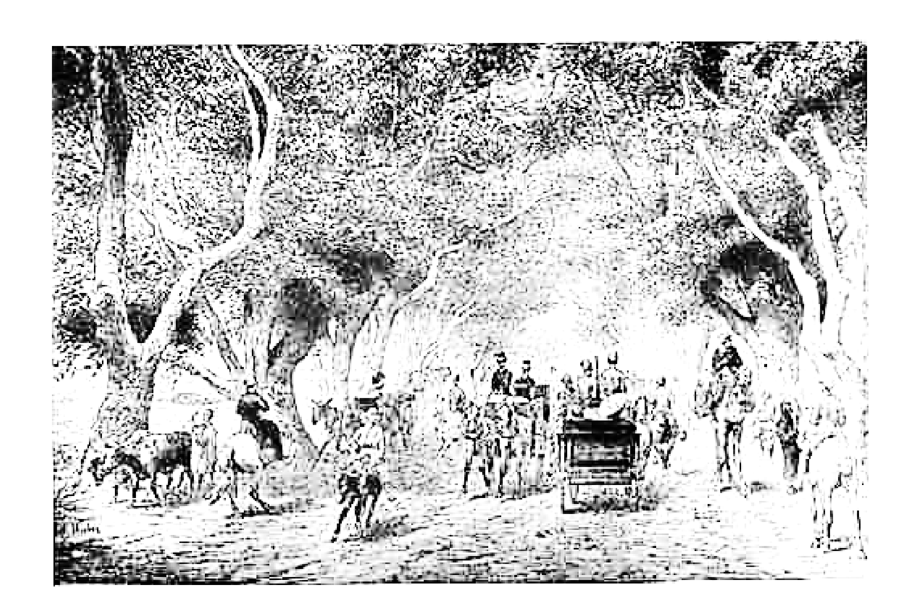
بولاق مصر | نمرة ٣٣

يوم الثلاث | في غاية ذي القعدة سنة ١٢٤٤

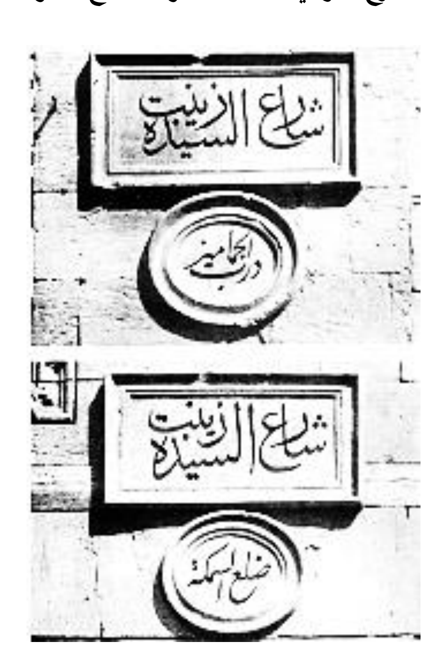
ميزان هواى مصر

ذا	ايام	درجه	صباح	ظهر	عصر	مغرب	عشا
٢٣	د	درجه	٢١	٢٥	٢٣	٠٠	٠٠
٢٤	ه	درجه	٢١	٢٦	٢٤	٠٠	٠٠
٢٥	و	درجه	٢٢	٢٦	٢٦	٠٠	٠٠
٢٦	ر	درجه	١٩	٢٧	٢٧	٢٧	٢٦
٢٧	ا	درجه	٢٣	٢٩	٣١	٣٠	٢٩
٢٨	ب	درجه	٢١	٢٧	٢٨	٢٥	٢٤

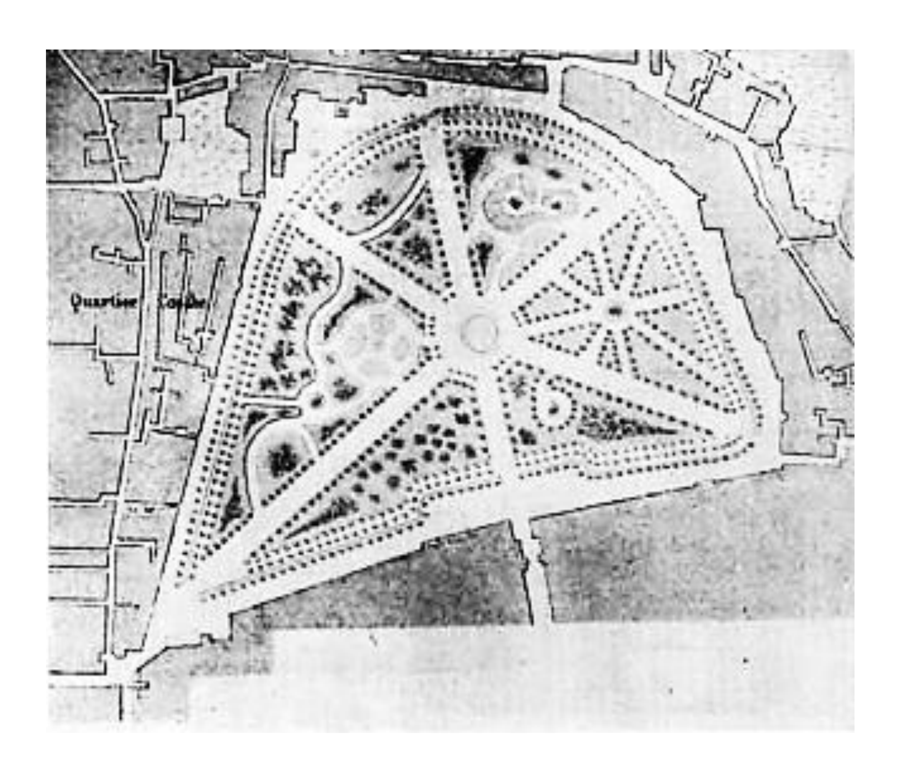
النشرة الجوية الصادرة يوم الثلاثاء آخر ذي القعدة سنة ١٢٤٤هـ سنة ١٧٢٨م



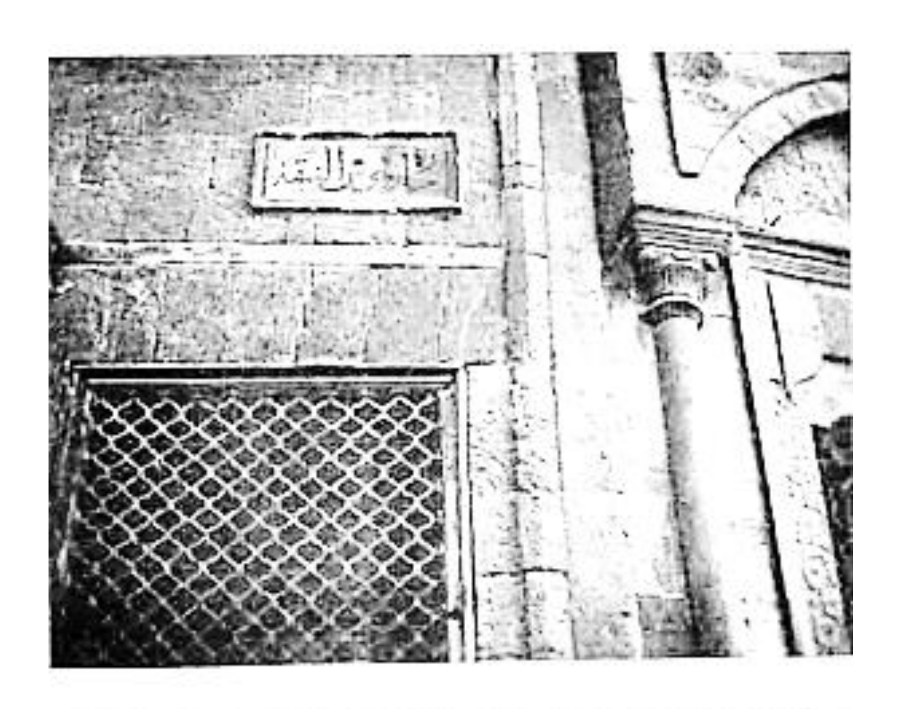
شارع شبرا في منتصف القرن التاسع عشر



لافتات الشوارع الرئيسية والفرعية ما زالت موجودة على مسجد قرافجة الحسني وعلى سبيل السلطان محمود

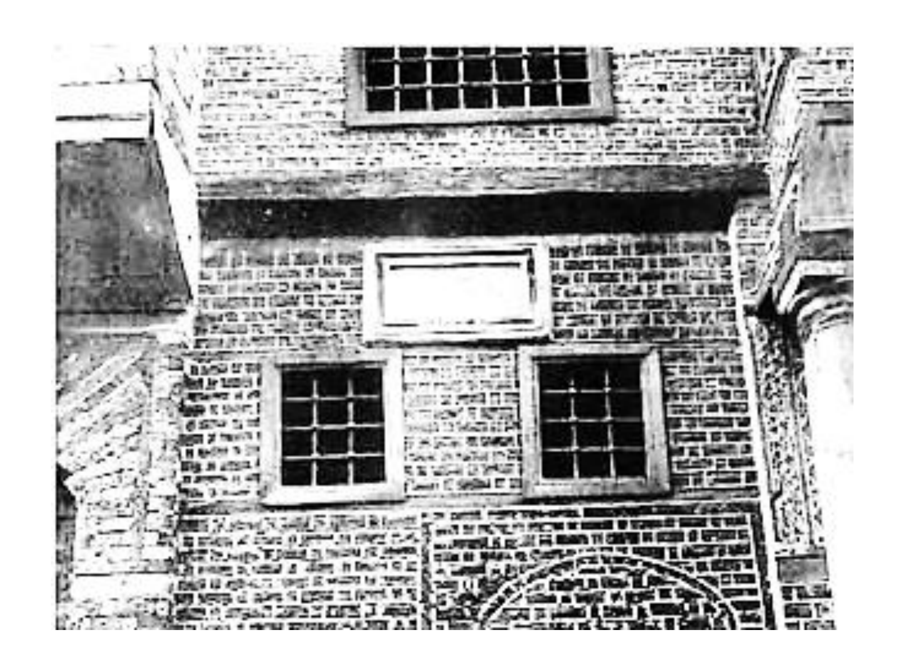


حديقة الأزبكية وما حولها – حوالي سنة ١٨٤٠

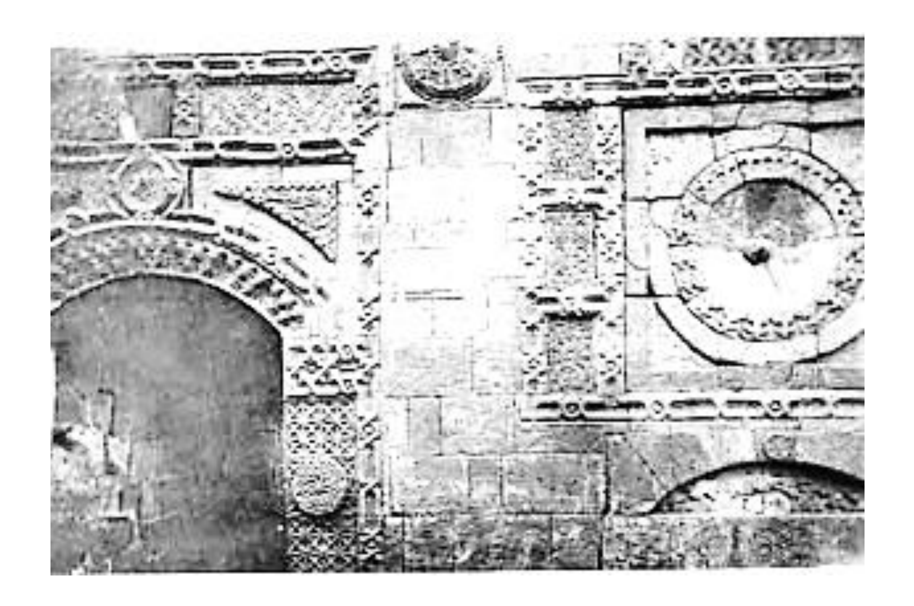




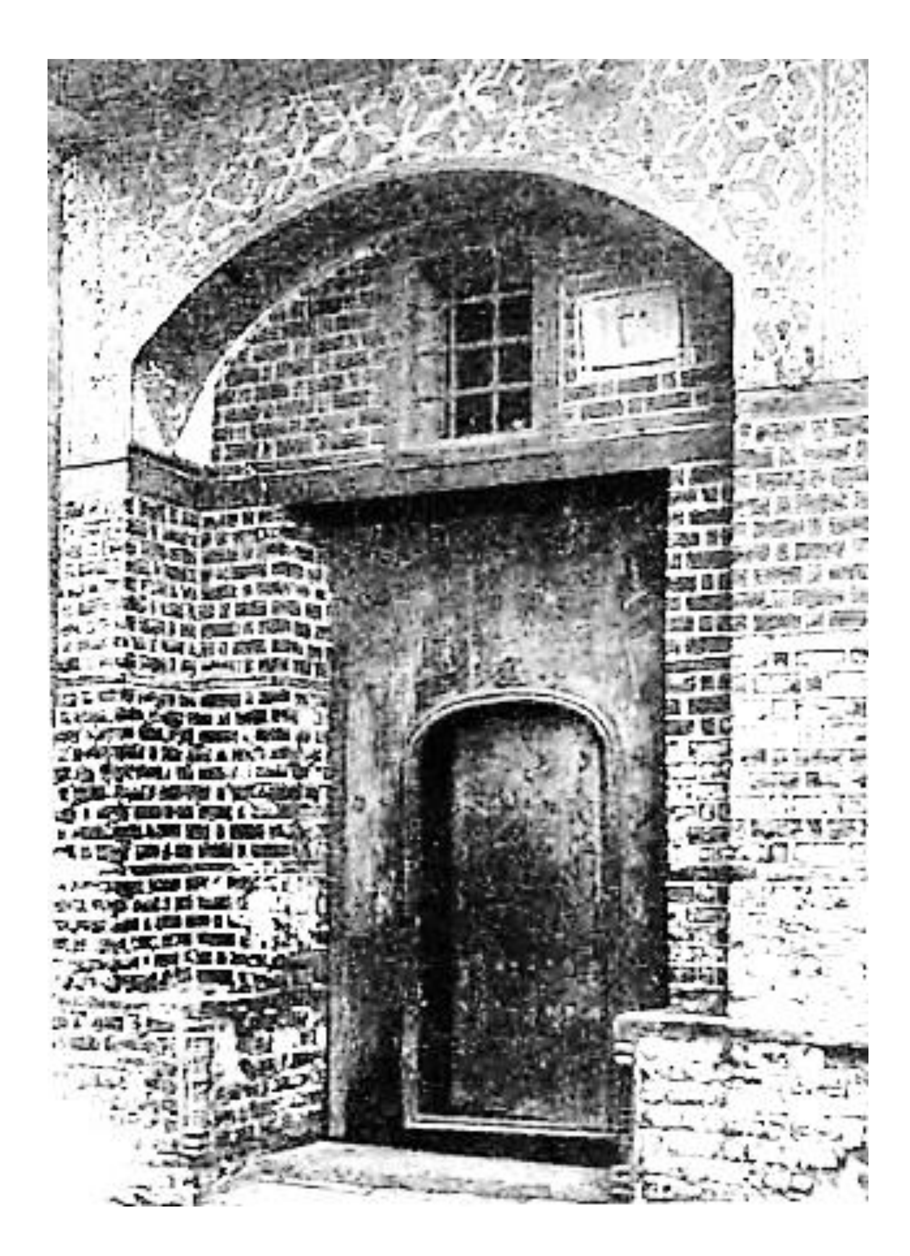
لافتات الحواري، وهذه اللوحة ما زالت موجودة على سبيل السلطان مصطفى بميدان السيدة زينب



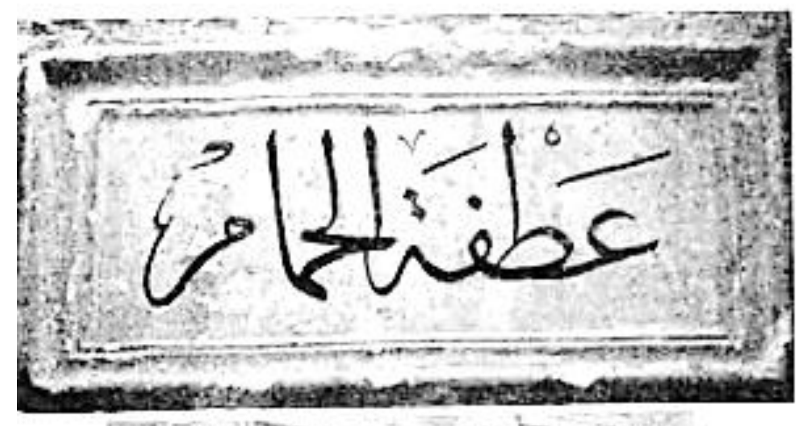
لافتة حارة الجاد يوسف رشيد



رقم تنظيم المنزل بشارع علوة السمك بمصر القديمة



رقم تنظيم منزل المناديلي الأثري رشيد





بوابة عطفة الحمام بالسكرية وعليها لافتة باسم العطفة

شارع المعز لدين الله.. زاخر بالآثار الاسلامية

شارع المعز لدين الله، هو الشارع الأعظم لمدينة القاهرة الفاطمية، عرف بشارع القاهرة وقصبتها، وأخيراً أطلق عليه اسم المعز لدين الله في سنة **١٩٣٧** تكريماً لمنشئ القاهرة ، وهذه التسمية ضمت أسماء أخطاط وأسواق، منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث ، وتمتد تلك التسمية من باب الفتوح إلى بانيه زويلة، وقد شملت شوارع: باب الفتوح، أمير الجيوش، النحاسين، بين القصرين، الصاغة، الأشرفية، الشوايين، العقادين، المناخلية والمنجدين، السكرية إلى باب زويلة.

ولم تكن تلك المسميات كلها، ولا الأسواق التي أنشئت فيها، موجودة عند إنشاء القاهرة، لأن القاهرة عند إنشائها كانت مخصصة لسكني الخليفة. وفيها القصران الكبير والصغير، فعرف الشارع الذي بينهما باسم "بين القصرين".وكان بها ملحقات القصور ودواوين الحكم ودار العلم، وكان يسكن بها خاصة الخليفة وجنود القبائل الوافدين مع جوهر القائد إلى مصر.



من لوحات المستشرقين والرحالة يظهر بها جزء من شارع المعز خاصة سبيل خسرو باشا والذى يرجع للعصر العثمانى بتاريخ ١٥٣٤- ١٥٣٦ بجواره تظهر مئذنة المدرسة الصالحية التى تنسب للصالح نجم الدين ايوب من العصر الايوبى بتاريخ ١٢٤٠- ١٢٤٩.

وكان طول هذا الشارع عند تخطيط القاهرة دون هذا. فقد كان محصوراً بين حارة الروم من الجنوب، حيث كان باب زويلة، وبين حارة بهاء الدين (بين السيارج) من الشمال حيث كان باب الفتوح. وكان جامع الحاكم بأمر الله خارج القاهرة. فلما جدد بدر الجمالي، وزير الخليفة المستنصر بالله، أسوار القاهرة وأبوابها سنة ٤٨٠ إلى ٤٨٤هـ (١٠٨٧ إلى ١٠٩١م) وسعها من الحدين الشمالي والجنوبي، فصار جامع الحاكم داخل القاهرة، ومثله المنطقة من حارة الروم إلى باب زويلة الحالي وقد كان الباب الأول عند حارة الروم.

ومنذ هذا الوقت أبيحت السكنى في القاهرة للأهالي. وأنشئت بعض الأسواق في الشارع الأعظم، وأولها سوق الشوايين في الجنوب. وبعد أن قضى صلاح الدين على الدولة الفاطمية، تلاحقت في الشارع الأعظم الأسواق المخصصة لمختلف السلع التجارات والصناعات، كما أنشت فيه القصور والمساجد.

ويصف الأسواق المتلاحقة في الشارع الأعظم، تقي الدين المقريزي مؤرخ مصر ومحتسبها حسب مشاهدته لها في القرن الخامس عشر الميلادي بقوله:

"وقد أدركت هذه المسافة بأسرها، عامرة الحوانيت، غاصة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة، تبهج العين رؤيتها، ويعجز المار عن إحصاء ما فيها من الأشخاص. وسمعت الكافة ممن أدركت يفاخرون بمصر سائر البلاد ويقولون: يرمى بمصر في كل يوم ألف دينار ذهباً على الكيمان والمزابل. يعنون بذلك ما يلقى عليها من الشقاف الحمر التي يستعملها اللبانون والجبانون، والمخلفة من حوانيت الطباخين، هذا عدا ما يلقى من ورق البضائع وخيوطها.

ومن كثرة عمران هذا الشارع والإقبال عليه، أن الباعة كانوا يعرضون سلعهم في الطريق على طول الشارع، وكان رجال الشرطة يطاردونهم بين آونة وأخرى، لتضييقهم الطريق ومزاحمتهم لأصحاب الحوانيت".

والمقريزي لم يكن وصفه هذا للشارع في القرن الخامس عشر الميلادي فحسب، بل هو وصفه لما كان عليه منذ القرن الثالث عشر الميلادي. قال:

سوق باب الفتوح: كان من أعمر الأسواق عالمياً بحوانيت الجزارين والخضريين وغيرهم.

سوق المرحلين: برأس حارة بهاء الدين (بين السيارج) معمور الجانبين برحالات الجمال وسائر ما تحتاج إليه خصوصاً في موسم الحج

سوق خان الرواسين: على رأس سويقة أمير الجيوش – كان مملوءً بأنواع المأكولات (وخاصة لحمة الرأس).

سوق حارة برجوان: من الأسواق القديمة الحافلة بأنواع الأطعمة.عرف قديماً بسوق أمير الجيوش.ثم عادت إليه التسمية.

سوق الشماعين: كان مخصصاً لبيع الشموع، ما بين موكبية وفانوسية، وكان يروج في شهر رمضان، وموسم الغطاس، وتستمر حوانيته مفتحة إلى منتصف الليل.

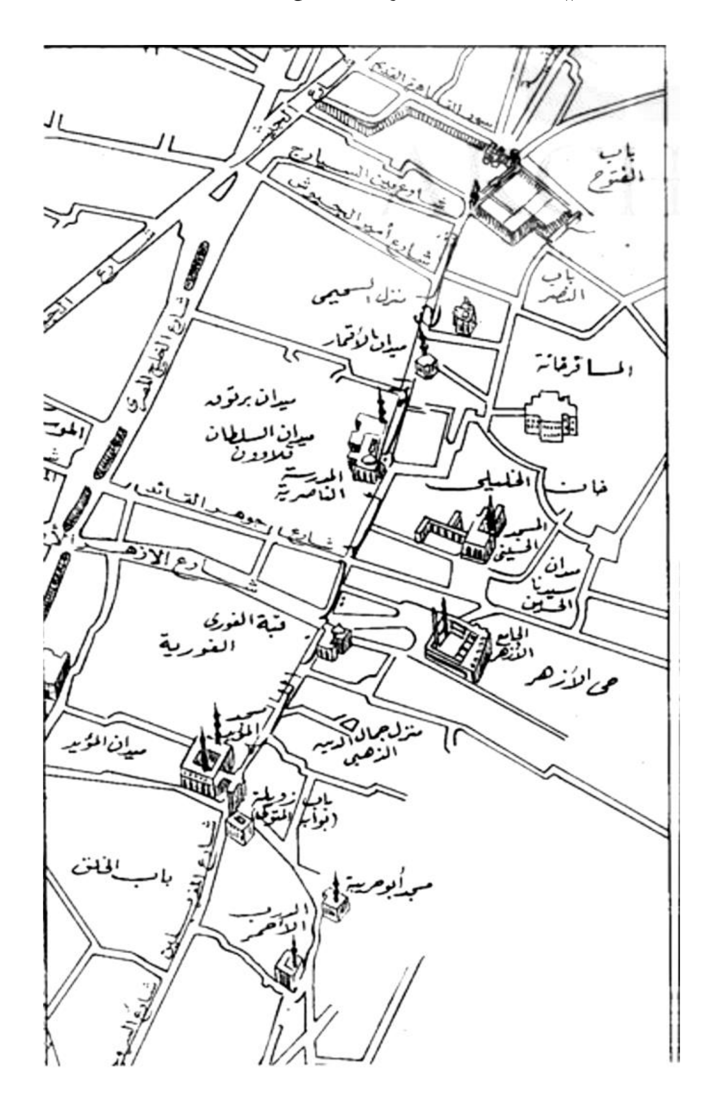
سوق الدجاجين: يلي سوق الشماعين. وكان يباع فيه الدجاج والأوز والعصافير، عدا الطيور المغردة والملونة، وكان التنافس في اقتنائها عظيماً. وكان فيه أيضاً سوق الكتبيين.

سوق بين القصرين: هذا السوق أعظم أسواق الدنيا، أحدث بعد زوال الدولة الفاطمية. وكان فيه سوق السلاح، وكان مخصصاً لبيع القسى والنشاب والزرد، وعلى جانبيه حوانيت الصيارف وكان يجمع بين أنواع التجارات والمطاعم والفواكه، ومجالس العلم، واللهو. فكان بعد انفضاض الأسواق نهاراً يحول ليلاً إلى أندية ويخرج إليه سكان القاهرة للاستمتاع بإضاءته ومباهجه.

وكان فيه أيضاً سوق القفصيات تحت شبابيك قبة المنصور قلاوون، حيث كان الصاغة يعرضون في أقفاص الحديد الزخرفي أنواع الحلي.

سوق الصاغة: كان متصلاً بسوق القفصيات، وحوله سوق الأمشاطيين، وتجار أنواع المكسرات.

سوق المهاميز: وكانت المهاميز تتخذ من الذهب.

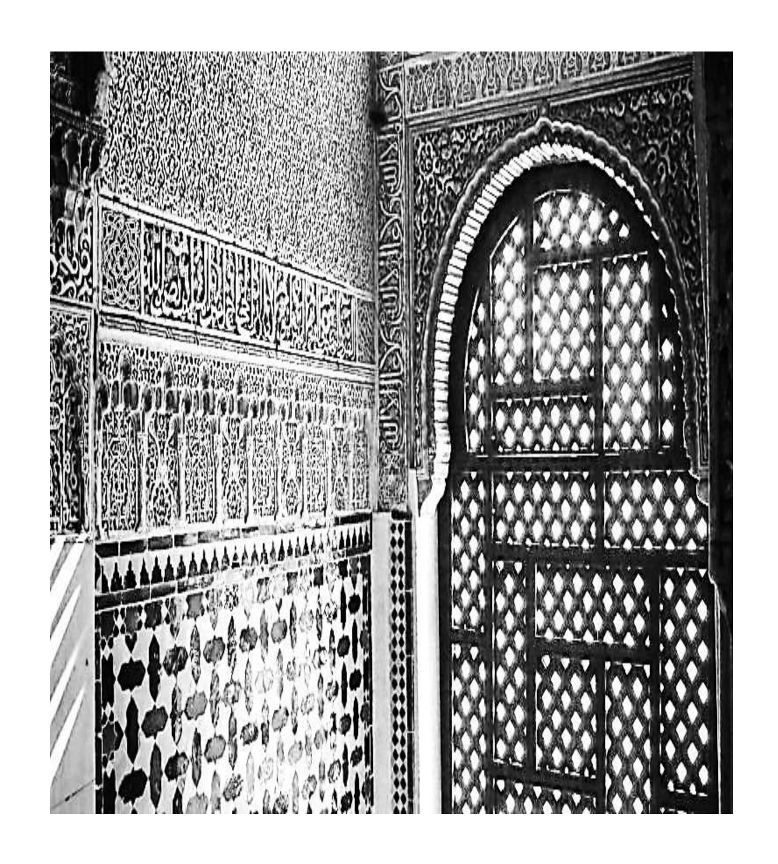


شارع المعز لدين الله مبتدئاً من باب الفتوح شمالاً إلى باب زويلة –بوابة المتولي– جنوباً وهو أملأ الشوارع العربية بالآثار الإسلامية



باب زويلة، أحد أبواب القاهرة القديمة، الخاصتين بمسجد المؤيد...

ويعود تاريخ بناء هذ الباب إلى عام ٤٨٢هـ ١٠٩١م.



من داخل بيت السحيمي ، الذي يعد من المنازل القليلة التي مازالت محتفظة بطابعها القديم.

وقد شيد هذا المنزل عام ١٠٥٨هـ ١٦٤٨م ويقع وسط شارع المعز لدين الله، في منطقة الدرب الأصفر، ويستعمل اليوم كمتحف عام. وهذه صورة حديقته الداخلية، التي تطل عليها شرفات ومشربيات البيت.

إلى اليسار: يبدأ شارع المعز من عند باب الفتوح.

وهذا الباب من أجمل بوابات القاهرة القديمة.. وفي الليل تسلط عليه الأضواء الكهربائية لإبراز جماله..

أو الفضة المطعمة بالذهب ومثلها رشمات الخيل المطعمة بالمينا والذهب والفضة.

ويتصل بهذا السوق سوق اللجميين والسروجية. وكان مخصصاً لبيع لجم الخيل وما يتعلق بها.

سوق الجوخيين:لبيع أنواع الجوخ الأجنبية.

سوق الحلاويين: كان يلي سوق الجوخيين، وكان حافلاً بأنواع الحلويات بأشكالها المختلفة.

سوق الشرابيين: وكان قريباً من حارة الروميليه سوق الغرابليين والمناخلية فالخلعيين صانعي الأكسية إلى باب زويلة.

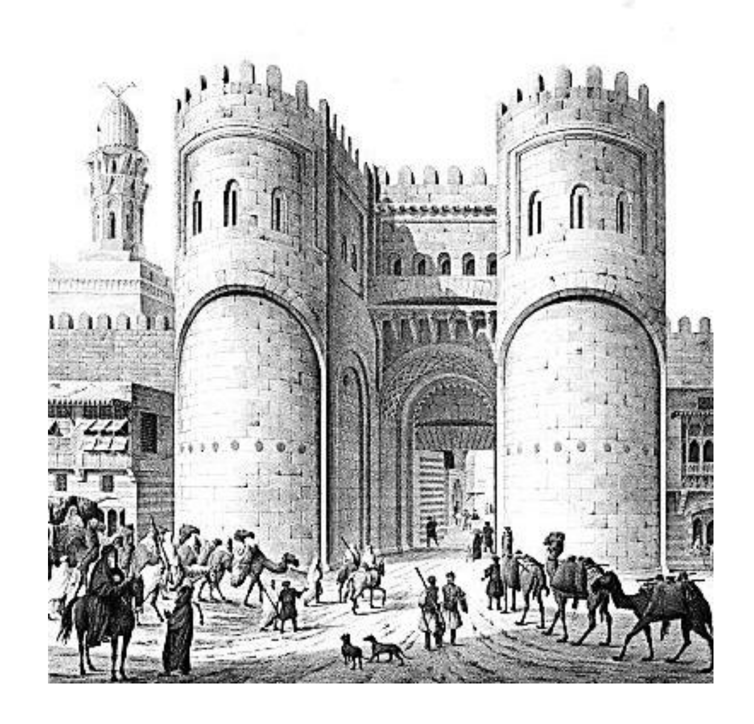
مساجد ومدارس وقصور

وتخلل تلك الأسواق المساجد والمدارس والقصور المنشأة في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني والعصر الحديث. غير أن تلك الأسواق منها ما زال محتفظاً باسمه وصناعاته وتجاراته ومنها ما تغير، وهذا ما سنشير إليه ابتداء من:

باب الفتوح - باب الإقبال

هذا الباب الضخم الفخم من إنشاء الأمير بدر الجمالي سنة ٤٨٠هـ ١٠٨٧م. ويتصل به سور القاهرة الذي يربط بينه وبين باب النصر، والذي يمتد شرقاً وغرباً، ويلحظ في هذا العظمة وقوة التحصينات، وجمال النقوش في عقده والكوابيل فوقه ومنها ما هو على شكل رأس كبش.وكان لهذا الباب تقاليد من الدولة الفاطمية.

فكان إذا قدم رسول ملك الروم يدخل من باب الفتوح ويقبل الأرض وهو ماش إلى أن يصل إلى القصر. وكذلك يفعل من غضب عليه الخليفة فإنه يخرج من باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث طالباً عفو أمير المؤمنين والإذن له بالسير إلى القصر.



باب الفتوح

وفي عصر الأيوبيين، ثم في دولتي المماليك،كان السلطان إذا استقر في سلطنة مصر يلبس خلعة السلطنة بظاهر القاهرة. ويدخل من باب الفتوح راكباً، والوزير في ركابه، وهو حامل عهد السلطان الذي كتبه له الخليفة بسلطنة مصر، والأمراء والعساكر مشاة حوله، شاقاً شارع القاهرة إلى أن يخرج من باب زويلة فيركب الأمراء وبقية العسكر.

وكان محتسب القاهرة يخص هذا الشارع بعناية فائقة من الإشراف على النظافة وتنظيم المرور فيه وإضاءته وحراسة متاجره.

جامع الحاكم بأمر الله

باجتياز باب الفتوح يطالعنا جامع الحاكم بأمر الله الذي أنشأه الخليفة العزيز

بالله سنة ٣٨٠هـ، ٩٩٠م.وأتمه ابنه الحاكم بأمر الله،وافتتحه للصلاة سنة ٤٠٣هـ، ١٠١٢م. وهو وإن كان طرأ عليه تخريب كثير إلا أن الزمن أبقى على بابه الكبير بزخارفه، وعلى قسم كبير من إيوانه الشرقي بعقوده وشبابيكه الكوفية وبقايا قبابه. كما أبقى على منارتيه المعتبرتين من أقدم المنارات في مصر، وقد حفلتا بالزخارف والكتابات الكوفية.

ما قمتهما فقد أمر بعملهما الأمير بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٣هـ، ١٣٠٣م، عند إصلاحه للجامع عقب زلزال سنة(٧٠٢هـ، ١٣٠٢م).وهي دخيلة على الجامع ومشوهة له.



جامع الحاكم بأمر الله

الأسواق حول جامع الحاكم بأمر الله

وكان سوق باب الفتوح في الساحة أمام الجامع.وقد تغيرت أوضاعه وتجاراته في مختلف العصور، وخاصة في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد أنشئت لصق واجهة الجامع، وفي الساحة أمامه، وكالات جمعت تجارات مختلفة وصناعات، ثم تركزت فيه تجارة الليمون وعرف بسوق الليمون، ويباع فيه الزيتون أيضاً، كما خصصت فيه

وكالات لبيع الثوم والبصل وما زالت باقية.كانت إحدى الوكالات مخصصة لصناعة الزجاج.

أما سوق المرحلين فمحله الآن بقية سوق باب الفتوح إلى أول شارع أمير الجيوش، وقد خلا من أدوات الجمال وترحيلها، كما خلا أيضاً سوق خان الرواسين وحل محلهما بقية سوق الليمون، وكان هناك سوق الإمشاطيين – لصناعة الأمشاط، وإلى وقت ليس ببعيد كانت هناك بقية من حوانيتهم برأس شارع أمير الجيوش.

كل هذا تغير، وبعد أن كان سوق حارة برجوان مخصصاً لبيع الأطعمة وفيه خان لصقل الورق حل فيه منذ القرن التاسع عشر تجار الأقمشة، ومنهم بقية، بجوارهم تجار النحاس، وباعة الورق والكتب المهملة بالوزن.

"دار العلم" وبيت المقريزي

وفي هذا الحي أنشئ مسجد سليمان أغا السلحدار سنة **١٢٥٥**هـ، **١٨٣٩**م، وملحق به سبيل له شبابيك نحاسية جميلة، ويطلق عليه الآن شارع أمير الجيوش.

وكان يلاصق الجامع مدخل حارة برجوان، وقصر السلحدار الذي حل محل دار العلم القديمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله. وكان بهذه الحارة منزل مؤرخ مصر العلامة تقي الدين المقريزي وقد هدم قصر السلحدار وأنشئ محله المدارس والمنازل على الطراز الحديث.

وأمام هذه الحارة حارة الدرب الأصفر، وكان بها في العصر الفاطمي المنحر الذي كان الخليفة الفاطمي يفتتح فيه ذبح الأضاحي عقب صلاة عيد الأضحى لتوزيعها على الفقراء.

وكان به رباط البغددية الذي أنشأته السيدة تركان خاتون ابنه الظاهر بيبرس البنداقداري سنة **٦٨٤**هـ، **١٢٨٥**م. وكان بمثابة دار كفالة للمرأة، تقيم فيه الفقيرات والمطلقات حتى يتزوجن أو يعدن إلى أزواجهن تحت إشراف سيدات يشرفن عليهن وعلى تثقيفهن.

منزل السحيمي

وبالحارة الآن منزل السحيمي، وهو من الدور القديمة التي احتفظت بجميع تفاصيلها وهو يرجع إلى عصرين. فالقسم القبلي منه وبه المدخل الرئيسي وما يتصل به من مقعد وقاعات من إنشاء الشيخ عبد الوهاب الطبلاوي سنة ١٠٥٨هـ، ١٦٤٨م، – والقسم البحري من المنزل وبه التختبوش القاعة الكبيرة من إنشاء الحاج إسماعيل شلبي سنة ١٢١١هـ، ١٧٩٧م. وبه القاعة الأرضية ذات الفسقية الرخامية النادرة، والحجرة العلوية الكبيرة المكسوة جدرانها بالقاشاني.وبالحديقة الداخلية من المنزل ساقية وطاحونة.



بيت السحيمي

وعرف المنزل باسم السحيمي نسبة لآخر أسر كانت تسكنه. وأخيراً نقلت إلى الحديقة الداخلية قبة عرفت بقبة جمال الدين، ترجع إلى القرن السادس عشر الميلادي، تعتبر فريدة في طرزها، فقد فرغت القبة بتقاسيم هندسية ملئت بجبس مزخرف مملوء بالزجاج الملون.

سوق الشماعين

وعن باب الدرب الأصفر إلى ما بعد الجامع الأقمر عكان سوق الشماعين. وكان من أجمل الأسواق بإضاءته وما كان يعلق فيه من فوانيس الشمع، ومنها نشأة فكرة فوانيس رمضان.

وقد ضاعت معالم هذا السوق بل ضاعت معالم الشارع، وطفت عليه المنشآت الحديثة بطرزها المنفرة، ولم يبق فيه سوى جامع الأقمر الذي أنشأه الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩هـ، ١١٢٥م.

وهو من مفاخر العمارة الفاطمية وتعتبر واجهته الغربية وحيدة في طرزها بما حوته من نقوش وكتابات كوفية.

وكما ضاعت معالم سوق الشماعين ضاعت أيضاً معالم سوق الدجاجين الذي كان يليه وحلت محله ساكن وعمارات حديثة وحوانيت لتجارة الخيش، وانتقلت تجارة الطيور المغردة والعصافير الملونة إلى شارع ٢٦ يوليو وإلى شارع عبد العزيز في القاهرة الحديثة، ويطلقون على هذا الشارع الآن شارع النحاسين.

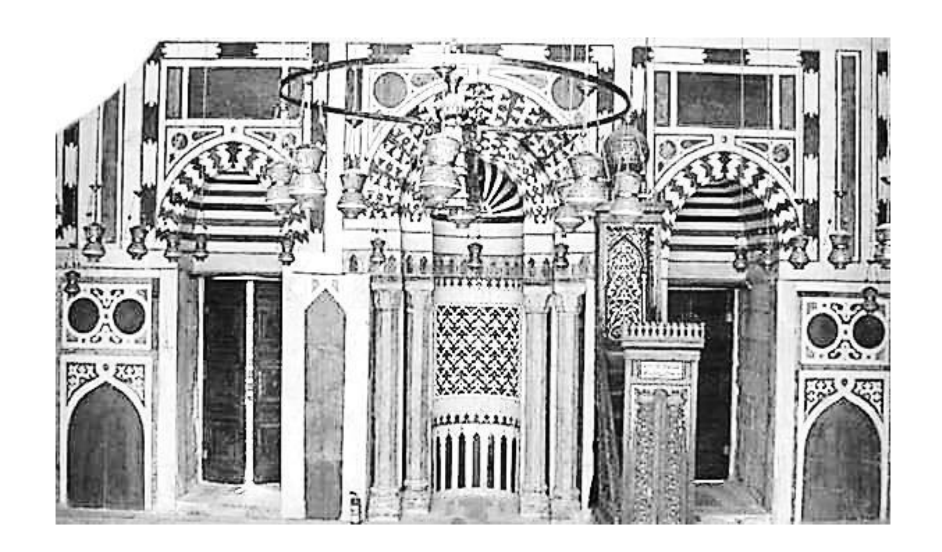
في شارع بين القصرين قصران كانا من عجائب الدنيا

يبتدئ هذا الشارع من سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا، المتوسط للشارع، وهو من أجمل الأسبلة، أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٥٧هـ، ١٧٤٤م. وقد كسيت واجهاته بالرخام الملون والمنقوش وكسيت جدران السبيل من الداخل بالقاشاني. وبه صورة الكعبة وما حولها.

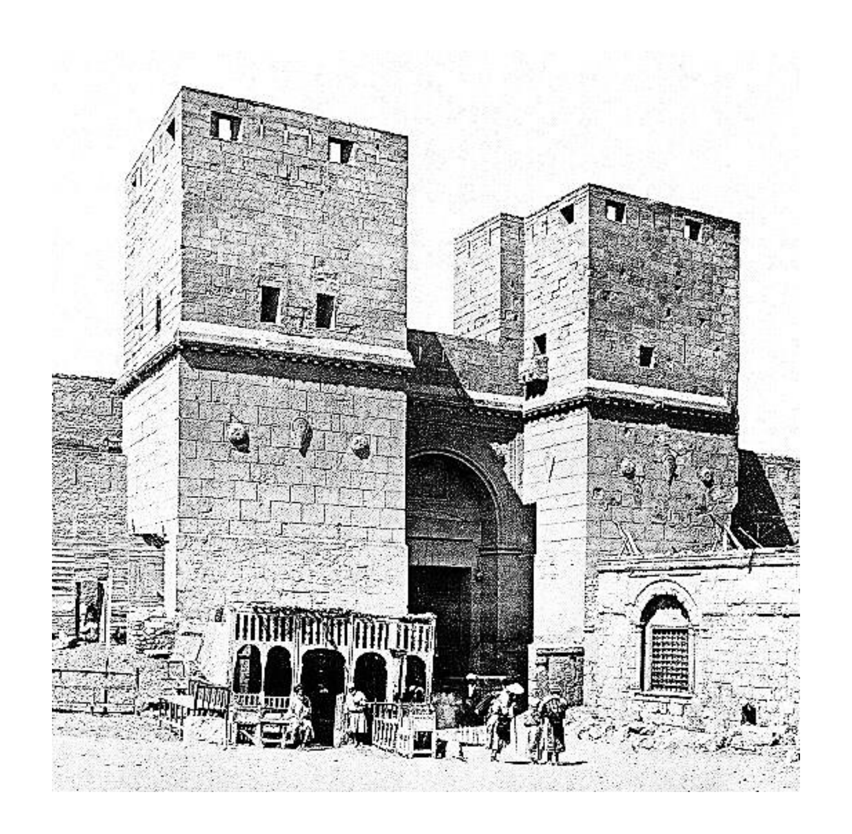
وقد عرف هذا الشارع بهذه التسمية لتوسطه بين القصرين الفاطميين القصر الشرقي الكبير والقصر الغربي الصغير، وكانا من عجائب الدنيا عمارة وفناً، وفيهما تجلت حضارة الدولة الفاطمية التي بهرت العالم بما حوته خزائن قصورهم من الطرائف والتحف.

ولما قضى صلاح الدين على الفاطميين وتبددت ثرواتهم أنشئت محل القصور المساجد والمدارس والأسواق بينهما، ثم جددت التسمية للمرة الثانية حينما أنشأ الأمير بيسري قصره على رقعة من أرض القصر الصغير سنة ٦٥٩هـ، ١٢٦٠م وأنشأ أمامه الأمير بشتاك قصره سنة ٧٣٥هـ، ١٣٣٥م. صار اسمه من جديد شارع ما بين القصرين.

وقد حل محل القصر الكبير الشرقي منشآت هي، قصر الأمير بشتاك ولعله أقدم قصر مملوكي احتفظ ببقاياه بمصر، وله واجهة شاهقة الارتفاع.



محراب قبة السلطان قلاوون، من أروع أعمال الفيسفساء في العمارة الاسلامية



باب النصر

إلى اليمين: ما زالت ثلاث من بوابات القاهرة القديمة قائمة حتى اليوم.. أنها بوابات زويلة والفتوح والنصر.. وبين البوابتين الأوليين يمتد شارع المعز لدين الله الفاطمي.. وترى هنا باب الفتوح ببرجيه الكبيرين..

ومما يذكر أن موقع هذا الباب قد تغير ونقل من مكانه الأصلي إلى هنا في عهد "بدر الجمالي"، الذي جدد سور القاهرة عام ٤٨٠هـ (١٠٨٧م).



شارع المعز

تمتاز العمارات التاريخية في شارع المعز لدين الله بتنوع فن الهندسة الإسلامية فيها.. فمرة زخارف جصية تشهد للمصريين بالنبوغ والإبداع.. (الصورة اليسرى) ومرة صناعة الرخام لعمل أعمدة المساجد.. ومرة تغطية الجدران بالفسيفساء الملونة البديعة.. ومرة صناعة الخشب المزخرف لصناعة منابر منه.. أن شارع المعز يخفي ثروة

من أندر ثروات فن العمارة الإسلامية، التي هي في أشد الحاجة لجلوها حتى يلمع معدنها.

وبقي مدخله الشرقي وعليه رنك المنشئ وقاعة كانت حافلة بالوزارات الرخامية الدقيقة المطعمة بالصدف، وبها سقف منقوش ملون.

سبيل النحاسيين

وكان بجواره سوق السلاح، وقد حل محله الآن خان كبير لبيع النحاس. وبجواره سبيل النحاسين الذي أنشأه مُحَمَّد علي باشا سنة ١٢٣٨هـ ١٨٢٢، وهو سبيل مستدير حفلت واجهته بالرخام المنقوش والشبابيك النحاسية المفرغة.

ثم شارع بيت القاضي الذي شطر المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٦٢هـ ١٢٦٣م وباق منها بقايا عليها رنكه (الأسد).

وبجوار المدرسة الظاهرية قبة الصالح نجم الدين قاهر الصليبين في المنصورة، تلك الموقعة التي أسر فيها لويس التاسع، والتي شيدتها له زوجته شجرة الدر سنة ٦٤٨هـ ١٢٥٠م.

أول مدرسة أنشئت للمذاهب الأربعة

وبجوارها بقايا المدارس الصالحية التي أنشأها الصالح نجم الدين سنة ٦٤١هـ ١٢٤٣م، وهي أول مدرسة أنشئت للمذاهب الأربعة، وما زالت تحتفظ بواجهتها الغربية وبمدخلها الفخم والمنارة فوقه.

أما القصر الصغير الغربي فقد حلت محله المدرسة الكاملية (دار الحديث) التي أنشأها الملك الكامل سنة ٦٢٢هـ، وجدد إنشائها بالمشربيات بواجهتها الأمير حسن شعراوي سنة ١١٦٦هـ ١٧٧٥م وحمام إينال سنة ٨٦١هـ ١٤٥٦م.

ومدرسة الظاهر برقوق سنة ٧٨٨هـ ١٣٨٦م، وهي أول مدرسة أنشئت في دولة المماليك الجراكسة، أمر بإنشائها الملك الظاهر برقوق سنة ١٣٨٦م، وهي

مدرسة حافلة بأنواع الزخرف ولها منارة ضخمة طعم بدن دورتها الثانية بالرخام، وطعم بابها النحاسي بالفضة، وسقف إيوانها الشرقي الكبير من رقعة واحدة مذهبة ملونة، وبها درس ابن خلدون.



قبة المنصور بن قلاوون

وأيضاً مدرسة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ ١٣٠٣م وعلى مدخلها باب الكنيسة الذي أحضره الأشرف خليل من عكا بعد مطاردته للصليبين سنة ٦٩٠هـ ١٢٩٠م. ويقوم فوقه منارة جميلة بالزخارف الأندلسية.

ثم قبة ومدرسة وبيمارستان (مستشفى) المنصور قلاوون، تلك المجموعة العظيمة التي أنشأها المنصور قلاوون سنة ٦٨٤هـ ١٢٨٥م، وقد جمع محاسن العمارة، والناظر إلى هذه المجموعة يرى منظراً من أروع المناظر الإسلامية بالقاهرة، فقد اشتملت الواجهة على عقود محمولة على عمد رخامية وشبابيك مفرغة بأشكال هندسية، وعلى طرفها البحري المنارة الكبيرة وقد جدد إنشائها ابنه الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ ١٣٠٣م كما أنشأ السبيل بواجهة المدرسة.

والقبة من الداخل غنية بمختلف الفنون، فقد كسيت جدرانها بالرخام الدقيق المطعم بالصدف، ونقشت وذهبكات سقوفها، وبها محراب رخامي دقيق من أكبر وأفخم المحاريب.

ومن أرضية هذه القبة إلى قمتها، لا نرى إلا لوناً زاهياً وتذهيباً براقاً. أما البيمارستان فلم يبق منه سوى أيوانين متقابلين، ومن وصف المؤرخين له وحجة وقفة عرفنا أنه كان مستشفى كاملاً ومدرسة للطب خصص لعلاج جميع الأمراض. وفي سوق بين القصرين الآن تجار النحاس وأدوات النرجلة.

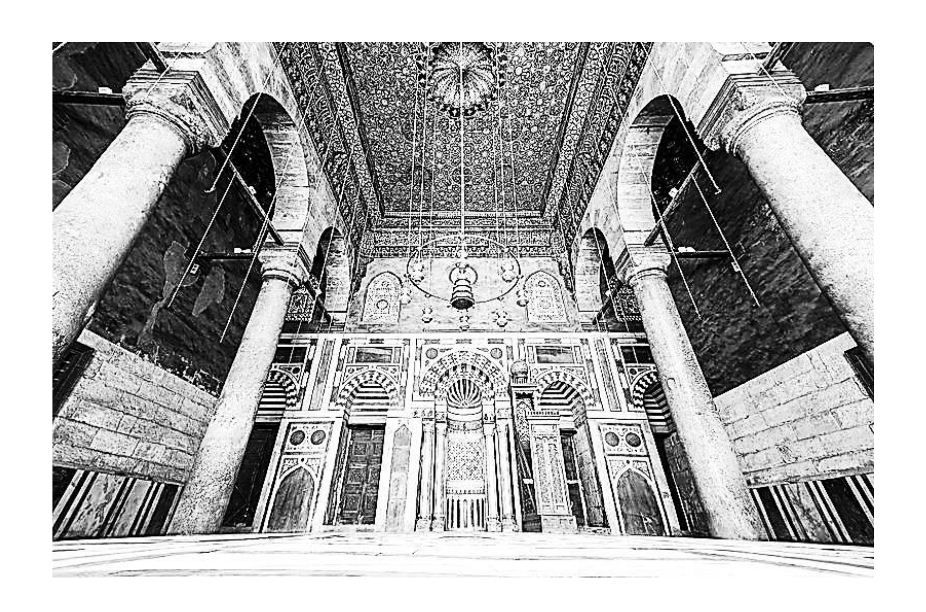
الصاغة وخان الخليلي

أما الصاغة فإنها مازالت في مكانها، وتلاشى منها سوق المهاميز وسوق النجميين. وهي تشغل أيضاً الحارات المتفرعة منها، فهي مشحونة بصناع الحلي والأحجار الكريمة، والطلائيين، ويتفرع منها أيضاً خان الخليلي.وبنهاية الصاغة جامع المطهر الذي جدد إنشاءه الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٥٧هـ ١٧٤٤م وكان قبل ذلك المدرسة الصوفية التي أنشأها صلاح الدين للسادة الحنفية وعرفت وقتئذ بالسيوفية حيث كان سوق السيوفيين على بابها.

مسجد الأشرف برسباى

وبأول شارع الأشرفية مسجد الأشرف برسباى، أنشأه الملك الأشرف برسباى سنة ٨٢٩هـ ١٤٢٥م وهي السنة التي فتح فيها قبرص، وانتهز تلك المناسبة وعلق خوذة ملكيها على باب المدرسة تذكاراً لهذا النصر.

وما زال السوق حولها محتفظاً بتجاراته، فسوق العنبريين الذي أنشأه المنصور قلاوون سنة ١٢٨٠م ما زال موجوداً بجوار الجامع، وسوق الصنادقيين مازال موجوداً أمام المسجد، والمنطقة حوله عامرة بحوانيت العطارين وباعة العطور، كما أن سوق العنبريين يتصل به تجار الأقمشة الصوفية والجوخ.



مدرسة ومسجد الظاهر برقوق أول ملوك الجراكسة، ويرجع تاريخ البناء إلى عام ٧٨٦هـ (١٣٨٤م).

جامع الغوري

وعلى رأس شارع الغوري ومنشآته التي أنشأها سنة ٩١٠هـ ١٥٠٤م، ولا شك في أن هذا الجامع تحفة عصره، فقد عنى به عناية بالغة كما أفرط في زخرفته إفراطاً أخرجه من وقار المساجد إلى بهرجة القاعات. وأنشأ تجاهه مدرسة وسبيلاً وكتاباً اتفقوا مع المسجد طولاً وعرضاً وزخرفاً، فهيئ لمن يعبر بينهما فرصة المتعة بجو فني يملأ النفس روعة وإجلالاً.

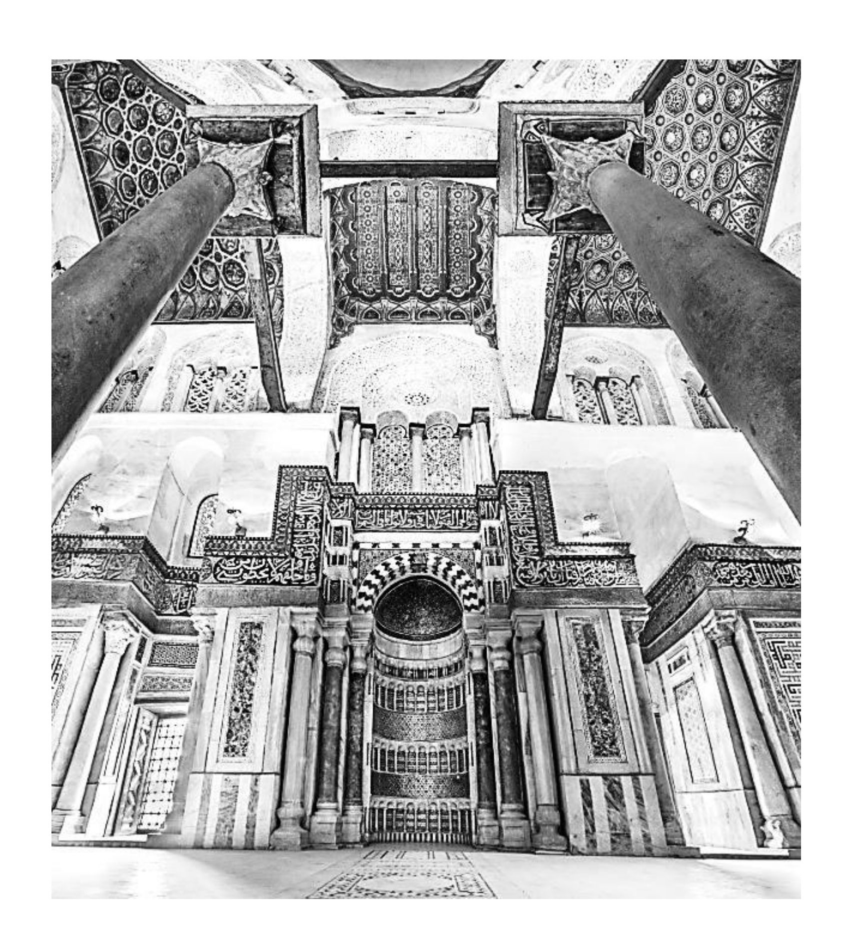
سوق الغورية

وهذا الشارع من أعرق أسواق القاهرة، وقد حرص على تجاراته وصناعاته منذ القرن الخامس عشر إلى الآن، إذ يقطن به تجار الحرير، والخياطون وصانعو كسوة التشريفة للعلماء، والعطارون وتجار الأقمشة.

ويلي هذا الشارع سوق الشوايين، وهو من أقدم الأسواق، وكان في القرن الرابع عشر به شواءو اللحم. وهو مازال محتفظاً بمشهورين منهم. وبقية الشارع به تجار الأقمشة.



داخل مدرسة المنصور قلاوون– شارع المعز



محراب مسجد المنصور قلاوون– شارع المعز

لى أسفل: مقبرة الملك الصالح نجم الدين أيوب أنشأتها الملكة "شجرة الدر" ليدفن بها زوجها وسيدها "الصالح نجم الدين".

إلى اليمين: تضم حجرات متحف بيت السحيمي مجموعة من الأواني الخزفية والأثاث الخشبي المشغول الذي كان يستعمل منذ ٣٠٠ عام في القاهرة..

إلى اليسار: وكالة السلطان أبو النصر قايتباي الجركسي.. إنها بمثابة فندق كان ينزل فيه المسافرون، ويضم ١٥ حجرة.. وهو ملاصق لسور القاهرة بجوار باب

النصر.

إلى اليمين: كان سوق النحاسين من أكثر الأسواق حركة في شارع المعز لدين الله.. أما اليوم فقد خفت الحركة فيه بعد أن حل الألمونيوم مكان النحاس في صناعة الأواني والحلل.

إلى اليسار: ما تكاد تعبر باب الزويلة حتى تخرج من شارع المعز لدين الله فيقابلك سوق الخيامية حيث تصنع وتباع أقمشة الخيام.. أن الخيامية هي امتداد طبيعي لشارع المعز.

إلى اليمين: ٧٠ عاماً مضت على الحاج علي عبد الغني أحمد، وهو جالس أما متجره في حي الشماعين، يصنع الشموع ويلونها ويبيعها.. أنه قطعة من تاريخ هذا الشارع الأثري.

سوق العقادين

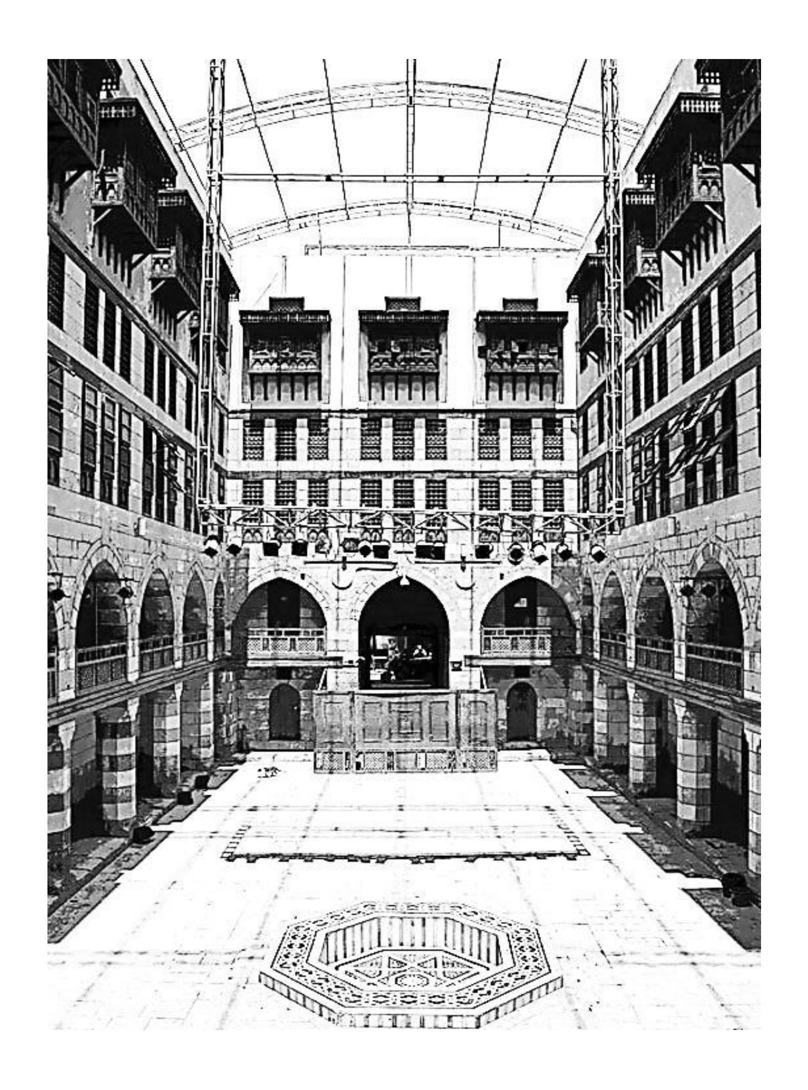
ويلي الشوايين سوق العقادين وهو قديماً بقية الشوايين وبه الآن جامع الفكهاني الذي أنشأه الخليفة الفاطمي الظاهر بنصر الله سنة ٥٤٣هـ ١١٤٨م وجدد إنشاءه أحمد كتخدا الخربوطلي سنة ١١٤٨هـ ١٧٣٦م. وما زال محتفظاً بمصاريع أبوابه الفاطمية.

وحول الجامع سوق العقادين وتجار المقصب والتلى (خيوط فضية)، وينتهي إلى "سبيل العقادين" الذي أنشأه مُحَمَّد علي باشا سنة ١٢٣٦هـ ١٨٢٠م وألحق به مدرسة تخرج منها صفوة من رجال مصر.

وقديماً كان يتوصل من هناك إلى سوق المعازف وبه حوانيت صناع آلات الطرب ومقر سكنى المطربين والمطربات. ومقرهم الآن ليس ببعيد فقد استوطنوا شارع مُحَمَّد علي من العتبة الخضراء إلى باب الخلق.



باب مدرسة الناصر مُحَمَّد بن قلاون بالنحاسين



وكالة الغوري

وفيما بين حارة الروم وجامع المؤيد سوق المناخية والغرابليين وهما من الأسواق القديمة ومازال منهما بقية بجانب المنجدين. وفي سوق المنجدين الخلعيين (سوق المؤيد) لبيع الأثواب القديمة. وقديماً كان هذا السوق قريباً جداً من موقعه حيث كان تجاه جامع المؤيد من قيسارية الفاضل التي كانت مخصصة لبيع شوار العريس، وبين زويلة.

وقد حل محل قيسارية القاضي الفاضل حمام المؤيد (وكان حمام الفاضل) ووكالة وسبيل نفيسة المرادية سنة ١٢١١هـ، ١٧٩٦م. وقد جمعت تلك الوكالة وما بها من حوانيت تجار الشمع والمكسرات والأقمشة والسكر فعرف السوق بالسكرية.

مسجد المؤيد، فخر مساجد المماليك الجراكسة

وفي نهاية هذا الشارع مسجد المؤيد، وهو فخر المساجد المنشأة في دولة المماليك الجراكسة، أمر بإنشائه الملك المؤيد شيخ المحمودي حيث شرع في بنائه سنة ٨١٨هـ، ١٤١٥م. وإلى أن توفى سنة ٨٢٤هـ، ١٤١٥م، لم تكن قباب المسجد كملت فدفن تحت القبة البحرية وهي قبة حجرية شاهقة الارتفاع محلى سطحها بنقوش دالية.

وتتجلى عظمة هذا المسجد في مدخله الفخم، وفي إيوانه الشرقي المحتفظ بتفاصيله، فالزخرف يعمه من الأرض إلى السقف. فقد كسى الجدار الشرقي بالرخام الملون والزخارف المذهبة، وتنوعت زخارف السقف، وهي من أرقى نماذج السقوف الخشبية، ويتوسط هذا الجدار محراب كسى بالرخام الملون، بجواره منبر كبير مطعم بالسن.

وتنتهي قصبة القاهرة أو شارعها الأعظم، الذي سمي شارع المعز لدين الله عام ١٩٣٧م فقط، ينتهي بباب زويلة الذي جدد إنشاءه بدر الجمالي سنة ٤٨٤هـ، ١٠٩١م، وهو باب شاهق الارتفاع لد بدنتين على جانبيه. وقد انتهز مهندس جامع المؤيد فرصة وجود الباب بجوار المسجد فاتخذ من بدنيته قاعدتين لمنارتي المسجد وهما من أجمل منارات القاهرة.

مساجد ومشاهد الدولة الفاطمية

العمارة الفاطمية بمصر من أزهى عصور العمارة وأغناها، فهي دولة بذخ وترف لها من عقائدها فرجة، هيأت للفنان أن يطلق لخياله العنان، فصور حياتهم العامة على طرفهم ومنشئاتهم.وفي عصر هذه الدولة تطورت العمارة من البناء بالآجر إلى الحجر، وانتقلت واجهات المساجد من البساطة إلى الزخرف والابتكار في التصميم.

ولكن الزمن اعتدى على قصورها ومناظرها فلم تعمر طويلاً، ففقدنا بفقدها ثروة فنية ومعمارية كانت درة في حضارة مصر الاسلامية وكذلك عفي الزمن على الكثير من مساجدهم التي كانت دعامة من دعائم العمارة الإسلامية فضاع منها ما ضاع وتجدد منها ما تجدد، ومع قلة ما بقي منها فإنها تعطي فكرة صحيحة عن مميزات العمارة في هذا العصر الزاهر.

وبالرغم من أن الفاطميين نشأوا ووفدوا من شمال إفريقيا، فإنهم لم يحملوا معهم من تأثيرات العمارة هناك إلا القليل، مما يجعلنا نقرر ونحن مطمئنون أن عماراتهم في القاهرة نهجت نهجاً جديداً قاصراً على القاهرة.

جامع الحاكم بأمر الله

وإذا كان الجامع الأزهر أول جامع أنشئ بالقاهرة فقد غالب تفاصيله المعمارية، فإن جامع الحاكم رغم تخربه احتفظ بالكثير من تفاصيله الدالة على مقدار عظمته.

أنشأه الخليفة العزيز بالله بن المعز لدين الله سنة ٣٨٠هـ-٩٩٠م. وقبل أن يتم بناءه افتتحه بصلاة الجمعة يوم ٢ رمضان سنة ٣٨١هـ-٩٩١م.ثم أتمه ابنهالحاكم بأمر الله، فأكمل المنارة البحرية وكتب اسمه عليها، كما أنشأ المنارة القبلية. ولظهور ميل بهما خشي معه سقوطهما، بنى حولهما القاعدتين الهرميتين لتدعيمهما، ثم افتتحه للصلاة في سنة ٤٠٣هـ-١٠١٢م فعرف الجامع باسمه.



جامع الحاكم لأمر الله

وتصميم هذا الجامع يشترك مع الجامع الطولوني في كثير. فقد اتفق معه في طرز عقوده المقامة على أكتاف مبنية بالآجر خلقت بنواحيها العمد الأربعة، وفي الأفريز المكتوب به آيات من القرآن تحت السقف، غير أنه هنا بالجص.. وهناك بالخشب.

وامتاز عليه بوجود ثلاث قباب بإيوانه الشرقي، اثنتان في طرفيه، والثالثة فوق المحراب، كما امتاز عليه بوجود منارتين بطرفي الواجهة الغربية.

وقد احتفظ مدخله الرئيسي الغربي بشكله البارز والحافل بالزخارف والكتابات في الحجر.

وقد طرأ على الواجهة القبلية تغيير كلي، أما الواجهة البحرية، فقد اعتدى عليها بدر الجمالي سنة ٤٨٠هـ-١٠٨٧م عند تجديده سور البلد، وبابي النصر والفتوح، فأصبح الجامع داخل القاهرة بعد أن كان عند إنشائه خارجها.

ورغم تهدم أروقة إيواناته القبلية والبحرية والغربية، فقد احتفظ إيوانه الشرقي

بعقوده، وبالأزار الجصي المكتوب فيه آيات من القرآن بالخط الكوفي وبعض أوتار خشبية منقوشة.

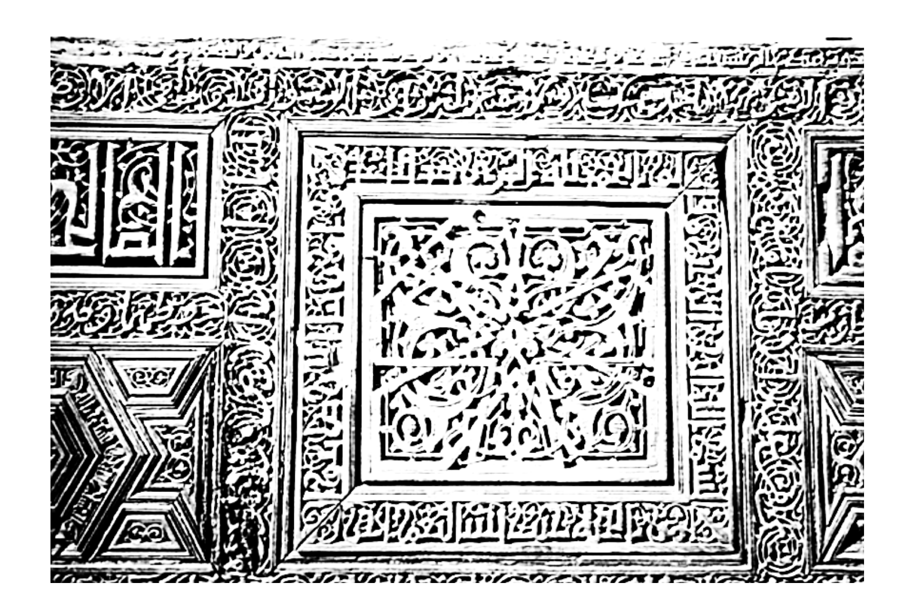
واحتفظ كذلك بعقود المجاز أمام المحراب بقاعدة القبة فوق المحراب، وبصدرها المطل على المجاز شبابيك جصية بعضها فاطمي ظاهر والبعض محتجب خلف شبابيك أخرى من عصر بيبرس الجاشنكير في عمارته للجامع سنة ٧٠٣هـ-١٣٠٣م.

وعلى يسار المحراب شبابيك من الجص محاطة ومفرغة بكتابات كوفية جميلة، وهي تعطي فكرة جلية عن جمال الشبابيك التي كانت بهذا الجدار.

وبطرفي الواجهة الغربية منارتان حجريتان أحداهما القبلية مربعة القاعدة مكتوب عليها آيات من القرآن وزخارف متنوعة واسم الحاكموتاريخبنائها.

والمنارة الثانية بدنها مستدير، ومكتوب حولها آيات من القرآن، أما قمتاهما فهم من تجديدات الأمير بيبرس الجاشنكير سنة ٧١٣هـ ١٣٠٣م عقب الزلزال الذي حدث بمصر سنة ٧٠٢هـ.

وأن جمال هاتين المنارتين، وما اشتملتا عليه من زخارف وكتابات جميلة، يدلان على مقدار ما بلغته الزخارف في الحجر من الرقي والجمال.



آيات قرآنية على ضريح المشهد الحسيني

الصوفيون في جامع الحاك:

إذا كان صلاح الدين كافح مذهب الشيعة وأبطل صلاة الجمعة من الجامع الأزهر، وأبقاها في جامع الحاكم، فإنه أمر بتوجيهصوفية خانقاه سعيد السعداإلى تأدية فريضة الجمعة فيه، وكان لموكب خروجهم إلى الصلاة روعة وجلال فكان الناس يأتون به من مصر إلى القاهرة ليشاهدوا صوفية الخانقاه، كي تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم، وكان لهم يوم الجمعة موكب يتقدمه شيخشيوخالخانقاه، وبين يديه خدام الربعة الشريفة، قد حملت على رأس أكبرهم، والصوفية مشاة بسكون وخفر إلى باب الجامع الحاكمي.

هناك على ميسرة الداخل من الباب المذكور بمقصورة تعرف بمقصورة البسملة، حيث كان بها بسملة مكتوبة بحروف كبيرة، فيصلي الشيح تحية المسجد، وتصلي الجماعة. ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرؤون القرآن حتى يؤذن المؤذن فيتركعوا ويستمعوا إلى الخطبة.

إذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها، قام قارئ من قراء الخانقاه وقرأ ما تيسر من القرآن ودعا لصلاح الدين ولواقف الجامع وسائر المسلمين.وإذا قام الشيخ من مصلاه وسار من الجامع إلى الخانقاه والصوفية معه بموكبهم، فكان هذا من أجمل عوائد القاهرة.

ولما جدد الأمير يلبغا السالمي جامع الأقمر، وأقيمت به الجمعة في شهر ربيع الأول سنة ٨٠١هـ ١٣٩٨م، ألزم شيخشيوخالخانقاه والصوفية أن يصلوا الجمعة به، فصاروا يصلون الجمعة فيه إلى أن زالت أيام السالمي فتركوا الاجتماع بالجامع الأقمر، ولم يعودوا إلى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكمي.

ولم يكن للمسجد نصيب ثقافي بجانب الأزهر واكتفاء بدار العلم أو دار الحكمة التي أنشأها الحاكم، ولكنه شارك مدارس مصر في رسالتها الثقافية عقب قيام الأمير بيبرس الجاشنكير بإصلاحه وتدعيمه سنة ٧٠٣هـ-١٣٠٣م فإنه رصد له عدة أوقاف تدر عليه كل سنة مالاً كثيراً، وقرر فيه أربعة دروس لتعليم الفقه على المذاهب الأربعة، ودرسا لإقراء الحديث النبوي، وجعل لكل درس مدرساً وعدداً كثيراً من الطلبة، فرتب في تدريس فقه الشافعية قاضي القضاة بدر الدين مُحَمَّد بن جماعة الشافعي، وفي تدريس فقه الحنفية قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي الحنفي، وفي تدريس فقه المالكية قاضي القضاة زينالدين علي بن مخلوف المالكي، وفي تدريس فقه الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الجواني، وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثي، وفي درس النحو الشيخ أثير الدين أبا حيان، وفي درس القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفي، وفي التصدير لإفادة العلوم، علاء الدين على ابن اسماعيل القونوي، وفي مشيخة الميعاد المجد عيسى بن الخشاب، وأعد بالجامع مكتبة، كما رتب فيه عدداً من الحفاظ لتلقين القرآن الكريم، وعدة قراء يتناوبون قراءة القرآن، ومعلماًيقرئ أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل.

إن بقايا هذا الجامع دلت دلالة واضحة على نضوج العمارة الفاطمية منذ نشأتها وأن طرز الشبابيك الجصية في جدار المحراب، والمكتنفة له وزخرفة الأوتار

الخشبية، والزخارف المدقوقة في الحجر مع الكتابات

الكوفية في المدخل في بدن المنارتين تدل بوضوح على أنه كان جامعاً حافلاً بأنواع الزخرف، وقد اقتبس مهندسه برواز بابه الغربي عن سمت الواجهة من باب المسجد الجامع بالمهدية.

كما دلت منارتاه وبابه الحجري على استعمال البناء بالحجر في مستهل العصر الفاطمي لا في نهايته، وعلى تطور سريع في بناء المنارات، فإن القسم الفاطمي من المنارتين، المربع والمستدير، دلا على عظمة المنارة الفاطمية وضخامتها ومخالفتها لمنارات شمال إفريقيا، وهذا دليل واضح على نهج العمارة الفاطمية في القاهرة نهجاً فذاً.

وثمة ظاهرة فريدة له في هذا العصر، اشتماله على منارتين على طرفي الواجهة الغربية مبنية بالحجر، وقد كان من المساجد المغلقة قبل ارتفاع مستوى أرض الشارع، جامع أمير الجيوش (الجيوشي).

هذا المسجد رابض على قمة جبل المقطم، يطالعنا بمنارته المنسجمة مع قبته، فهو مسجد صغير حافل بمختلف الفنون، وفريد في مسقطه وزخرفته.

أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي سنة ٤٧٨هـ–١٠٨٥م ويذهب بعض المؤرخين إلى أن منشئه ابنه الأفضل شاهنشاه سنة ٤٩٨هـ–١١٠٤م.

ويسترعي النظر فيه عدا تخطيطه أن وجه إيوانه الكبير مكون من عقد كبير محمول على عمد مزدوجة يكتنفه عقدان صغيران، ويعلوالمحراب قبة حلى قطبها بدائرة كتب فيهابشكل زخرفي (مُحَّد وعلي) – مكرر حولها دائرة أخرى مكتوب فيها الآية الشريفة: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولاَ}[سورة فاطر: الآية (٤١)].

وأحيط مربعها بسطر مكتوب فيه بالخط الكوفي آيات من القرآن نقشت حروفه وأرضيته بشكل امتاز به هذا الأثر.

أما المحراب فهو طرفة نادرة، فقد حوى نقوشاً وكتابات بالخط الكوفي غاية في الدقة والجمال.

وتقوم منارته فوق مدخله شأن المساجد الفاطمية، وهي منارة كاملة تعطينا فكرة عن طرز المنارات الفاطمية بالقاهرة، ولبدر الجمالي منارة أخرى كاملة في الجامع العتيق باسنا سنة ٤٧٠هـ-١٠٧٧م.

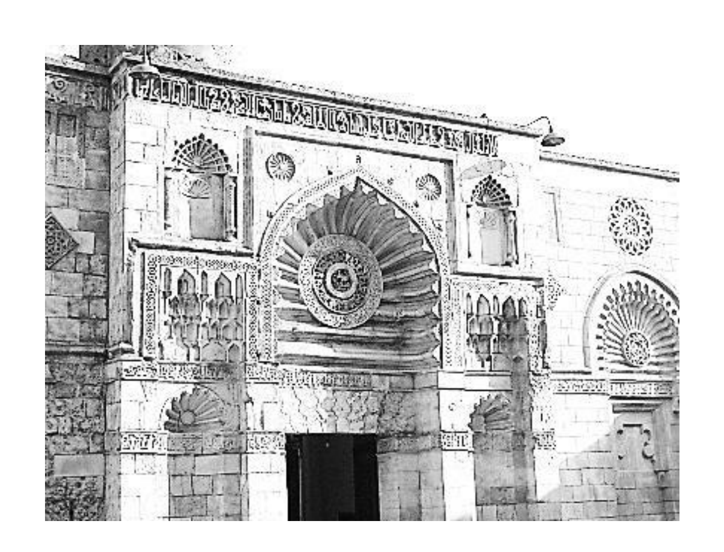
على أن هذا المسجد انفرد بالدعائم المقامة في واجهتيه الجنوبية والشمالية والتي تنتهي بقباب صغيرة توفرت فيها مميزات القبة الفاطمية.

الجامع الأقمر:

هذا الجامع بشارع المعز لدين الله (النحاسين)، وهو من أجمل المساجد الفاطمية، أمر بإنشائه الخليفة الآمر بأحكام الله سنة **٥١٩هـ-١١٢٥م**.

وواجهته الغربية مبنية بالحجر، وهي أجمل واجهة فاطمية حافلة بالنقوش والكتابات الكوفية من آيات قرآنية ونصوص تاريخية، كما اشتملت على مقرنصات وعقود مخوصة تتوسطها دوائر مكتوب بها (مُحَمَّد) مكرراً و(علي) وأجملها الدائرة الكبيرة فوق القباب، وقد كتب بها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [سورة الأحزاب: الآية (٣٣)].

وتصميم هذه الواجهة، وضع على غير مثال سابق في مساجد القاهرة، وقد فقد النصف الأيمن لهذه الواجهة وحل محله منزل حديث.



باب الجامع الأقمر



مئذنة الجامع الاقمر

أما المنارة على يسار الباب فهي من إنشاء الأمير يلبغا السالمي سنة ٧٩٩هـ-١٣٩٦م وهو الذي قام بعمارة كبيرة بالمسجد في هذا التاريخ.

المسجد صغير له صحن مكشوف تحيط به بأربعة إيوانات أكبرها إيوان المحراب المشتمل على ثلاثة أروقة بها عمد رخامية تحمل عقوداً فارسية مغطاة بقبوات صغيرة.

وكانت العقود حول الصحن محاطة بكتابات كوفية، بها آيات من القرآن.

أما نجارة المسجد فإنها دقيقة ممثلة في معبرة الباب وفي حشوات الدواليب وفي بقايا المنبر.

وهو في مجموعه وتفاصيله رسالة فنية للمهندس والصانع، ينهل من تفاصيله كل منهما وخاصة واجهته الحافلة بالعقود والحنايا والزوايا البالغة حد الروعة.

جامع الصالح طلائع بميدان باب زويلة

هذا الجامع آخر جامع أنشئ في الدولة الفاطمية، أنشأه أبو الغارات الملقب بالملك الصالح طلائع بن زريك وزير الخليفة الفائز بنصر الله. وقد تم انشاؤه سنة ٥٥٥هـ-١١٦٠م وعين زين الدين الواعظ به. فكان الصالح طلائع يحضر مجلسه.

وأقيمت صلاة الجمعة فيه سنة بضع وخمسين وستمائة هجري، وهو من المساجدالكبيرة المغلقة. إذ تبلغ مساحته ١٥٢٢ متراً وقد اشتمل على مميزات عمارية قل أن تتوفرفي مسجد فاطميآخر.

وعند انشائه كان مرتفعاً عن مستوى الشارع بنحو ٣.٨٠، وتحت واجهاته الثلاث: الغربيةوالقبلية والبحرية حوانيت.

وأهم واجهاته الواجهة الغربية وبها الباب العمومي وقد أقيم أمامه رواق محمول على أربعة عمد رخامية تحمل عقوداًحليت حافاتها بالزخارف، وحلى صدر هذا الرواق وجانباه بزخارف على هيئة مروحة مخوصة، ونقشت بأفاريزه آيات من القرآن الكريم كتبت بالخطالكوفي المزهر. وقد كتب على نهاية الواجهةالغربية وأول الواجهة

البحرية اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء.

غير أنه مما يلفت النظر في هذا النص الممتد إلى واجهة حجرية صغيرة اكتشفت شرقي المسجد "الصلاة والسلام على النبي، وعلى الإمام علي، وولديه الحسن والحسين".

والآية الشريفة: {رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ}[سورة هود: الآية: (٧٣)].

هذا النص يحدو بي إلى الأخذ برواية المؤرخين القائلين بأن الصالح بنى هذا الجامع ليدفن فيه رأس الإمام الحسين، وأن الخليفة الفائز لم يمكنه من ذلك.



مسجد الصالح طلائع

ولما كان تصميم المساجد الفاطمية لا يشتمل على مدافن فمن المعقول أنه بدأ بإنشاء المشهد بجوار المسجد، وتكون البقايا المكتشفة بالطرف البحري الشرقي مخلفة

منه خصوصاً وأن الآية الشريفة المكتوبة على بابه {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ}[سورة الحجر: الآية: (٤٦)]. جرت العادة بأن تكتب على مداخل المدافن.

والمسجد من الداخل يتكون من أربعة إيواناتيتوسطها صحن كبير به ضريح كان يملأ وقت الفيضان من الخليج وأهم هذه الإيوانات الإيوان الشرقي الكبير المكون من ثلاثة أروقة ذات عقود محمولة على عمد رخامية، حليت حافات العقود من الداخلوالخارج بكتابة آيات من القرآن بالخط الكوفي المزهر، وفتحت بخواصر العقود دوائر جصية مزخرفة من وجهيها، فرغ وسطها بأشكال هندسية.

وقد قام بعمارة في الجامع "الأمير بكتمرالجوكندار" باق منها منبر من الخشب دقت حشواته بأويمة دقيقة، وعليه تاريخ عمله سنة ٦٩٩هـ-١٢٩٩م. وهذاالأمير هو الذي عمر الجامع سنة ٧٠٣هـ-١٣٠٣م عقب زلزال سنة ٧٠٢هـ ومكتوب على المنبر ما نصه:

"أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجناب العالي الأميري الكبيريسيف الدينبكتمرالجوكندار، وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وستمائة".

ولا شك أن منبره الأصلي كان من التحف النادرة كما تشعر بذلك بقايا نجارة المسجد في الباب وفي الأوتار الخشبية والطبالي والمقصورة والسقف. وكما يؤيد ذلك منبره الكامل في مسجده بقوص سنة ٥٥٠هـ-١١٥٥ فهو من روائع صناعة النجارةوالحفر في الخشب.

هذه هي النماذج الكاملة إلى حد ما من مساجد الدولة الفاطمية، وتوجد تفاصيل فاطمية أخرى من قباب ومنارات مبعثرة في أعالي الصعيد وفي القاهرة، أهمها مشاهد وقباب منسوبة إلى آل البيت والي الأولياء في جبانة أسوان، وهي قباب فاطمية مبنيةباللبن والآجر، وقد حوت من التفاصيل المعمارية ما ميزها على قباب القاهرة. هذاعدا الطرف الأثرية المنقولة إلى متحفالفن الإسلامي.

المشاهد الفاطمية

امتاز العصر الفاطمي بإقامة مشاهد علىالأضرحة المنسوبة إلى آل البيت ووجهوا إليها عنايتهم بالبر والصدقات.بهذه المشاهد طرز خاص تنوعت أشكاله. ومنها مشهد أخوة يوسف (الأسباط) بسفحالمقطم، ومسقطه الأفقي غريب، ومبانيه من الحجر والآجر.

وقد تنوعت عقوده ما بينمقبيتهومصليته، وقباب صغيرة. وبهذا المشهد قبة كبيرة،بصدرها محراب كبير يكتنفه محرابان صغيران تم تحليتهما بزخارف وكتابات كوفية تجلت فيها براعة الصانع. ويرجع الى أبنية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

مشهد السيدة رقية

ومن المشاهد الفنية بشتى الفنون، مشهد السيدة رقية بشارع الخليفة، والمعروف بأنه مشهد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.هو من مشاهد الرؤيا التي انشأها الخليفةالحافظ لدين الله سنة ٥٢٧هـ-١١٣٢م وقد فقدت أروقته الخارجية، ولم يبق سوى رواق خارجي واجهته مكونة من ثلاثة عقودمحمولة على عمد مزدوجة، وبهذا الرواقمحرابان من الجصيكتنفان الباب المؤدي إلىالقبة، وهي من القباب المضلعة من الخارج دبس فيها شبابيك جصية. ويكتنفهاإيوانان بكل منهما محراب جصى حافل بالزخارفوالكتابات يتوسطهما محراب جصكبير ذو تجاويف محارية مزخرفة. وأعلاه زخارف وكتابات كوفية.



مشهد السيدة رقية

وطرز القبة بتضليعها، وتفاصيل المحراب تطور جديد للقبة والمحراب ظهرا في أول القرن السادس الهجري.

ويتوسط القبة تابوت من الخشب المنقوش والمكتوب، أمرت بعمله السيدة علم الآمريةسنة ٥٣٣هـ ١١٣٨م وهو من نفائسصناعة النجارة، كتب عليه آيات من القرآن الكريمواسم الآمرة بعمله بالخط الكوفي المزهر.

وكذلك أمرت هذه السيدة بعمل محراب متنقل من الخشب المزخرف بحشوات مجمعة من ساجهندي وخشب زيتون، زخارفه على شكل نجوم ورسوم أخرى هندسية، والجانبانوالظهر من حشوات كبيرة، والكل تتخلله زخارف متناسقة وغصون نباتية وعناقيد عنب.وفي المحراب والتابوت، تجلت دقة صناعة النجارة في الدولة الفاطمية، فأبدع فيها الصانع أيما إبداع، ولا عجب فالآمر بعملهما سيدة لسيدة.. هذا عدا مشاهد أخرى، ليحيي الشبيه، وكلثيم، وزين العابدين، والقباب الست، والمشهد

النفيسي.

مشهد الإمام الحسين

الإمام الحسين – سيد شباب أهل الجنة–الحسين بن على بن أبي طالب ريحانة النبي ، وشبيهه، وروي عن النبي ، قوله: "الحسنوالحسين ريحانتاى من الدنيا".

كان ﵇ شجاعاً مقداماً منذ طفولته، فمن المأثور عنه "أنه جاء رجل إلى الحسن ، فوجده معتكفاً في خلوة فاعتذر إليه. فذهب إلى الحسين فاستعان به فقضى حاجته وقال: "لقضاء حاجة في الله عز وجل أحب إلي من اعتكاف شهر".

لقي الشهادة في طلب حقه في موقعة الطف بجانب كربلاء، في المحرم سنة ٦١هـ–٦٨٠م وأنني في هذا المقام أروي ما قاله العلامةمُحَمَّد بن علي بن طباطبا المعروف بالطقطقي:



مسجد الامام الحسين بالقاهرة

"هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاماً لها واستفظاعاً، فإنها قضية لم يجر في الإسلام أعظم منها فحشا، ولعمري أن قتل أمير المؤمنين هو الطامة الكبرى، ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبيأو التمثيل ما تقشعر لها الجلود، واكتفيت أيضاً عن بسط القول فيها بشهرتها، فإنها شر الطامات. فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشيء منها، ولا تقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وجعله منالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياةالدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا".

بعد أن استشهد الإمام الحسين دفن في كربلاء، وعلى قبره مشهد بلغت العناية به مبلغاً عظيماً، ما بين قباب ومنارات مذهبة، ومداخل مؤزرة بالقاشانيوالبللور والمرايا، وأبواب وتوابيت من الفضة تأخذ بالأبصار.

وهو أحد القباب الشريفة بالعراق يؤمه الناس من مختلف الأقطار.

وأما الرأس الشريف فقد تضاربت أقوال المؤرخين في محل دفنه. وكثير من المؤرخين في العدول ذكروا أن الرأس الشريف نقل في وقت ما إلى عسقلان. وبقي بها غير مشتهر إلى أن أقام عليه بدر الجمالي مشهداً في سنة ٤٨٤هـ-١٠٩١م وأنه لما خيف من سقوط عسقلان في أيدي الفرنج نقل الرأس الشريف إلى القاهرة.

ورواية وجود الرأس في عسقلان معززة بنص تاريخي منقوش على منبر مشهد عسقلان والذي نقل عنه الرأس إلى مسجدالخليل وموجود به إلى الآن.

وكان نقل الرأس الشريف من عسقلان ووصوله إلى القاهرة في ٨ من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨هـ-١١٥٣م، ولما وصل إلى مصر حمل في سرداب إلى قصر الزمرد. ثم دفن في قبة المشهد الذي أنشئ خصيصاً له سنة ٥٤٩هـ-١١٥٤م.

وأمام تضارب أقوال المؤرخين يروق لي رأي عميد مؤرخي مصر، العلامة تقي الدين المقريزي وكان لبقا كيساً، فقد عبر تعبيراً جميلاًيبعث على الارتياح إذ يقول:

"ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار، ما إذا طولع وقف منه على المسطور

وعلم منه ما هو غير المشهور، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية وهي بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية".

وكان وما زال هذا المشهد محل رعاية الفاطميين ومن وليهم حتى جعلوا منه تحفة رائعة، عليه أستار الحرير وشمعدانات الفضة، وقناديل فضية وذهبية وأزرت جدرانه بالرخام الملون.

ولما ولي مصر صلاح الدين سنة ٥٦٧هـ ١١٧١م عني بالمشهد، وأنشأ بجواره مدرسة غلب عليها اسم المشهد، وقرر بها مدرسين، وعهد بالإشراف عليها إلي الفقيه البهائي الدمشقي، فكان يجلس للتدريس عند المحراب الذي خلف الضريح.

وهذا الوصف يجعلني أعتبر أن المسجد الحالي محل تلك المدرسة، لوجود الضريح خلف المحراب.

وقد عاين المدرسة والمشهد في مبدأ الدولة الأيوبية سنة ٥٧٨هـ سنة ١١٨٢م الرحالة ابن جبير ووصفها وصفاً مشوقاً، فوصف أستار الحرير والجدران المؤزرة بالرخام إلى أن قال: "وبالجملة فما أظن في الوجود كله مصنعاً أحفل منه ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبدع منه، قدس الله العضو الكريم الذي فيه، بمنه وكرمه.

ووصف ابن جبير المشهد فقال: "إن رأس الحسين في تابوت من فضة مدفون تحت الأرض وقد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الادراك به".

ووصف ابن جبير بأنه مدفون في تابوت من الفضة تحت الأرض، لا يعدو الحقيقة، فإن الأرضية المقامة عليها المقصورة النحاسية بالقبة، تحتها طبقة أخرى استخرجت منها في ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٩م – ومعي صديقي المغفور له السيد مُحَمَّد عرفة وكيل مشيخة المسجد -تابوتاًمنالخشبالمحليبالزخارفالدقيقة، والكتابات النسخية والكوفية، يزرى بالذهب والفضة، أودع متحف الفن الإسلامي بعد اصلاحه، وإن أبدع وصف له لايفيهحقه، فقد تنوعت أشكال الحشوات وزخارفها تنوعاً دل على عبقرية الصانع، وقد روعيفي اختيار الآيات القرآنية، ما يناسب تابوت جسمان طاهر

من فرع الدوحة المحمدية، فيقرأ ماهو مكتوب بالخط الكوفي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد، {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [سورة الأحزاب: الآية: (٣٣)].

ظل المشهد موضع الرعاية في جميع العصور، فقد هدم وجدد أكثر من مرة إلى أن جدد بحالته الراهنة سنة ١٢٩٠هـ، ١٢٩٥هـ.

لم يبق من المشهد الفاطمي القديم، إلا الباب المعروف بالباب الأخضر، أما المنارة فوقه فالقسم الأول منها فوق الباب والحافل بالزخارف الجصية من عمل أبي القاسم السكري المعروف بالزرزور، وأتمها ابنه

سنة ٦٣٤هـ سنة ١٢٣٦م. كما احتفظت القبة بوزرتها الرخامية المملوكية في بعض أجزائها، وبأبوابها المكسوة بالفضة والأطر حولها، وهي مخلفة من عمارة عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٥هـ، سنة ١٧٦١م.

ويجاور القبة حجرة المخلفات النبوية التي شيدت خصيصاً لها عام ١٣١١هـ، سنة ١٨٩٣م، وبها خزانة خشبية طعمت بالسن، جمعت قطعة من القميص الشريف ومكحلة، ومرودين، وقطعة من العصا، وشعرات من اللحية الشريفة وبها مصحفان قديمان بالخط الكوفي، يقال عن الكبير أنه بخط سيدناعثمان وعن الصغير أنه بخط الإمام علي، وكلاهما غير صحيح، غير أن هذا لا يحول دون قدمهما وأهميتهما الأثرية.

وللآثار النبوية بمصر أخبار تتسلسل في التواريخ تنتقل بالباحث من زمن إلى زمن، ومن مكان إلى مكان حتى وصلت إلى هذا المكان.

الآثار المنقولة والمنتحلة في العمارة الإسلامية[1]

منيت الآثار على اختلاف عصورها وفي كل زمان ومكان، بالنقل والهدم، والمحور والإثبات، والتزوير والانتحال. وقد تناول هذا بالنقد، الإمام الجاحظ منذ القرن التاسع الميلادي فقال "من شأن الملوك أن يطمسوا آثار من قبلهم والعمل على إماتة ذكر أعدائهم فقد هدموا لهذا السبب المدن والحصون. وهكذا كان الحال أيام العجم وأيام الجاهلية ثم في الإسلام، فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان. كما هدم الأطام التي كانت بالمدينة. وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر. وكذلك هدم بنو العباس، ما بناه بنو أمية وبنو مروان من المدائن والمصانع بالشام"[2].

ويحدثنا التاريخ عن كثير من تلك الاعتداءات التي قضت على طرائف العمارة لغير ما سبب، إلا ما كان لمحو آثار الظلم والجبروت. ومن ذلك ما فعله أبو جعفر المنصور، من محاولته هدم أيوان كسرى ثم رجوعه عن ذلك بالخيبة والفشل لمتانته وقوة بنائه.

وحينما روى إلى المأمون هذا النبأ، قال لمهندسه موسى بن داود "إذا بنيت لي بناء فاجعله ما يعجز عن هدمه، ليبقى طلله ورسمه[3] ". وهذا الرأي السديد مصداق لما حدث بين الرشيد ويحيى بن خالد حينما طلب منه هدم أيوان كسرى. فقال له: لا تهدم بناء دل على فخامة شأن بانيه الذي غلبته وأخذت ملكه[4].

وحينما دخل المهدي العباسي الروضة النبوية المطهرة بالمدينة المنورة عام ١٦٩هـ ٧٨٥م، ورأى اسم الوليد بن عبد الملك منقوشاً على طراز الحرم غضب وأصر على

---

[1] محاضرة ألقيت بالمجمع في جلسة ٢٨ شعبان سنة ١٣٧٥ – ٩ أبريل سنة ١٩٥٦.

[2] الحيوان للجاحظ جزء ١ ص ٣٦ – ٣٧.

[3] الطبري جزء ٩ ص ٢٦١.

[4] الوزراء والكتاب ص ٢٢٩.

عدم مبارحته مكانه. حتى يمحي اسم الوليد ويكتب اسمه مكانه[١].

ونظير ذلك ما فعله أنصار الخليفة المأمون في قبة الصخرة المشرفة بالقدس، فإنه عقب عمارة أجراها بها سنة ٢١٦هـ ٨٣١م محوا اسم منشئها عبد الملك ابن مروان، ووضعوا اسم المأمون مكانه، وفاتهم تغيير التاريخ سنة ٧٢هـ ٦٩١م فتم عن هذا الانتحال. وما فعله أحمد بن طولون من محو اسم الخليفة المتوكل على الله من مقياس النيل بالروضة.

ويستعرض المقريزي بعض تلك الحوادث معلقاً عليها بقوله: "إذا تأملت البقاع وجدتها، تشقى كما تشقى الرجال وتسعد"[٢].

هذا قليل من كثير ما حدثنا عنه التاريخ، وطبعاً هذا ما وقع على آثار مصر على اختلاف عصورها. في المصري القديم، وفي الإسلامي. فها هو مهندس الخليفة العباسي المتوكل على الله يأخذ أنقاض معابد مصرية من هليوبوليس، وأنقاض كنيسة قبطية، ويتخذ من أحجارها لبشة حول مقياس النيل بالروضة في سنة ٢٤٥هـ ٨٥٩م لتقيه دفع مياه النيل. وقد استخرج من تلك اللبشة عند القيام بعملية ترميم المقياس ٢٥٠ حجراً مكتوباً[٣] ما بين مصرية وقبطية. ومثله مهندس بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله فإنه



---

[١] الذهب المسبوك في ذكر الخلفاء والملوك ص ٤٧.

[٢] المواعظ والاعتبار للمقريزي جزء ١ ص ٣٤٨.

[٣] يرجع الفضل في القيام بعملية الترميم بالمقياس واستخراج تلك الأحجار إلى المهندس السيد كامل عثمان غالب الوكيل السابق لوزارة الأشغال. قد وضع مؤلفاً قيماً عنه قام بدراسة قطع من الأحجار مسيودريتون. كما وضع مؤلفاً عن الأحجار القبطية نشرته جمعية الآثار القبطية سنة ١٩٤٢.



تفاصيل من الأخشاب الفاطمية المنقولة إلى البيمارستان المنصوري بالنحاسين

أدخل في بناء بابي النصر والفتوح والسور بينهما أحجاراً مصرية ما بين جيرية وجرانيتية استعملت في البنيان بنصوصها الهيروغليفية المرأية والكثير منها استعمل على الوجه الآخر فاختفت نقوشه، وما زالت بعض القطع محتفظة بكتاباتها وخاصة في جرانيت الأعتاب والعتبات في باب الفتوح وباب التوفيق. وها هو صلاح الدين يوسف بن أيوب فإنه مع ما امتاز به من جلائل الأعمال هدم سور مدينة انصنا بالصعيد[1] وشحن أحجاره ليبني بها مع أحجار الأهرام التي هدمها وزيره بهاء الدين قراقوش سوراً يحيط بالقاهرة والفسطاط.

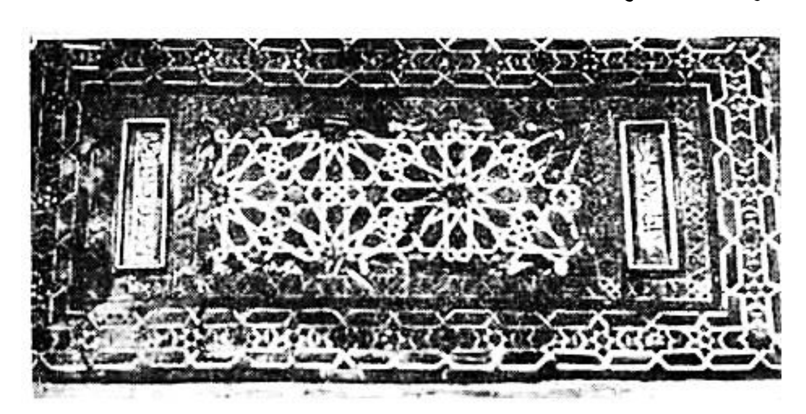
كما أنه خرب القصور الفاطمية وكانت من عجائب الدنيا، فبعثرت أنقاضها الهامة. وأدمجت في منشئات المنصور قلاوون وغيره، ما بين رخام وأحجار وأخشاب. فقد عثرت في قصر الأمير بشتاك الذي حل في بقعة من أرض القصر الشرقي الكبير، على قطعة حجر منقوش بها صورة امرأة وغزال. وعلى قطع خشبية فاطمية منقوشة مصورة أودعت متحف الفن الإسلامي. وأدخل في عمارة المنصور قلاوون التي أنشئت على رقعة من أرض القصر الصغير الغربي، تفاصيل فاطمية هامة لا شك أنها

[1] المواعظ والاعتبار للمقريزي جزء ١ ص ٢٠٤.

مخلفة من القصور الفاطمية، ما بين مصاريع أبواب اشتملت حشواتها على كتابات كوفية، وعلى نقوش دقيقة وصور طيور وآدميين وحيوانات.

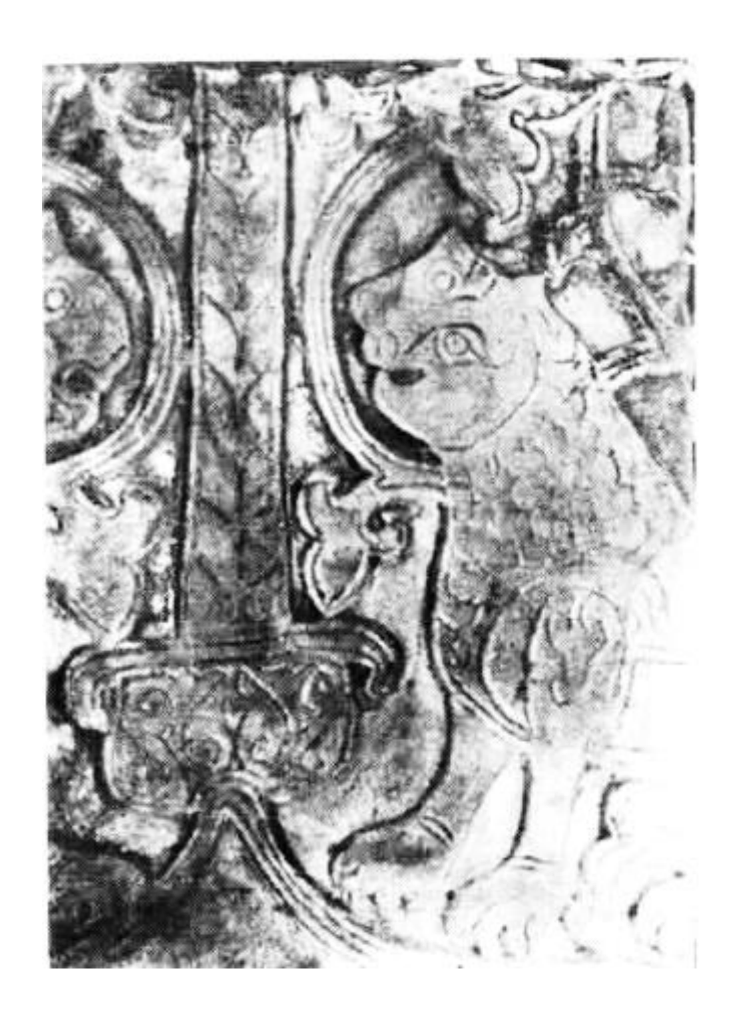
وكذلك دخلت فيها أفاريز خشبية نقشت عليها صور الصيد والعزف على الآلات الموسيقية والرقص، أودعت جميعها متحف الفن الإسلامي.

وما زال في سقفين بالجزء البحري من البيمارستان المنصوري، مجموعة من الأخشاب الفاطمية مستعملة في غير موضعها، اشتملت على صور ونقوش وكتابات كوفية فاطمية. وقد سبق لمصلحة الآثار أن نقضت سقفاً آخر كان هناك وفرزت أخشابه المماثلة للباقية وأودعتها متحف الفن الإسلامي بعد أن درسها مسيو ادمون بوتي وحاضر عنها بالمجمع العلمي الموقر. وكذلك أدخلت في وزرة القبة المنصورية أجزاء دقيقة من الرخام من أحد الدور مكتوب برأسها "ألا يا دار لا يدخلك حزن ولا يغدر بساكنك الزمان".



تفاصيل من وزرة قبة المنصور قلاوون منقولة من أحد القصور ومكتوب عليها

ألا يا دار لا يدخلك حزن ولا يغدر بساكنك الزمان



تفاصيل من ألواح رخامية عليها نقوش فاطمية كانت منقولة إلى أرضية قبة خانقاه فرج بن برقوق

هذا عدا ما عثر عليه من قطع الرخام الحافل بالنقوش الفاطمية وغيرها ومنها قطعة وجدت في خانقاه بيبرس الجاشنكير عليها صور طيور متقابلة وأسماك، وما عثرت عليه منها في أرضية القبة القبلية بخانقاه فرج بن برقوق، المرجح أنها منقولة من القصور الفاطمية، فقد اشتملت على صور أسود وطاووس، ونقوش فاطمية أودعت متحف الفن الإسلامي.

وأن جمال العمد الموجودة في محاريب مدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين، ومحراب قبة الصالح نجم الدين وروعتها فهي من السماق الأحمر والأخضر المرقط تجعلني أرجح أنها من مخلفات القصور الفاطمية حيث لا نظير لها. ومما لا شك فيه. أن الكثير من الرخام والأحجار والأخشاب المندمجة في الآثار الأيوبية، وغيرها ممن أدركوا أنقاض القصور الفاطمية بعد تخربها، منقولة منها ومن غيرها. واستعملت على الوجه الآخر، بل ومنها ما استعمل مرتين لغرض واحد فقد استعمل شاهد قبر الإمام[1] الشافعي مرتين ولغرض واحد وفقط ليتلافى عدم ذكر الإمامة في النص الأول ومثله اللوحة المشتملة على كتابة فاطمية واستعملت لوحة تذكارية لإنشاء المدرسة الصلاحية على الوجه الآخر. وهي مودعة متحف الفن الإسلامي.

ومن الاعتداءات التي وقعت على الآثار للحصول على أنقاضها، ما فعله الملك الصالح نجم الدين عند بناء قلعة الروضة، فإنه هدم كثيراً من المساجد والقصور وأخذ أحجارها واستحضر عمد الجرانيت الضخمة وعمد الرخام من البرابي[2].

وكما يدين الفتى يدان، فقد سلط الله مماليكه على القلعة وعلى رأسهم مملوكه المنصور قلاوون، فهدموا القلعة الصالحية بالروضة وهي في روعتها وأخذوا أنقاضها إلى منشئاتهم، ويحدثنا المقريزي عن اعتداءاتهم عليها فيقول:".. ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بني أيوب. فلما ملك السلطان المعز عز الدين أيبك التركماني أمر بهدمها وعمر من أنقاضها المدرسة المعروفة بالمعز بمدينة مصر.

وطمع في القلعة كل من له جاه. فأخذ جماعة منهم عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك من أخشاب ورخام. وبعد أن أصلحها الظاهر بيبرس البندقداري اعتدى عليها المنصور قلاوون عند بنائه المدرسة والقبة والبيمارستان، فنقل من القلعة ما احتاج إليه من عمد الصوان وعمد الرخام، والتي كانت قبل عمارة القلعة في البرابي،

---

[1] تاريخ المساجد الأثرية جزء ١ ص ١٠٩.

[2] المواعظ والاعتبار للمقريزي جزء ١ ص ١٣٨

وأخذ منها رخاماً كثيراً وأعتاباً وغير ذلك. ثم أخذ منها الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه من عمد الصوان، في بناء الأيوان المعروف بدار العدل بقلعة الجبل، وفي بناء الجامع الجديد الناصري على شاطئ النيل بمصر القديمة. وأخذ غير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن"[١].

ولما استولى الظاهر بيبرس البندقداري على قلعة يافا هدمها ونقل أخشابها ورخامها إلى القاهرة وأدمجها في عمارة مسجده بالحسينية[٢].

ومن عجب أن نرى كذلك الأخشاب تستعمل في العصر الواحد لغرضين ولعل هذا راجع إلى قلتها. فنرى المحراب الخشبي لمشهد السيدة رقية استعملت فيه عوارض الظهر والأجناب، من أخشاب فاطمية تسبقه، ما زال أثر زخارفها باقياً، وكذلك الأجزاء الباقية من التابوت الأيوبي الوارد من قبة الإمام الشافعي والمودعة بمتحف الفن الإسلامي، فإن عوارض الظهر بها من أخشاب منقوشة تسبقها. كما وأن عوارض تابوت أم الملك الكامل بقبة الإمام الشافعي من أخشاب فاطمية.

وها هو منبر الجامع الأقمر، فإنه حينما أمر بترميمه الأمير يلبغا السالمي أو غيره. سطى النجار على حشوات الدواليب الفاطمية بالمسجد، فأدمجها هي وبقايا حشوات المنبر الفاطمية في العوارض من داخل المنبر وما زالت فيه إلى الآن. كما حجب تواشيح باب المقدم بألواح خشبية بإزالتها ظهرت النقوش الفاطمية.

وكذلك عثرنا على كثير من الأخشاب الفاطمية، كانت مستعملة طبقاً لبعض السقوف أودعت متحف الفن الإسلامي، وكذلك عثر على مصاريع مملوكية كاملة كانت مستعملة طبقاً لبعض السقوف اقتناها المرحوم علي بك بهجت ضمن مجموعته الأثرية.

وعندما فتح الأشرف خليل بن قلاوون مدينة عكا سنة ٦٩٠ هجرية ١٢٩٠

---

[١] المقريزي (المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ١٨٣).

[٢] المقريزي (المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٣٠٠).

ميلادية واستولى عليها. نقل إلى مصر باباً رخامياً كان على كنيسة القديس يوحنا. أدخله الملك العادل زين الدين كتبغا في المدرسة التي بناها بالنحاسين. والتي آلت إلى الناصر محمد بن قلاوون، فأتمها ومحى اسم كتبغا من طرازها بالواجهة. وكتب اسمه بحروف صغيرة، وترك عليها تاريخ سنة ٦٩٥هـ. ولم يكن الناصر في الحكم وقتئذ[١].

وما أظنه فعل ذلك انتحالاً. ولكنه أقدم على ذلك لعدم اعترافه لكتبغا بالملك. وهذا ما فعله أيضاً مع بيبرس الجاشنكير من إزالته صفة الملك التي تسبق اسمه. من طراز واجهة خانقاه بيبرس الجاشنكير، فقد محى منه كلمتي "الملك المظفر" وترك اسم بيبرس.

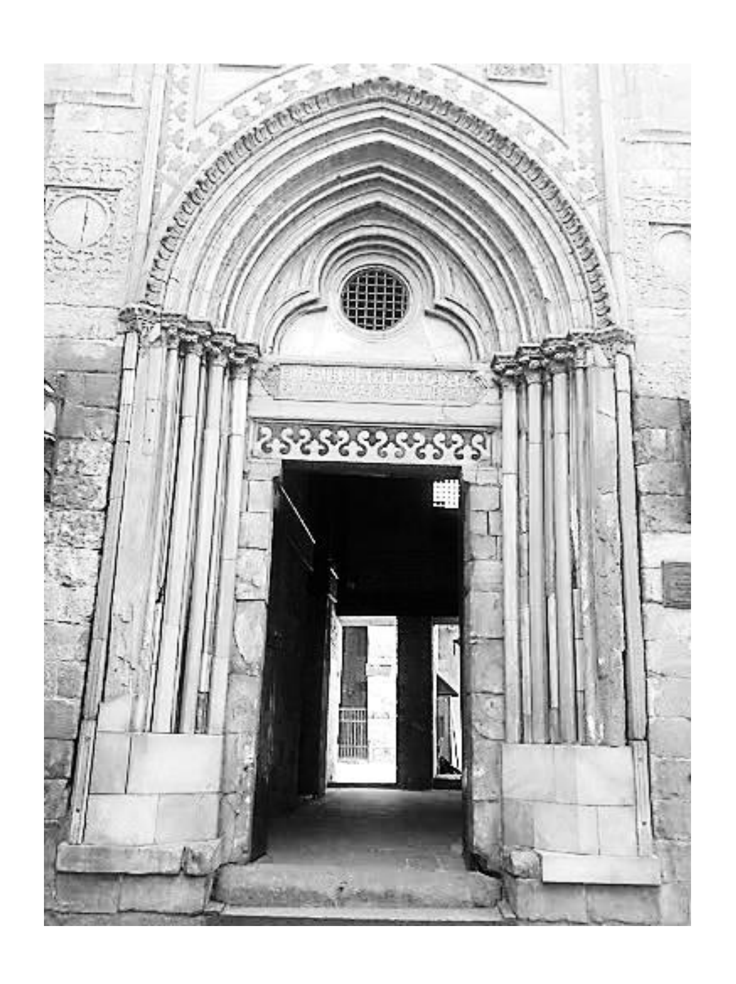
ويبدو أن المقريزي المؤرخ، كان حانقاً على نقل المخلفات المعمارية من المساجد المتخربة. والسطو عليها بأخذ أنقاضها بدلاً من ترميمها، فيقول عن جامع ابن المغربي الذي أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربي رئيس الأطباء بمصر أنه ظل عامراً بعمارة ما حوله، فلما تخرب خط بركة قرموط تعطل، وهو آيل للسقوط إلى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره[٢].

وهو على حق في هذا النقد، ففي عهده وقعت اعتداءات من هذا النوع.

---

[١] حسن عبد الوهاب، مجلة العمارة العدد ٧ و٨ سنة ١٩٤١ (العمارة الإسلامية، دولة المماليك البحرية "عصر الناصر محمد").

[٢] المواعظ والاعتبار للمقريزي جزء ٢ ص ٣٢٨.



باب مدرسة الناصر مُحَمَّد بن قلاوون بالنحاسين المنقول من كنيسة القديس يوحنا بعكا

فقد أخذ الملك الأشرف برسباي رخام قصر الأمير بيسري لمدرسته بالأشرفية[1].

ووقعت من الأمير جمال الدين الأستادار، اعتداءات على الآثار السابقة له وأخذ أنقاضها، فقد هدم مدرسة الأشرف شعبان التي كانت تحت القلعة، وأخذ

[1] نزهة النفوس والأبدان للجوهري ص ١١٤ خط.

أنقاضها في بناء مدرسته بالجمالية[١]. وكذلك هدم مدرسة الأشرف خليل التي كانت تجاه القلعة وأخذ من أحجارها لبناء منارة كانت بالأزهر[٢] كما اعتدى أيضاً على المدرسة الصاحبية التي كانت بالفسطاط، فأخذ عمدها في سنة ٨١٣هـ[٣] ١٤١٠م.

ولكن الله كان له بالمرصاد، فسلط عليه الناصر فرج بن برقوق سلطان وقته. الذي عاقبه ومحا اسمه ورنكه من المدرسة الجمالية ووضع اسمه مكانه. وكذلك محا الأشرف برسباي اسم الأشرف شعبان من وكالة كانت بالركن المخلق وكتب اسمه عليها[٤].

والحوادث كثيرة ومتعددة، فيما يتعلق بانتهاز فرصة المساجد المتخربة وأخذ أنقاضها وإدخالها في بناء مساجد أخرى. ومن ذلك ما فعله الشيخ أحمد الزاهد. من أخذه مخلفات جامع الجاكي وإدخالها في عمارة مسجده بالمقسي[٥]. ويعلق المقريزي على هذا عند ذكره هذا الجامع بقوله: "وهدم بسببه عدة مساجد قد خرب ما حولها وبنى بأنقاضها هذا الجامع[٦]. ومثله ما فعله الأمير طوغان الحسني من أخذه العمد الرخامية من جامع الخندق إلى فسقية جامع آقسنقر[٧].

وعندما شرع الملك المؤيد شيخ في بناء مسجده سنة ٨١٩هـ ١٤١٦م طلبت عمد الرخام والألواح الرخامية للجامع، فأخذت من الدور والمساجد وغيرها[٨]. ومنها عمودا المحراب فقد أخذهما من مسجد قوصون. ومثله السلطان الغوري عند

(١) المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٤٠١.
(٢) المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٢٧٦.
(٣) المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٣٧١.
(٤) المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٢٧٦.
(٥) المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٣١٤.
(٦) المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٣٢٨.
(٧) المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٣٢٥.
(٨) المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٣٢٨ والسلوك ١٣٣ جزء ٣ قسم ٢.

بناء مدرسته سنة ٩١٠هـ ١٥٠٤م فإنه هدم وخرب عدة قاعات وأخذ رخامها[١].

وكذلك أخذ الشيخ الشرقاوي بعض أنقاض وعمد من مسجد الظاهر بيبرس بالظاهر إلى رواق الشراقوة[٢] بجوار الأزهر.

ولما أكل البحر بيعة بقطر جهة الجيزة، أخذ منها والي مصر فخر الدين المعروف بغلام البنياسي، ١٨ عموداً عليها رسم الصلبان عمر بها قندقاً[٣].

ويكتنف محراب قبة مسجد قانيباي المحمدي بالصليبة المنشأ سنة ٨١٦هـ ١٤١٣م لوحان رخاميان منقولان من وزرة مدرسة صرغتمش وهي ألواح بها نقوش وكتابات جميلة. ووزرة هذه المدرسة مع أهميتها البالغة أسئ استعمالها، فقد استعملت بعض ألواحها على وجهها الآخر في أرضيات المسجد فاختفت نقوشها. وبعد كشفها نقلت إلى متحف الفن الإسلامي وأخيراً تبين أنها منقولة من دار علم الدين ابن زنبور. كما وأن الأجناب الرخامية المكتوبة بالخط الكوفي فوق قبري الملك المؤيد شيخ وخوندطولبية، منقولة من آثار فاطمية.

لم يكن أخذ هذه المخلفات سواء أكانت من المساجد أو الكنائس المتخربة موضع استحسان أو رضاء، فقد رأينا المقريزي عميد مؤرخي مصر، ينتقده أكثر من مرة، وسبقه بالحملة على هذا العمل صفوة علماء مصر. فقد حمل العلامة أبو الحسن الطحاوي على أبو بكر الخازن، لما علم أنه أخذ عمداً من إحدى كنائس بلدان الجيزة[٤] وأدخلها في بناء مسجد الجيزة وترك الصلاة فيه تورعاً، وتصدى له العلامة اليميني قائلاً: أن الطحاوي كان يصلي في جامع الفسطاط القديم (عمرو) وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من كنائس الإسكندرية وأرياف مصر.

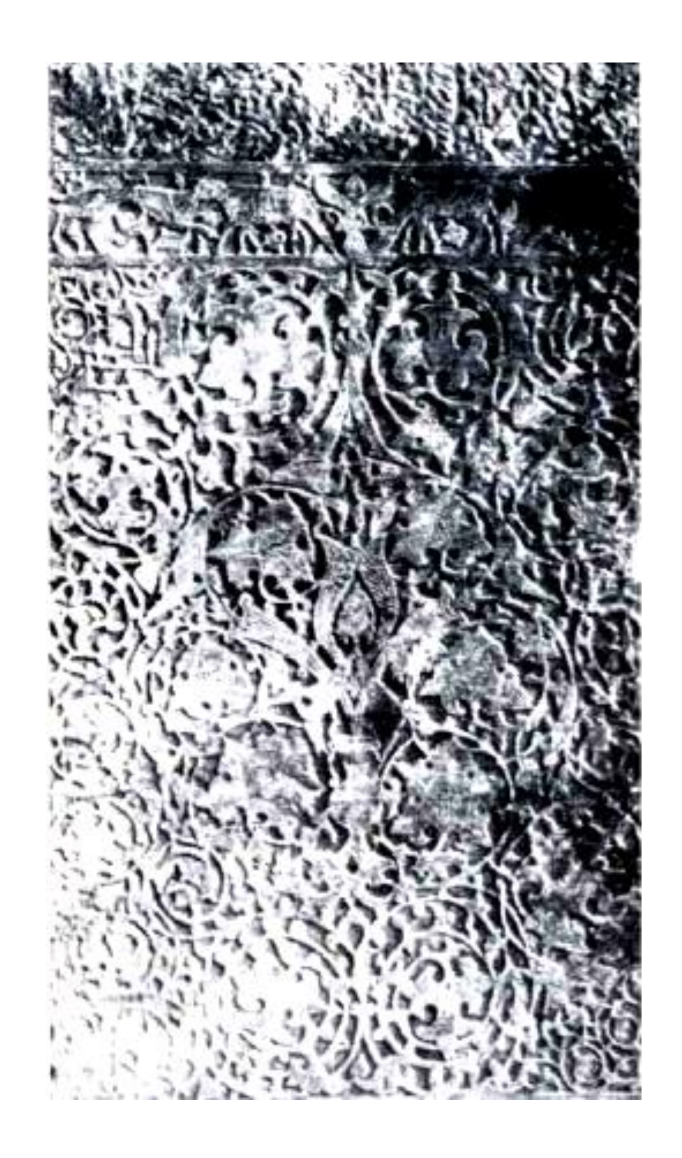
---

[١] تاريخ المساجد الأثرية جزء ١ ص ٢٨٧.

[٢] عجائب الآثار للجبرتي جزء ٤ ص ١٦٢ – ١٦٣.

[٣] أبو صالح الأرمني ص ٧٥.

[٤] المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٣٢٠.



لوح من الرخام عليه زخارف دقيقة وصور حيوانات منقول من دار علم الدين بن زنبور إلى مدرسة صرغتمش بشارع الخضيري

أقول أنه على حق، لأن جميع عمد جامع عمرو وتيجانها، منقولة من البيع والكنائس المتخربة. وعلى بعض تيجانها صلبان.

وكذلك قامت مشادة بين العلماء حول جواز الصلاة في مسجد المنصور قلاوون، لاغتصابه قاعة القطبية وتعسف الأمير علم الدين الشجاعي، الذي كان مشرفاً على عمارته وتسخيره للناس في البناء، ووضعوا استفتاء نصه:

"ما يقول أئمة الدين في موضع أخرج أهله منه كرهاً، وعمر بمستحثين يعسفون الصناع، وأخرب ما عمره الغير، ونقل إليه ما كان فيه فعمر به. هل تجوز الصلاة فيه أم لا؟ فكتب جماعة من الفقهاء لا تجوز فيه الصلاة. وعزز هذه الفتوى الشيخ مُحَمَّد المرجاني. وبعد إلحاح عليه قبل إلقاء درس في المدرسة المنصورية حضره القضاة والعلماء والأمراء، فألقى درساً حمل فيه على مغتصبي الأراضي ومسخري العمال. وختمه بقوله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً}[١].

وهنا يفيض بالمقريزي، فيعلق على هذا الخلاف بعد مضي حقبة طويلة عليه فيقول "إن كان التحرج من الصلاة لأجل أخذ الدار القطبية من أهلها بغير رضاهم، وإخراجهم منها بتعسف، واستعمال أنقاض القلعة بالروضة. فلعمري ما تملك بني أيوب الدار القطبية، وبناؤهم قلعة الروضة وإخراجهم أهل القصور من قصورهم التي كانت بالقاهرة، وإخراج سكان الروضة من مساكنهم، إلا كأخذ قلاوون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة وإخراج مؤنسة وعيالها من الدار القطبية. وأنت إن أمعنت النظر وعرفت ما جرى، تبين لك أن ما القوم إلا سارق من سارق وغاصب من غاصب. وإن كان التحرج من الصلاة لأجل عسف العمال وتسخير الرجال، فشيء آخر. بالله عرفني فإني غير عارف. من منهم لم يسلك هذا السبيل؟ غير أن بعضهم أظلم من بعض[٢] ".

نكتفي بهذا القدر من نماذج الاعتداءات المتكررة المتلاحقة على الآثار بعد هذا

---

[١] المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٤٠٧.

[٢] المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٤٠٨.

التعليق الشافي الوافي.

والدارس للآثار الإسلامية بمصر، لا يجد بين عناصرها في البناء ما هو غريب عنها سوى العمد وتيجانها. وبعض الأعتاب والعتبات المتخذة من الجرانيت الأسود والوردي، بما عليها من كتابات هيروغليفية. وقد أشير إلى قسم من تلك العتبات في كتاب الطبغرافية والنصوص المصرية القديمة والرسوم تأليف برتا بورناروموس، فذكروا فيه ما هو موجود منها في خانقاه بيبرس الجاشنكير بالجمالية. ومسجد عثمان كتخدا بميدان الأوبرا، وقاعة الدردير بشارع الدردير، وخانقاه شيخو بشارع الصليبة وغيرها من قطع وجدت في أماكن غير أثرية نقل الكثير منها مع ما نعثر عليه بين آونة وأخرى إلى المتحف المصري.

وأضيف إلى ما ذكر في المؤلف المذكور ما وجدته ولم يشر إليه.

١- عتبتين في زاوية أحمد بن شعبان الأثرية بحارة المدرسة جهة الأزهر.

٢- عتبة خانقاه الناصر فرج بن برقوق في القرافة الشرقية.

٣- عتبة مسجد مثقال الساقي بدرب قرمز بالجمالية.

٤- عتبة مسجد آقسنقر بالتبانة.

٥- عتبة مسجد خير بك بشارع باب الوزير.

٦- عتبة باب مسجد آل ملك الجوكندار خلف المشهد الحسيني.

٧- عتب مودع بمدخل قبة حسن صدقة بشارع السيوفية.

٨- عتب مودع بمدخل مقعد الغوري بشارع الأزهر.

٩- قطعتان من عمود مكتوب الأضلاع استعمل كقاعدة وتاج لعمود في وكالة قوصون بشارع باب النصر بالجمالية. أودعتا المتحف المصري عقب هدم الوكالة. ومن نوعهما عمود في جامع التركماني بباب البحر.

١٠- عتبة باب التوفيق. المكتشف بالدراسة.

١١- عتبة باب وكالة قوصون.

هذا عدا أشرطة رخامية خضراء هامة عثر عليها الزميل الدكتور حسن صبحي بكري الأمين بالمتحف المصري في العام الماضي كانت مستعملة أشرطة



تاج عامود بالجامع الأزهر

في كسوة محراب مسجد الخطيري ببولاق عليها كتابات هيروغليفية هامة، وعدا ضلع من تابوت روماني استعمل في أرضية مسجد السلطان حسن مودعاً الآن بمخازن الآثار العربية. وغير هذا كثير من أعتاب وتوابيت ما زال مبعثراً في أقاليم مصر. ومنها تابوت هام كان في مسجد الغمري بميت غمر.

والعنصر الثاني هو العمود والتاج وقد جمعت من المعابد المصرية والمسيحية المهدمة، ومن المساجد المتخربة. وأن مجموعة التيجان الموجودة في مساجد مصر. حوت نماذج قيمة ونادرة من مختلف التيجان، ومن بينها تيجان مصرية على مثال

زهرة اللوتس، وبعضها على شكل الزحف، موجودة في مسجد المارداني بشارع التبانة، وفي مسجد سودون من زاده بسوق السلاح، وقد نقلت إلى مخازن مصلحة الآثار، ومقعد ماماي السيفي بميدان بيت القاضي. ومن بينها تيجان مسيحية رأيتها في مساجد عمرو بن العاص، والأزهر، والصالح طلائع ابن رزيك بميدان باب زويلة. والماس بالحلمية، والقاضي يحيى ببولاق، وتكية الرفاعية ببولاق، ومسجد الأشرف برسباي بالخانكة، وجاني بك بشارع القادرية، واللمطي بالمنيا، ومدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين، وأبو غالية السكري الذي كان بالمحجز وهدم، والمؤيد شيخ بالسكرية. وفي حمام سمنود، ومسجد أحمد حسن بادكو.

وهذه التيجان منها ما هو منقوش عليه الصليب، ومنها ما هو منقوش عليه حمامة أو نسر. ومنها ما جمع بين الاثنين، وهي رموز مسيحية. والكثير من التيجان المشتملة على الصليب ترك الصليب فيها كاملاًن وفي البعض الآخر كسر ضلع منه، كما كسرت رأس النسر أو الحمامة أحياناً وأحياناً تركت كاملة.

ومن الطريف أن نجد بين المؤرخين من ينظر إلى الحمامة أو النسر كطلسم. فيقول المقريزي على ما وجد منها في الجامع الأزهر "أنه يوجد به طلسم فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره وهو صور ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود وحدد موضعها[١].

[١] خطط المقريزي جزء ٢ ص ٢٧٣.



تاج عامود عليه صليب منقول إلى جامع الصالح طلائع بن رزيك بميدان باب زويلة

وهذا القول وإن كان من قبيل الخرافة، إلا أني وفقت إلى حله والعثور على الطيور الثلاثة والطير الرابع في تيجان العمد. ومنها ما هو موجود مع الصليب، مثل التاج الموجود بصحن الجامع أمام رواق المغاربة.

وبين مجموعة العمد عمد ضخمة من الجرانيت المنقولة من المعابد المصرية[١]، مثل العمد الكبيرة الموجودة في قبة المنصور قلاوون، والمنقولة إليها من القلعة الصالحية، والتي كانت قبل ذلك في البرابي ونقلت إليها ثم إلى دار العدل ومسجد ناصر بالقلعة، ويوجد غيرها في مساجد المارداني وعثمان كتخدا، وما كان منها في مسجد إسكندر باشا الذي كان وسط باب الخلق وأعيد استعمالها في جامع الفتح بعابدين عند تجديده، وباقيها أقيم على مدخل ساحة رياضية خلف جامع المؤيد. ومن بين العمد المنقولة، عمود رخامي عليه كتابة يونانية مسيحية في دكة المبلغ بمسجد

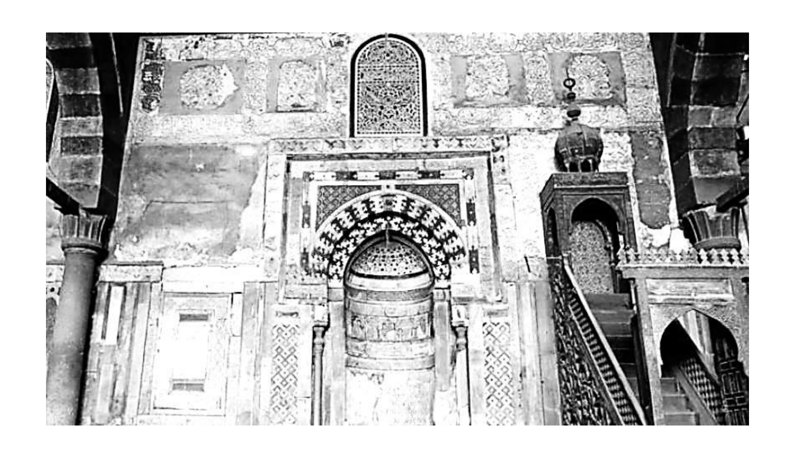
[١] خطط المقريزي جزء ٢ ص ١٨٤.

عثمان كتخدا بميدان الأوبرا.

وعلى ذكر الكتابات اليونانية. أذكر أنه يوجد في سلم جامع فقط قطعة رخامية عليها كتابة يونانية ترجمها الزميلان يسي عبد المسيح ورءوف حبيب وقالا بأنها ترجع إلى القرن الثاني للميلاد، وعليها اسم ماركوس أوريليوس وأسماء أخرى منها كرياكوس.

ومن التفاصيل الهامة المنقولة، ذلك الباب الجرانيتي المنقول إلى مشهد الإمام زين العابدين في سنة ٥٤٩هـ ١١٥٤م فإنه مصراع من قطعة واحدة يبلغ ارتفاعه نحو ١٨٠ × ١٢٠ سم وله عقب وسكرجة وحلق جرانيتي محيط به. ولعله الباب الوحيد من نوعه بين آثار مصر، وهذا النوع يكثر في بادية الشام. وفي مسجد اللمطي بالمنيا اتخذ جانبا الباب وعتبه من آثار مصرية ورومانية كما اتخذ جانبا مدخل جامع المؤيد من الجرانيت الوردي المرقط، وفي مسجد الخلوتي محراب من قطعة واحدة من الجرانيت الأسود كانت غطاء لتابوت.

هذه هي العناصر الغريبة التي أدمجت في الآثار الإسلامية بمصر. أما ما عدا ذلك من الآثار المنقولة فهي غالباً من آثار إسلامية إلى إسلامية ومن



المحراب والمنبر – جامع المارداني بالدرب الأحمر

ذلك ما نقله الحجاج عند بنائه مدينة واسط من الأبواب المصفحة بالحديد التي كانت لمدينة الزندورد لتركيبها بها ثم أخذها أبو جعفر المنصور عند بناء مدينة بغداد وركبها على أبوابها عدا باب خراسان الخارجي فإنه أحضر له باباً من الشام من عمل الفراعنة – وكذلك ركب على باب الكوفة الخارجي باباً جيء به من الكوفة كان عمله خالد بن عبد الله التستري[١]. وكذلك نقل القائد جوهر الصقلي باباً حديدياً كان على ميدان الإخشيد وركبه على باب الخندق وذلك في سنة ٣٦٠هـ[٢] ٩٧٠م. وكذلك نقل صلاح الدين المغربي باب الميدان الصالحي الذي كان بأرض اللوق إلى قيسارية الغزل[٣]. وأيضاً فقد نقل السلطان بيبرس البندقداري في سنة ٦٦٩هـ أحد أبواب القصور الفاطمية إلى الخان الذي أنشأه بأطراف القدس[٤].

هذا جزء مما حدثنا عنه التاريخ، أما التفاصيل الكاملة المنقولة من مكان إلى مكان في آثار مصر، وما زالت باقية فيها، فإنها هامة وعلى جانب عظيم من الأهمية، سأذكرها. حسب أنواعها.

١– باب من قبة الإمام الشافعي.

هذا الباب نقل إلى مسجد الإمام الليث وركب على الباب الذي جدده السلطان الغوري بالمسجد، وهو من مصراعين دقت حشواتهما الخشبية بأويمة دقيقة وهو صنو للباب الموجود على قبة الإمام الشافعي في الصناعة والمقاس والكتابة، إذ نقرأ على كل منهما أبياتاً من الشعر في مدح الإمام الشافعي وتاريخ سنة ٦٠٨هـ[٥] ١٢١١م.

٢– مصراعا باب المدرسة الظاهرية.

---

[١] تاريخ الرسل والملوك للطبري جزء ٩ ص ٢٦١.

[٢] المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ١٩٧.

[٣] المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ١٩٨.

[٤] أنس الجليل جزء ٢ ص ٤٣٤.

[٥] تاريخ المساجد الأثرية جزء ١ ص ١١٢.

هذا الباب كان مركباً على المدخل الرئيسي للمدرسة الظاهرية أمام قبة المنصور قلاوون قبل هدمها، ثم نقل إلى السفارة الفرنسية في مقرها القديم

محل عمارة الإيموبيليا ونقلته معها إلى مقرها الجديد بالجيزة، وهو باب موشي بالنحاس المفرغ بأشكال زخرفية، وعليه اسم الظاهر بيبرس وتاريخ سنة ٦٦١ هجرية بالأرقام الهندية، ولعله أقدم نموذج لكتابة التاريخ بتلك الأرقام في الآثار الإسلامية بمصر، يليه التاريخ المرقوم في الجص بطراز قبة حسن صدقة بالسيوفية سنة ٧٢١هـ ١٣٢١م.

٣- مصراعا باب المدرسة المنكوتمرية.

هذان المصراعان مركبان على باب المدرسة المزهرية بشارع البغال والمنشأة في القرن الخامس عشر الميلادي وتتفق صناعتهما مع صناعة باب المدرسة المنصورية، فهما مكونان من حشوات نحاسية مفرغة بأشكال زخرفية لفت نظري فيهما دقة صناعتهما ومخالفتها لصناعة القرن الخامس عشر، كما وأن المصراعان أكثر ارتفاعاً من فتحة باب المسجد. ومن دراسته تبيت أنه مكتوب برأس المصراعين ما نصه (مما عمل برسم الجناب الكريم العالي المولوي الأسفهلاري سيف الدين منكوتمر المنصوري أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره ونصره.

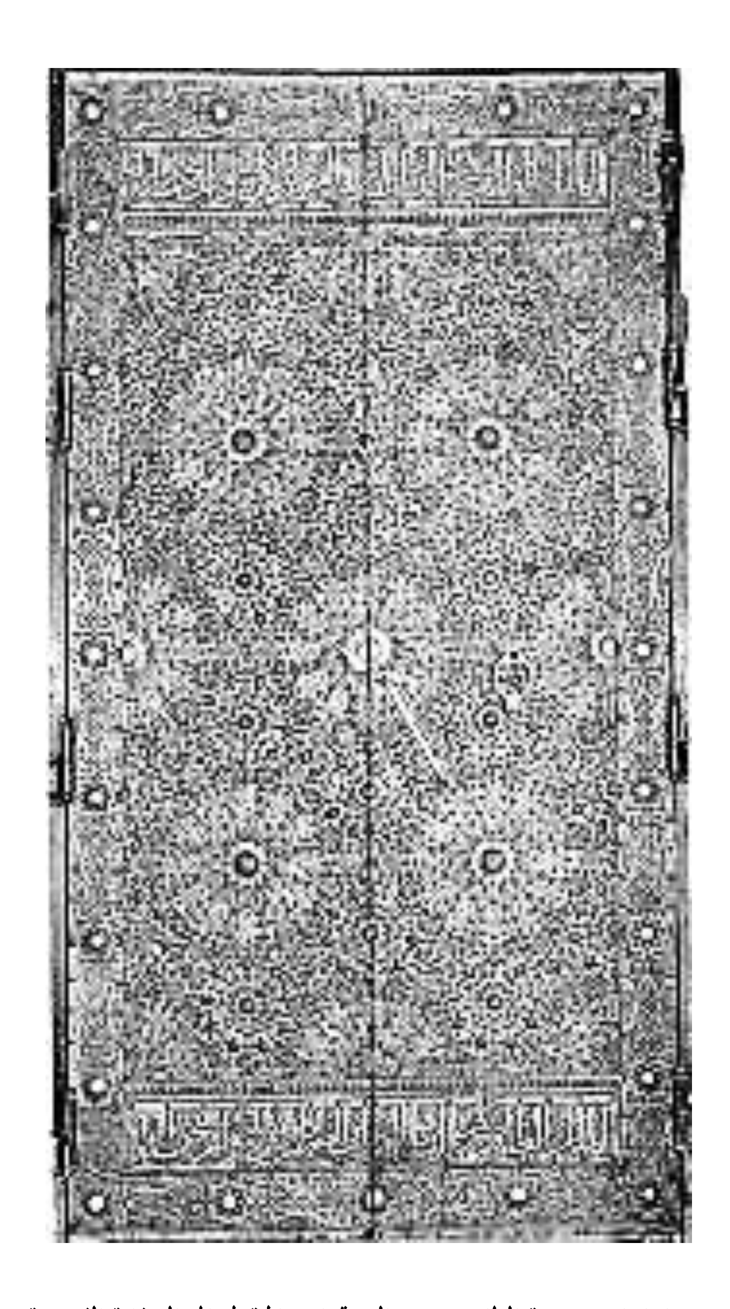
إذاً فهما مصراعا باب المدرسة المنكوتمرية التي كانت بحارة بهاء الدين، والتي أنشأها الأمير منكوتمرالحسامي المنصوري نائب السلطنة سنة ٦٩٨ هجرية ١٢٩٦ ميلادية[١].

كما وأن الزخارف الرخامية في هذا الباب منقولة إليه من المدرسة المذكورة.

[١] المواعظ والاعتبار جزء ٢ ص ٣٨٧.

٤- كرسي المصحف بمسجد قوص.

عثرت على هذا الكرسي بمسجد قوص الذي أنشأه الصالح طلائع بن رزيك سنة **٥٥٠** هجرية مستعملاً كتابوت عليه ستر ومقاسه **١,٣٠ × ٥٥** سم، وبالكشف عليه تبين أنه كرسي مصحف مكون من حشوات مسدسة خالية من الأويمة، ومكتوب بجوانبه آية الكرسي ثم ما نصه، أمر بإنشاء هذا المصحف المبارك المقر الكريم العالي المولوي الأميري الأجلى عز الدين خليل الملكي الناصري أعز الله أنصاره بمحمد وآله، وبوسط كل جانب رنك (هدف النبلة) فلعل الأمير خليل عمله للمسجد وهو ما لم يرد في تاريخ المسجد أو منقول إليه من أثر آخر.



مصراعا باب مدرسة الظاهر بيبرس البندقداري المنقول إلى السفارة الفرنسية



مصراعا باب قصر شمس الدين سنقر الطويل المنقولان إلى مسجد الأشرف برشبايبالخانكاه
ومودعان الآن بمتحف الفن الإسلامي

٥- مصارعا باب قصر شمس الدين سنقر الطويل.

من المصاريع النحاسية المحفوظة بمتحف الفن الإسلامي. ومكتوب عليهما اسم صاحب القصر شمس الدين سنقر الطويل المنصوري، أحد أمراء المنصور قلاوون في آخر القرن الثالث عشر الميلادي. كان هذا الباب في مسجد الأشرف برسباي بالخانقاه، وقد بحثه أستاذنا المغفور له علي بك بهجت وكتب عنه بحثاً قيماً نشر في مجلة المجمع العلمي المصري سنة ١٩١٥. وهو من أجمل الأبواب وأدقها صناعة، فقد حوى نقوشاً دقيقة مفرغة في النحاس تخللتها صور وطيور.

٦- مصراعان من مدرسة السلطان حسن.

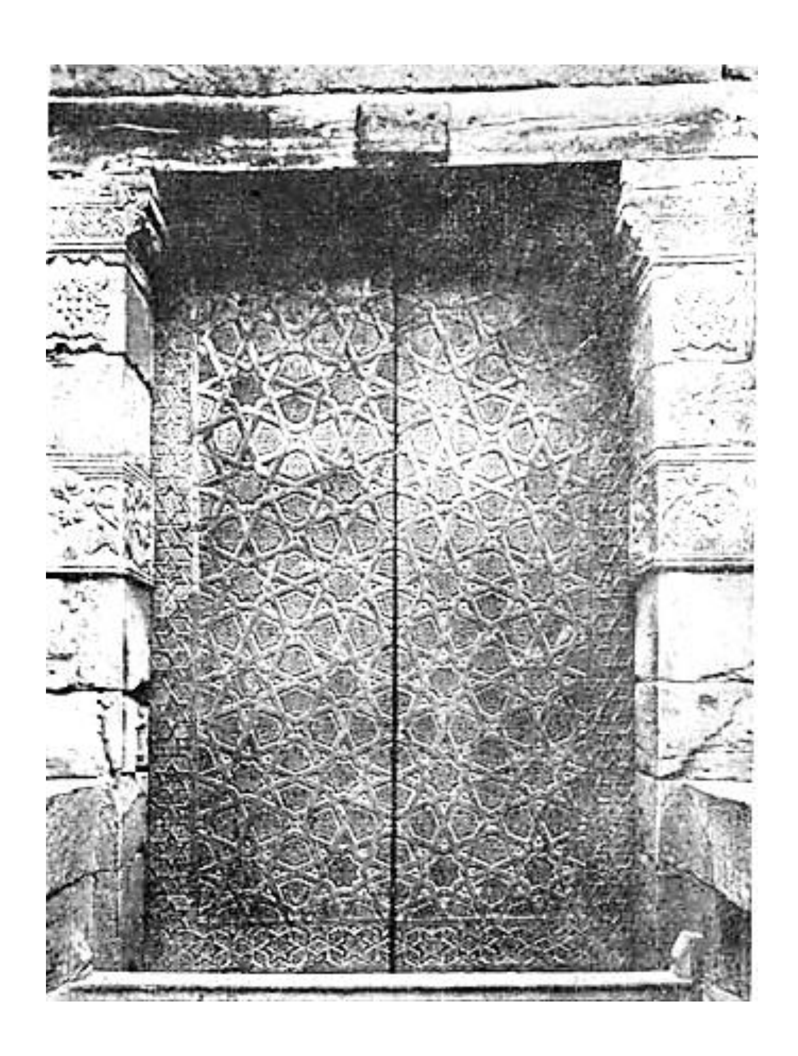
هما فخر المصاريع النحاسية وأجملها وأكبرها، عملاً خصيصاً لمدرسة السلطان حسن، وما زال عليهما اسمه وتاريخ سنة ٧٦٤هـ، نقلهما الملك المؤيد شيخ إلى مسجده في سنة ٨١٩هـ فقد انتهز فرصة غلق المدرسة لمنع مهاجمة القلعة من سطوحها ونقلهما إلى مسجده بالسكرية، وما زالا به إلى الآن.

٧- مصراعا باب مسجد داود باشا بسويقة اللالا.

هذا المسجد منشأ سنة ٩٥٥هـ ١٥٤٨م ومركب على الباب مصراعان من الخشب بتقاسيم فريدة في نوعها وحشوات مدقوقة أويمة دقيقة في الخشب والسن، وبه من أعلا وأسفل جامات نحاسية.

إن دقة صناعة الحفر في حشوات المصراعين ترجع بهما إلى القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، خصوصاً وأن تلك الجامات لها مثيل في باب قبة مسجد الماس سنة ٧٣٠هـ ١٣٣٠م.

وكذلك يوجد ضمن شبابيك المسجد مصراعا شباك، حشواتهما السن والخشب مدقوقة أويمة دقيقة ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي. ولا شك أنهما منقولان مع الباب من آثار مملوكية، لأن تلك الصناعة الدقيقة لا تتفق وعصر المسجد.



مصراعا باب المدرسة المنكوتمرية المنقول إلى المدرسة المزهرية بشارع البغال

٨- باب سبيل الكردي.

هذا الباب يوجد في سبيل الكردي بدرب الجماميز المنشأ في القرن الحادي عشر، وهو باب مملوكي حشواته مطعمة ومدقوقة أويمة منقول إليه ومثله باب بمنزل السحيمي من مصراع واحد مطعم بالسن وبالزردشان من صناعة القرن الخامس عشر، كان مركباً بالقاعة القبلية ونقل إلى باب الخزنة بالقاعة البحرية، وصناعته دقيقة

لا تتفق وعصر المنزل، مما يعزز نقله من أثر مملوكي.

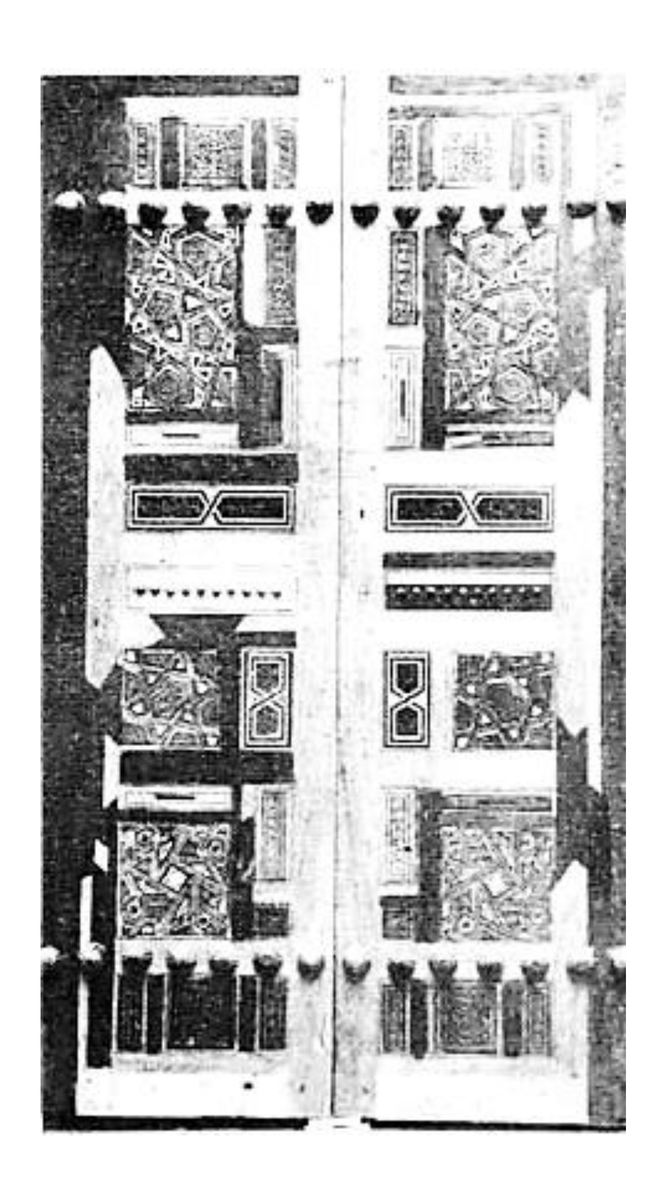
٩- شباك نحاسي مكفت بالذهب والفضة.

هذا الشباك، مكون من رماح ومخرزات خشبية، ملبسة بالنحاس كان، مركباً في شباك علوي بمدخل مسجد شيخو، وقد كساه الصدأ. ولعدم انسجامه في الوضع الذي كان به، رفع من مكانه تمهيداً لإرساله إلى المخزن. وقد لفت نظري إليه خفة وزنه وأثر زخرف طفيف دعاني إلى كشفه فأسفر الكشف عن أن الرماح مكفتة بفرع زخرفي من الفضة. وأن وجه المخرزة مكفت بالذهب، ومكتوب فيه الملك المظفر.

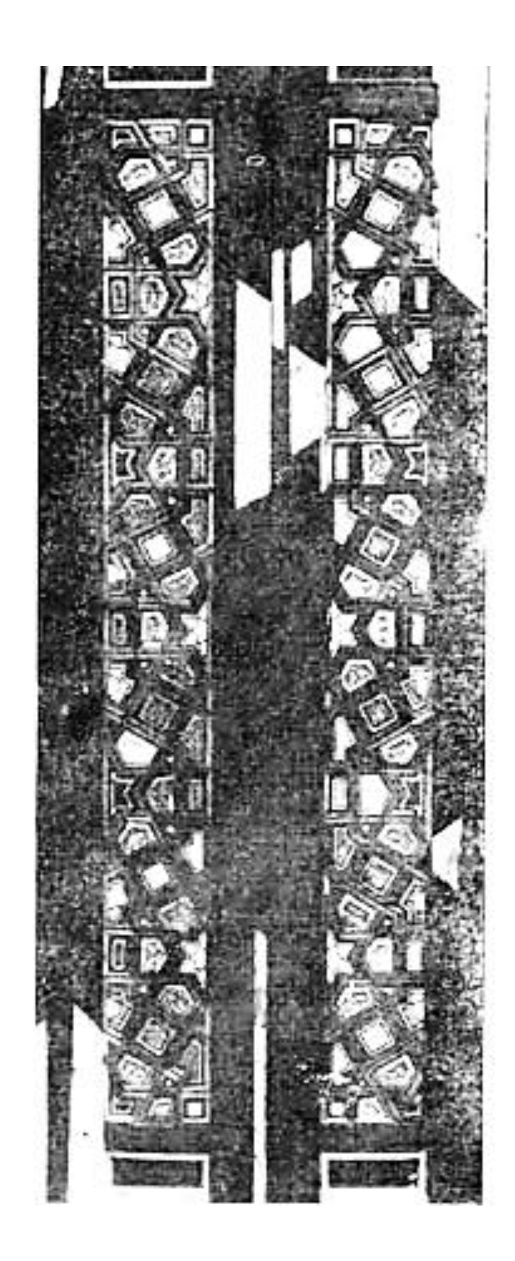
وهذا الشباك وإن كان معاصراً للمسجد، إلا أن وضعه في الوضع الغير لائق به، والذي لا يظهر محاسنه وقيمته، لا يدع مجالاً للشك في أنه منقول من منشأة تحمل اسم الملك المظفر حاجي (وهو الآن مودع متحف الفن الإسلامي).

١٠- هلال منارة مسجد البرديني بالداودية.

هذه المنارة أنشئت سنة ١٠٣٨هـ ١٦٢٨م، وهي منارة رشيقة متأثرة بالمنارات المملوكية. قامت مصلحة الآثار بفكها وإعادة بنائها في سنة ١٩٥٥



مصراعان من العصر المملوكي منقولان إلى مسجد داوود باشا بسويقة اللالا



مصراعان مطعمان بالسن من العصر المملوكي منقولان إلى مسجد داوود باشا

لميل ظهر بها، وقد ظهر للزميل السيد عباس بدر كبير مهندسي الآثار الإسلامية أن الهلال مكون من قطع نحاسية عليها نقوش وكتابات. وبدراستها وقراءتها تبين لي

أن الهلال مكوناً من مشكاة نحاسية مكفتة بالفضة مكتوب عليها في المنطقة العليا ألقاب منها، المقر الأشرف العالي المولوي الأميري...، تتخللها دوائر يقرأ فيها في المنطقة العليا، الملك المظفر، وبالوسط قوله تعالى: {كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ}.

والمظفر نسبة إلى أحد اثنين: الملك المظفر بيبرس الجاشنكير. والملك المظفر حاجي بن الناصر مُحَّد بن قلاوون سنة ٧٤٧هـ وهو ما أرجحه. وبقية الهلال من قطع أسطوانية بها بقايا زخارف وكتابات، ومكتوب على الهلال بخط نسخي، الفقير كريم الدين البرديني.

١١- هلال القبة البحرية لخانقاه فرج بن برقوق.

عند إصلاح القبة البحرية لخانقاه فرج بن برقوق، ظهر أن الهلال مكون من عدة قطع قديمة عليها كتابات ورنوك، منها ثلاث صدريات كبيرة مملوكية فرغ قاعها وركب فيه وصلات من شمعدانات قديمة علاها الصدأ، يقرأ على أحد الصدريات، المقر العالي المولوي أمير الأمراء الكبير المالكي العابدي المجاهدي المرابطي المشاغري المؤيدي الملكي الناصري. وعلى بعض الأجزاء الأسطوانية رنك كأس، ويقرأ عليها:

مما عمل برسم المقر الأشرف العالي المولوي الأميري الكبير المخدومي...، وعل آخر:- مما عمل برسم الجناب العالي الملكي العالمي علم الدين..

وقد أودعت متحف الفن الإسلامي لنظافتها ودراستها وتكملة قراءتها.

وهناك آثار منقولة بالاختيار، ما بين منابر وكراسي، أمثال:

١- منبر مسجد كاتم السر:

كان هذا المنبر في مسجد كاتم السر، الذي كان على الخليج بدرب الجماميز وعند تجديده أصلحته إدارة حفظ الآثار العربية في سنة ١٩٠٧،



تفاصيل من الشباك النحاسي باسم الملك المظفر المكفت بالذهب والفضة – المنقول إلى مسجد شيخو بالصليبة

ووضعته بالقبة الفداوية حينما أعدتها للصلاة. وهو منبر صغير طعمت حشواته بالسن والأبنوس، وترجع صناعته إلى القرن الخامس عشر، وينسجم مع عصر الأثر الذي نقل إليه.

٢– منبر مسجد فرشوط:

هذا المنبر من المنابر الهامة، حشواته الخشبية مدقوقة بأويمة جميلة، وعليه اسم صانعه "يعقوب بن بركات الهوى" وترجع صناعته إلى القرن الرابع عشر الميلادي، واعتبره فريد في نوعه، لوقوع تأثيرات أندلسية على حشواته المتنوعة.

كان هذا المنبر في مسجد فرشوط، ثم أصلحته لجنة حفظ الآثار العربية ونقلته إلى مسجد الظاهر بيبرس البندقداري بالقاهرة.

٣– منبر وكرسي السورة لمسجد الغمري:

بعد أن تخرب جامع الغمري بشارع أمير الجيوش، أهمل المنبر ووصل إلى حالة سيئة، ونظراً لأهميته عنيت به إدارة حفظ الآثار العربية فأصلحته هو وكرسي المصحف ونقلته إلى مصلى مدفن الأشرف برسباي بالصحراء لحاجتها إليه ومعاصرته لها، وهو منبر جميل طعمت حشواته بالسن والزرنشان والأويمة برسوم جميلة ميزته على كثير من المنابر المعاصرة له، ومعلوم أن الآمر بعمله هو والكرسي مُحَمَّد بن علي المعروف بابن الردادي سنة ٨٥٠هـ، ١٤٤٦م وصانعه هو النجار الماهر أحمد بن عيسى الدمياطي[١] ثم القاهري.

٤- كرسي السورة لمسجد قجماس الإسحاقي:

من أجمل الكراسي المطعمة بالسن، نقلته وزارة الأوقاف إلى مسجد الفتح بعابدين.

٥- منبر مسجد أزبك من ططخ:

هذا المسجد كان بميدان العتبة الخضراء بمدخل الموسكي، وبمنشئه عرفت الأزبكية، وقد هدمت بقاياه سنة ١٢٨٦هـ ١٨٦٩م ونقل منبره الذي كان به إلى المشهد الحسيني بعد الفراغ من تجديده سنة ١٢٩٠هـ، ١٨٧٣م.

القاشاني:

لوحظ أن الكثير من ألواح القاشاني لم تعمل خصيصاً للأثر الموجود فيه اللهم إلا القليل، وبعضه عمل خصيصاً لها مثل الموجود في مسجد أقسنقر (إبراهيم أغا) والموجود في سبيلي عبد الرحمن كتخدا والسلطان محمود وقاعة السادات، أما غالب الأماكن الموجود بها قاشاني فهو منقول إليها من آثار أخرى. على أن أكبر مجموعة منقولة وأهمها تلك المجموعة المتباينة التي ألصقت بغير وعي ولا ذوق في الواجهة البحرية لقبة الجلشني بشارع أحمد ماهر، وهي قبة أنشئت في سنة ٩٣١هـ وكسيت

---

[١] تاريخ المساجد الأثرية جزء ١ ص ٢٢٨.

وجهتها بهذا القاشاني في سنة ١٢٥١هـ ١٨٣٥م. وقد حوت تلك المجموعة تفاصيل متباينة من قاشاني رودس وتركيا جمعت مختلف الرسوم والألوان والأحجام وهي غير منسجمة مع بعضها، وحبذا لو فكت ونسقت وأودعت متحف الفن الإسلامي.

الآثار المنتحلة

١- باب مسجد الإمام الليث:

هذا الباب في الجهة الشرقية للمسجد محلي من جانبيه بكتابات نسخية يتخللها زخرف، ومكتوب على عتبه (جدد هذا المقام المبارك في أيام سيدنا ومولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر مُحَمَّد عز نصره على يد الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن يونس شيخ القرافتين الصوفي خادم الإمامين الشافعي والليث ابن سعد لطف الله به في المحرم عام أحد عشر وثمانمائة).

هذا الباب بزخرفه وطرز كتابته بجانبيه يرجع إلى العمارة التي أجريت بالمسجد سنة ٦٤٠هـ، ١٢٤٢م، ثم كتب على عتب غير عتبه القديم تاريخ العمارة التي أمر بها الناصر فرج بن برقوق سنة ٨١١م بإشراف الشيخ أبو الخير مُحَمَّد بن الشيخ سليمان المادح، وهي العمارة التي حدثنا عنها المقريزي. غير أن النص الحالي يغايرها، ذلك أنه تراءى للشيخ أبو بكر بن يونس أن يمحو اسم سلفه المادح ويمحو معه اسم الناصر ويضع اسمه واسم سلطان وقته الظاهر مُحَمَّد أبو سعيد حقمق فمحى من السطر الأول كلمتي الناصر فرج وأصلحها وجعلها الظاهر وكتب مُحَمَّد حشراً[(١)] ثم محى من السطر الثاني اسم سلفه كما يبدو من اختلاف خطه وغوره وكتب فيه اسمه أبو بكر بن يونس وترك التاريخ الأصلي في آخر اللوحة سنة ٨١١هـ فنم عن هذا التزوير، لأن الظاهر أبو سعيد حكم من سنة ٨٤٢ إلى ٨٥٧هـ. ١٤٣٨ – ١٤٥٣م.

٢- صندوق المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان بالمشهد الحسيني:

---

(١) تاريخ المساجد الأثرية جزء ١ ص ١٩٩.

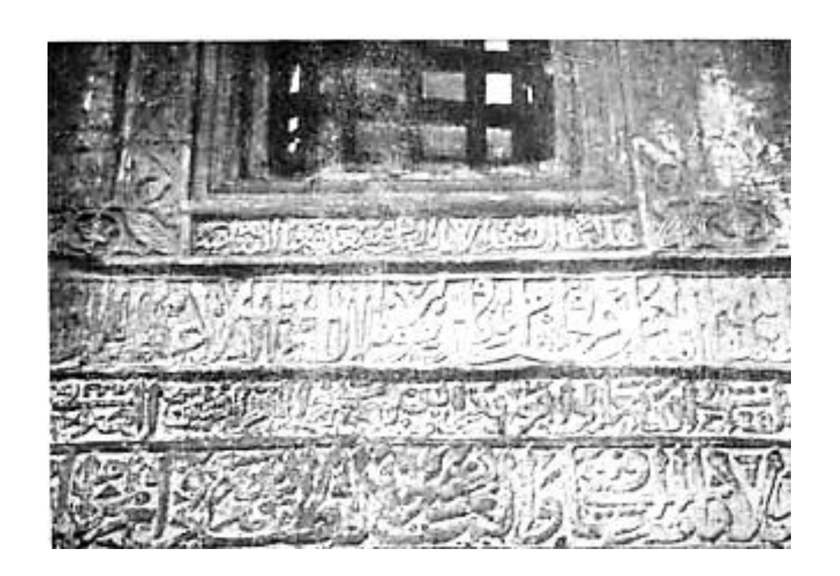
هذا الصندوق من خشب مغلف بجلد، مخرم بأشكال هندسية منكرة بالذهب. وله مفصلات مذهبة عليها اسم السلطان الغوري بما نصه: "برسم المصحف الشريف العثماني، السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري".

ومكتوب على أحد وجهي الغلاف ما نصه: "جدد هذا المصحف الشريف المعظم الذي من إذا حلف به صادقاً نجا وكان له من كل ضيق مخرجاً ومن حلف به فاجراً كف وهان وأصبح في ذل ومقت وخذلان بخط من رتب سوره وآياته وأجزائه ومن ختمه في كل ركعة من صلاته وبه اقتدى من سماه نبينا بالأمين ذي النورين زوج بنتيه ورفيقه في الدارين من استحيت منه ملائكة الرحمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أمر وتشرف بتجليده السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري كان الله له وتجديده على يديه بعد ثمانمائة وأربع وسبعون عاماً مضت تقبل الله ذلك منه ببركته وحفظه ونصره وثبت قواعد دولته بمحمد وآله)[١].

ويلاحظ في هذه الكتابة أن جملة (السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري كان...) مكتوبة بخط مغاير لبقية الكتابة، مما يؤكد أن القائم بعمل هذا الصندوق غيره ولعله السلطان قايتباي لاتفاق التاريخ مع عصره، وأن السلطان الغوري أصلحه وعمل له مفصلات ثم غير الكتابة وكتب اسمه عليه.

---

[١] تاريخ المساجد الأثرية جزء ١ ص ٩٣.



باب مسجد الإمام الليث ويظهر في السطر الأوسط أثر التغيير في الكتابة

أما الزعم بأنه مصحف عثمان فهو زعم منقوض لأسباب كثيرة. أهمها: قاعدة الخط والزخرف فإنها لا تتفق والقرن الأول وأيضاً فإن نسبة مصحف عثمان لازمت كثيراً من المصاحف الموجودة في مصر وفي قرطبة وبلاد المغرب وفي الشام والحجاز، ولم يثبت أن عثمان ﷺ كتب بخطه مصحفاً.

قبة بدر الجمالي:

وهناك آثار انتحلت من غير قصد للجهل بأسماء منشئيها ولغلبة أسماء جديدة عليها. مثل قبة بدر الجمالي خارج باب النصر بشارع نجم الدين، فقد عرفت بالشيخ يونس السعدي، وهي في الحقيقة قبة بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله لأن المعروف أن تربته هي أول[1] تربة بنيت في تلك المنطقة دفن فيها سنة ٤٨٧هـ ١٠٩٤م فعرفت به، كما عرفت بابنه الأفضل شاهنشاه لأنه لما توفي سنة ٥١٥هـ ١١٢١م دفن مع أبيه. ومن بحث القبة ومقرنصاتها وعقودها والكتابة الكوفية حول

---

[1] المقريزي جزء ٢ ص ٤٦٣ وابن ميسر ص ٥٨.

عقد المحراب تبين لي أنها ترجع إلى منشآت النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وأصبح الترجيح إلى حد بعيد أنها قبة بدر الجمالي وابنه الأفضل شاهنشاه، وتاريخ إنشائها حوالي سنة ٤٨٠هـ - ١٠٨٧م.

قبة يونس الدوادار:

هذه القبة بحري خانقاه فرج بن برقوق بصحراء قايتباي، وهي معروفة باسم أنس والد برقوق لأنه مكتوب على عتب الشباك ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم. لما كان بتاريخ يوم السبت ١٨ شوال سنة ٧٨٣ توفي المقر المرحوم الشرفي أنس تغمده الله برحمته والد المقر الأشرف العالي السيفي برقوق أتابك العساكر عز نصره.

والحقيقة أن هذه القبة مخلفة من الخانقاه التي أنشأها الأمير يونس الدوادار قبل سنة ٧٨٣هـ- ١٣٨١م فقد ذكر المؤرخون[١] أنه لما توفي



قبة بدر الجمالي خارج باب النصر المعروفة خطأ باسم الشيخ يونس

[١] المنهل الصافي جزء ١ ص ٢٩٦ خط وأنباء الغمر.



قبة يونس الدوادار بالقرافة الشرقية المنسوبة خطأ إلى أنس والد برقوق

أنس والد برقوق دفن في تربة الدوادار ثم نقله ابنه الظاهر برقوق إلى قبة مدرسته بالنحاسين.

قبة عبد الله المنوفي:

هي قبة صغيرة في صحراء قايتباي عرفت بالشيخ عبد الله المنوفي الصوفي المتوفى سنة ٧٤٩هـ- ١٣٤٨م والمدفون تحتها، وهي وإن كانت معروفة بهذا الاسم إلا أن منشئها السلطان قايتباي حوالي[١] سنة ٨٧٩هـ - ١٤٧٤م.

مسجد الملكة صفية سنة ١٠١٩هـ ١٦١٠م:

نسب هذا المسجد إلى الملكة صفية زوجة السلطان مراد الثالث وهي لم تحضر

---

[١] الضوء اللامع ٦٢ جزء ٤ قسم ٢ خط.

إلى مصر ولم تأمر بإنشاء المسجد، والحقيقة أن منشئه هو عثمان أغا ابن عبد الله أغات دار السعادة مملوك الملكة صفية ولما مات استولت هي على المسجد وعلى الأعيان المرصودة عليه باعتباره مملوكاً لها بالرغم من دفع موكله بأنها أعتقته قبل وفاته، ولكن[1] حكم لها وعرف المسجد باسمها.

خان الزراكشة:

هذا الخان بميدان الجامع الأزهر ويلاصق مسجد مُحَمَّد بك أبو الذهب من الجهة الغربية البحرية. ظل ردحاً طويلاً مسجلاً باسم وكالة أبو الذهب مع أن تفاصيله المعمارية تبرئه من تلك النسبة. وقد أسفرت دراسته الفنية عن أنه من أبنية مستهل القرن السادس عشر خصوصاً وأنه وارد في[2] وقفية مسجد مُحَمَّد بك أبو الذهب بهذا الاسم عند ذكر حدود المسجد وأنه من ممتلكات السلطان الغوري. وقد عثر الزميل الدكتور عبد اللطيف إبراهيم على اسم الخان في حجج أواخر القرن الخامس عشر مما يجعله من منشآت عصر السلطان قايتباي.

آثار شبه منتحلة:

توجد آثار أخرى شبه منتحلة أطلق عليها أسماء أفراد لا أثر لهم في إنشائها وإن كانت قد أقيمت في عهدهم، فقد كتب القاضي يحيى زين الدين اسم السلطان الظاهر مُحَمَّد أبو سعيد جقمق على مسجديه بالحبانية وبولاق بما نصه: أنشا هذا الجامع المبارك في صحايف مولانا السلطان الملك الظاهر مُحَمَّد أبو سعيد جقمق عز نصره فقير رحمة ربه أبو زكريا يحيى الشافعي.

---

[1] تاريخ المساجد الأثرية جزء ١ ص ٣٠٧.

[2] حجة مسجد أبو الذهب.



خان الزراكشة بميدان الأزهر – وكان منسوباً إلى أبي الذهب بينما هو من منشآت عصر السلطان قايتباي – أواخر القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي

كما يلاحظ أيضاً أن اسم الظاهر جقمق مكتوب على المسجد الذي أنشأه لاشين اللالا ٨٥٤هـ[١] – ١٤٥٠م بشارع مراسينا، وعلى المدرسة الفخرية التي جدد إنشاءها ناظر الخاص الجمالي يوسف سنة ٨٥٥هـ[٢] – ١٤٥١م. مع أنه لم ينشئهما.

---

[١] تاريخ المساجد الأثرية جزء ١ ص ٢٤٠ – ٢٤١.

[٢] التبر المسبوك ص ١١٦.

ورغم هذا فإن المساجد عرفت بأسماء منشئيها عدا المدرسة الفخرية بالحمزاوي فإنها ظلت معروفة باسم جقمق، ولهذا الانتحال بالاختبار سبب، ذلك أنه بعد تولية الظاهر جقمق ملك مصر رغب في أن يتسمى بمحمد تشرفاً ثم تراءى له أن يجمع بين الاسمين، فأمر بأن يكتب اسمه على أبواب المساجد المجددة والمنشأة في عصره، ويحدثنا السخاوي[1] بأنه كان يرى إصلاح ما يشرف على الهدم أولى من الإنشاء ولذلك لم ينشئ مدرسة ولا تربة.

سبيل وكتاب السلطان قايتباي:

عهدنا بالسلطان قايتباي محباً للعمارة مسرفاً في إنشاء المساجد والمدارس في مصر والشام والحجاز، ومن بين منشآته ذلك السبيل اللطيف الذي يعلوه الكتاب بأول شارع الصليبة المكتوب عليه اسمه وتاريخ الفراغ من بنائه، وهو ثاني سبيل يعلوه كتاب ينشئه منفرداً. حدثنا ابن إياس عن إنشاء هذا السبيل باضطراب فيقول في حوادث سنة ٨٨٤هـ – ١٤٧٩م أن السلطان قايتباي كشف على عمارة سبيله الذي أنشأه برأس سويقة منعم بالرميلة وكان الشاد (المشرف على عمارته)[2] تاني لك قرا.

ثم يقول في حوادث سنة ٩٠٥هـ – ١٤٩٩م عند ذكر وفاة الأميرتاني بك بالقدس "ومن آثاره السبيل والصهريج الذي أنشأهما برأس سويقة ابن عبد المنعم وصرف على ذلك من ماله ما له صورة. فلما كمل بناء ذلك قدم السبيل والصهريج للسلطان قايتباي[3] ".

وإني لا أميل إلى الأخذ برواية ابن إياس ولو أنه معاصراً. لأن السلطان قايتباي أنشأ مجموعة هامة من الآثار عهد بالإشراف على تنفيذها إلى عدد من الأمراء لم

---

[1] الضوء اللامع جزء ٣ ص ٧٣.

[2] تاريخ مصر لابن إياس جزء ٢ ص ١٩٤.

[3] تاريخ مصر لابن إياس جزء ٢ ص ٢٦٤.

نسمع أن أحدهم وهبه منشأة دينية أو مدنية، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فان شاد العمارة موظفاً صغيراً لا تسمح له موارده بإنشاء مثل هذا السبيل. وفي الوقت نفسه نرى ابن إياس يناقض نفسه في روايتين. وإني أنزه قايتباي وأعتبر هذا السبيل من منشئاته بل ومن مفاخرها.

احتفال الفاطميين بالعام الهجري

الاحتفال بذكرى الهجرة من أعياد الإسلام، فقد روى الفاكهي أن عمر بن الخطاب كان يصيح في أهل مكة ويقول: "يا أهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم فأوضحوا فجاجكم لحاج بيت الله، واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا".

وهو من أعياد مصر الإسلامية التي وضع أسسها وقواعدها خلفاء الدولة الفاطمية منذ أكثر من ألف عام. تلك الدولة التي كانت أيام حكمها مواسم وأعياداً بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلال الخلافة وطرب الشعب. وكثير من الحفلات والتقاليد الباقية بمصر حتى الآن مدين بظهوره إلى هذه الدولة.

كان خلفاء هذه الدولة يحتفلون بموسم رأس السنة (ليلة المحرم) وبموسم أول العام (أول المحرم) ويتخذون أهبة الاستعداد لهذين الاحتفالين من العشر الأخير من شهر ذي الحجة فتصدر التعليمات إلى رؤساء خزائن الأسلحة والمجوهرات والملابس، والركائب والموسيقى بإعداد ما يلزم للاحتفال بهذا اليوم. وفي الوقت نفسه تكون دار الضرب جارية سك النقود بتاريخ العام الجديد "وتعرف بنقود الغرة" لتوزيعها في أول العام.

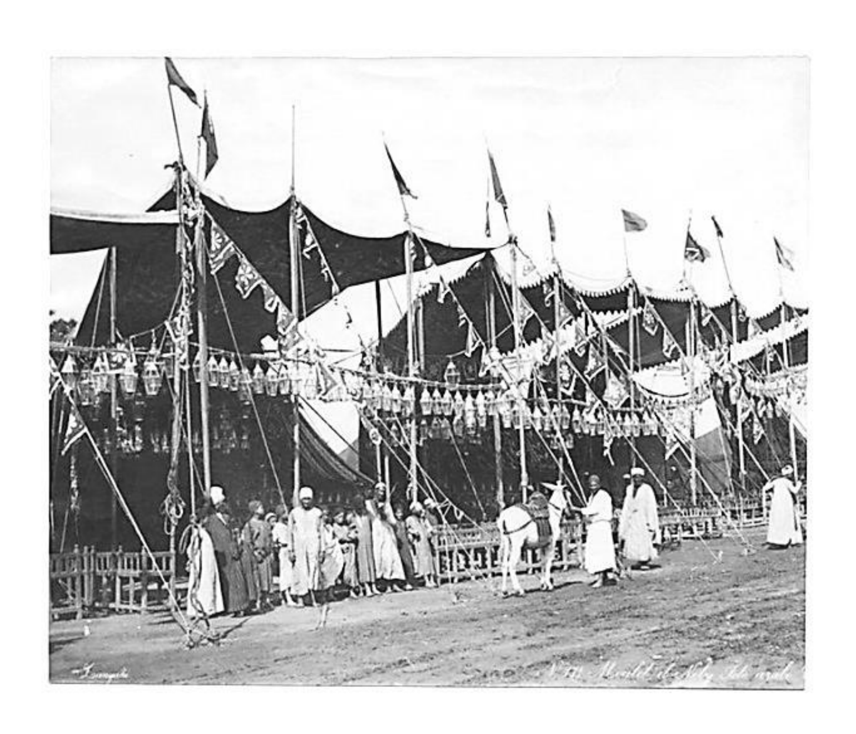


طلاب الأزهر يتجمعون للاحتفال (لوحة أحد المستشرقين)

وفي اليوم الأخير من السنة يستعرض الخليفة تجربة الاحتفال فيجلس في شرفة القصر الكبير ويستعرض موكب الاحتفال بكامل هيئته. ويسمى يوم عرض الخيل. ثم يستقبل كبار رجال الدولة والعلماء والقضاء فينفتح الحفل بتلاوة آي الذكر الحكيم كما يختم بتلاوته.

فإذا صلى الخليفة الظهر بعد انفضاض هذا الاستعراض تعرض عليه الملابس والجواهر التي يلبسها يوم الاحتفال وتكون عادة بيضاء موشحة مع شدة الوقار والدرة اليتيمة وما حولها من جواهر وياقوت.ثم يذاع على سكان مصر والقاهرة برنامج مرور الموكب منذ خروجه من القصر إلى عودته إليه. فلا يصبح أول العام إلا اجتمع أهل مصر والقاهرة حكومة وشعباً للمشاركة في هذا الاحتفال.

فإذا حلت ليلة رأس السنة تكون مطابخ القصر أعدت عدداً كبيراً من الخراف المشوية من جفان اللبن والخبز وأنواع الحلوى لتوزيعها كما توزع الصدقات على الفقراء فيعم الخير سائر الناس من سكان مصر والقاهرة.



التجهيز للاحتفال

موكب الاحتفال بأول العام

في هذا اليوم يخرج الخليفة من القصر راكباً بملابسه وجواهره ومظلته وأعلامه وحوله خاصته وكبار موظفي الدولة وقادة الجيش وحاملو المظلة ، فإذا أهل من باب القصر نفخ جندي في بوق من ذهب معوج الرأس فتليه بقية الأبواق إيذاناً بتحرك الموكب وتنشر المظلة ويسير الموكب من داخل القصر فيخرج الخليفة راكباً فرسه ماشية على بسط خشية أن تنزلق على الرخام، ويسير الموكب وحول الخليفة الأعلام الحريرية وقد كتب عليها {نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وفَتْحٌ قَرِيبٌ}، تتقدمه الموسيقى والجنود ما بين مشاة وركبان على خيولهم المطهمة بأنواع الحرير الملون والمزخرف وأطواق الذهب والفضة. ويشترك في هذا الاحتفال رجال الأسطول.

في هذا اليوم يشترك تجار وسكان القاهرة ومصر في هذا الاحتفال فيزينون حوانيتهم ودورهم ويصطفون على جانبي طريق مرور الموكب.

ويتولى الإشراف على تنسيق هذا الموكب ومروره وإلى القاهرة، ويظل الموكب سائراً من القصر إلى باب النصر ثم ينعطف مع سور القاهرة إلى باب الفتوح فيدخل منه قاصداً القصر حيث يكون مقدم المهرجان مصطفاً على جانبي الطريق فيمر الخليفة بينهم حتى يدخل القصر فيوزع نقود الغرة المضروبة بتاريخ العام الجديد من دنانير ورباعيات وقراريط، وتبلغ نحو ثلاثة آلاف دينار.

ثم توزع الأطعمة ما بين خراف مشوية وزبادي طعام وقوالب حلوى وخبز وتماثيل حلوى وأرز بلبن. .هذا عدا الموائد التي تمد بالقصر فيعم الخير والصدقات جميع الناس. وقد ظل الاحتفال بذكرى الهجرة موضع العناية من الحكومات المتعاقبة على حكم مصر. وفيه تعطل مصالح الحكومة ومعاهدها وتضاء المنارات وتقام الحفلات وتتبادل التهاني.

وقديماً اهتم الشعراء بنظم أبيات من الشعر شطرها الأخير يتضمن السنة الجديدة بحساب الجمل.

ومن ذلك ما أنشده الشيخ مُحَمَّد شهاب الدين شاعر مصر في القرن التاسع عشر، في سنة ١٢٧١هـ

والعـــام وافـــانا عمومـــاً بالمـــنى   إذ أرخـــوه بـــه المســـرة أقبلـــت

وأنشد أيضاً في سنة ١٢٧٢ هجرية:

سمـــح الـــدهر بالتصـــافي ووالى   في لياليـــــه بالمـــــنى والأمـــــان

والتهـــاني نادتـــك أن قـــل وأرخ   جـــاد ربي بعـــام خـــير الزمـــان

ومن قصيدة لشاعر القطرين المغفور له خليل مطران ألقاها في الاحتفال برأس سنة ١٣٢٩هـ ١٩١١ مطلعها:

هـل الهـلال فحيـوا طـالع العيـد	حيـوا البشـير بتحقيـق المواعيـد

ومنها:

عـانى مُحمَّد مـا عـانى بهجرتـه	لمـأرب في سـبيل الله محمـود

كـم غـزاة وكـم حـرب تجشـمها	حـتى يعـود بتمكـين وتأييـد

كـذا الحيـاة جهـاد والجهـاد علـى	قـدر الحيـاة ومـن فـادى بهـا فـودى

ومنها:

أبنـاء مصـر علـيكم واجـب جلـل	لبعـث مُحمَّد قـديم العهـد مفقـود

فليرجع الشرق مرفوع المقام بكـم	ولتـزه مصـر بكـم مرفوعـة الجيـد

وختامها:

بـدا الفـلاح وفي هـذا الهـلال لكـم	بشـرى التمـام لوقـت غـير محـدود

الاحتفال بالمولد النبوي

إن الاحتفال بمولد النبي ﷺ، احتفاء بذكرى أعظم مثال يجب أن يحتذيه المسلمون للوصول إلى التخلق بأشرف الأخلاق، وأحسن مدرسة يجب أن يتعلموا فيها كيف يكون الصدق في القول والإخلاص في العمل.

وقد اهتم علماء الإسلام في مختلف الأقطار بمولده الشريف وسيرته العطرة. فوضعوا المؤلفات الكثيرة التي تناولت مولده وحياته الشريفة المملوءة بالجد والحكمة، والسياسة، والصبر، والثبات، حتى هزم الشرك ورفع راية الإسلام.

لذلك كانت ذكرى مولده عيداً يحتفل به المسلمون في كل عام. لأنها أجمل ذكرى للثبات على الحق، والجهاد في سبيل الله {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}

ولد ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وكان في فصل الربيع.

وللمرحوم محمود باشا الفلكي، بحث دقيق في تحقيق يوم مولده ﷺ، استخلص منه أنه ولد يوم الاثنين ٩ ربيع الأول الموافق ١٢ أبريل سنة ٥٧١م. وكان أهل مكة يزورون موضع ولادته في ميعاد ولادته من كل عام. وفي هذا معنى من معاني التكريم والاهتمام بالآثار.



التجمع للاحتفال

وقد اهتمت بالدول الإسلامية بتكريم هذا اليوم وإحيائه، بل وإحياء الأيام التي قيل أنه ولد فيها، حتى بلغ من عناية بعضها الاحتفال من أول شهر ربيع، وزاد بعضهم أسبوعاً بعد الثاني عشر منه، حيث كانت توزع الصدقات، ويتلى القرآن، واشترك الملوك مع الشعب في تعظيمه وإجلاله.

وقد أشاد كثير من المؤرخين، بعناية الملك المعظم مظفر الدين صاحب مدينة أربل بحفلات المولد الشريف، حسب مشاهدتهم لها، في القرنين السادس والسابع الهجري – الثالث عشر والرابع عشر الميلادي.

ولما كان عليه هذا الاحتفال من روعة، فقد سكان البلاد حول أربل، مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار، ونصيبين، من فقهاء وصوفية ووعاظ وقراء وشعراء، يتوافدون عليها ابتداء من المحرم إلى أوائل شهر ربيع. وفي هذا الوقت يأمر مظفر الدين بإقامة قباب من الخشب لأعيان دولته وأمرائها، وعلى رأسها قبة له. كما تقام

قباب أخرى تخصص لفرق الأغاني ولاعبي خيال الظل وأصحاب الملاهي. فإذا كان أول شهر صفر، زينوا تلك القباب بأنواع الزينة، وتشترك البلاد في الاحتفال بالمولد.

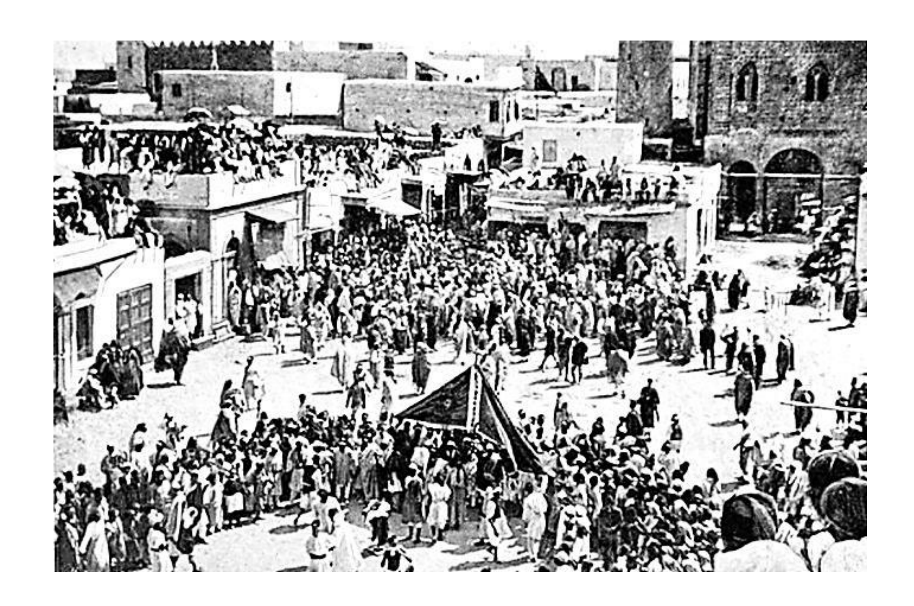
وكانت القباب تقام من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاور للميدان، ويخصص الميدان للوعاظ والقراء واستعراض الجيش، وقبته مشرفة عليه.وكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف أمام كل قبة مستعرضاً ما فيها حتى ينتهي به المطاف إلى الخانقاه، فيبيت فيها مستمعاً إلى تلاوة القرآن، وأذكار الصوفية، وإلى الحديث الشريف. وعقب صلاة الصبح يخرج إلى الصيد ثم يعود إلى القلعة قبل الظهر، وهكذا كل يوم إلى ليلة المولد.

وكان يعمله سنة في ثامن الشهر، وسنة في ثاني عشرة، لأجل الاختلاف الذي فيه. فإذا كان قبل المولد بيومين أمر بإخراج عدد كبير من الإبل والبقر والغنم في احتفال تتقدمه الموسيقى وتتخلله الأغاني وبقية الملاهي حتى تصل إلى الميدان، ثم يشرعون في نحرها وإرسالها إلى المطابخ هناك لطهي أنواع المأكولات.

وفي ليلة المولد وعقب صلاة المغرب في القلعة يستمع إلى تلاوة القرآن وقصة المولد الشريف، ثم ينزل وبين يديه الشموع المشتعلة، ومن بينها شمعتان أو أربع من الشموع الموكبية حتى ينتهي إلى الخانقاه. فإذا كان صبيحة يوم المولد، أمر بصرف الخلع من القلعة إلى صوفية الخانقاه لكل منهم "بقجة" فيتسلمونها. ثم ينزل إلى الخانقاه ويجتمع الأعيان ورجال الدولة حول الوعاظ، ويجلس مظفر الدين في برج خشبي أعد له، به شبابيك تشرف على الوعاظ والمجتمعين حولهم وبالكشك شبابيك أخر تشرف على الميدان لاستعراض الجند. وبعد فراغه من الاستعراض يمد سماط عام في هذا الميدان يباح للجميع، ويمد سماط آخر في الخانقاه للخاصة والقراء والوعاظ والشعراء، وتصرف لهم الهبات. فإذا انتهى موسم الاحتفال استعدوا للعودة إلى بلادهم مزودين بالنفقة والهبات.

وقد حضر هذا الاحتفال أبو الخطاب بن دحية، ولما رآه من اهتمام مظفر الدين

به ألف كتاب: "التنوير في مولد السراج المنير"، وقد كافأه عليه بألف دينار.



الناس يهرعون إلى ساحات التجمع استعدادا للاحتفال

في تونس:

ومن أعياد تونس المشهورة ليلة المولد الشريف. وأول من عنى بتعظيمها في البلاد المغربية السلطان أبو عنان المريني، ثم اقتدى به بنو أبي حفص في الديار التونسية. ويعتبر الاحتفال بهذه الليلة من أعظم حفلاتهم، حيث تقام في دار نقيب الأشراف وحولها. فتوقد القناديل وتضاء الشموع، ويحضرها أجلة العلماء والقراء والفقهاء ويهرع الناس إليها من أطراف البلد، وتكون عندهم من الليالي النادرة، فيستمعون إلى المدائح النبوية، وتوزع الصدقات والأطعمة الفاخرة احتساباً لله تعالى.

وإلى القرن الثاني عشر الهجري كان يحتفل بهذا اليوم احتفالاً عظيماً بالزاويتين المشهورتين: القشاشية والبكرية، بحيث تستمر زينتهما خمسة عشر يوماً لا تخلو من المدائح والذكر وتلاوة القرآن.

في تلمسان:

كان السلطان أبو حمو موسى صاحب تلمسان في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي يحتفل بليلة مولد الرسول ﷺ غاية الاحتفال ويوليها عنايته فوق سائر المواسم حيث كان يدعو الناس على مختلف طبقاتهم إلى الاحتفال، وقد أضيئت الشموع وجلس المدعوون على أرائك الحرير تطوف عليهم ولدان قد لبسوا ملابس الحرير الملونة، وبأيديهم مباخر الند والعطور.

وفي ذلك الوقت يكون المنشد قائماً يمدح سيد المرسلين، وفي آخر الليل تمد الموائد فيختلف إليها جميع المدعوين حسب طبقاتهم، ويظل السلطان موجوداً حتى يصلي الصبح.

في مراكش:

وفي دولة السلطان أبي العباس أحمد المنصور أوليت حفلات المولد عناية كبيرة، فكان إذا هل شهر ربيع الأول صدرت أوامره بدعوة مشاهير المنشدين من سائر حواضر المغرب، وفي الوقت نفسه يعهد إلى مهرة الشماعين في عمل الشموع المختلفة فيضعونها على هيئة الزهور والأشجار وغيرها. فإذا كانت ليلة المولد عهد إلى الحمالين المحترفين حمل خدور العرائس بحملها. ويجتمع الناس من أطراف المدينة لرؤيتها والاشتراك في الاحتفال، فإذا ما انتهت الظهيرة يخرجون بها على رءوسهم كالعذارى، وتتبعها الموسيقات وأصحاب الملاهي حتى يصلوا إلى القصر الملكي لتوضع على منصات أعدت لها، وتحيي الليلة بتلاوة القرآن والأذكار.

فإذا طلع الفجر خرج المنصور فصلى بالناس، ثم يجلس على أريكة وعليه حلة بيضاء هي شعار الدولة وأمامه الشموع المختلفة الأشكال والألوان مزينة بأشرطة ملونة، والبخور يعبق ما حوله. ثم يؤذن للناس بالدخول أفواجاً حسب طبقاتهم. فإذا استقر بهم الجلوس تقدم الواعظ فسرد جملة من فضائل النبي ﷺ ومعجزاته وذكر مولده وإرضاعه، ثم تتقدم الصوفية بأذكارها، فإذا فرغوا تقدم الشعراء حسب

طبقاهم فينشد كل منهم قصيدة يستفتحها بالتغزل والنسيب، فإذا تم يتخلص لمدح النبي ﷺ، ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده. فإذا انتهوا من إنشادهم مدت الموائد لكبار المدعوين. ثم يؤذن للعامة بالدخول إلى موائد حافلة بالأطعمة المختلفة يعبق حولها عبير العنبر والعود والزهور. وبعد فراغ المنشدين من إنشادهم يختم المجلس بالدعاء للسلطان. فإذا انقضت أيام المولد الشريف وزعت هبات الشعراء على أقدارهم. وبعد الاحتفال بأسبوع تقام حفلة أبدع من الأولى.

في حلب:

وفي حلب تعطل الحكومة يوم ١٢ ربيع ويحتفلون بتلاوة قصة المولد النبوي في الجامع الكبير. ويستمر الناس على تلاوة هذه القصة ليلاً ونهاراً إلى آخر الشهر. ويولمون من أجلها الولائم العظيمة.

في مصر:

أما الحفاوة بالمولد النبوي بمصر فقد فاقت كل حفاوة وامتازت بأنها لها فضل السبق، وأنها متصلة الحلقات حتى اليوم.

وأول من عنى بالمولد بمصر الخلفاء الفاطميون، فكانوا إذا استهل شهر ربيع الأول صدرت الأوامر بتوزيع الصدقات، وإلى دار الفطرة بإعداد أربعين صينية من أنواع الحلوى، وأن يصرف إلى المشاهد المنسوبة إلى أهل البيت بمصر والقرافة السكر واللوز والعسل والسيرج والخبز.

فإذا كان الثاني عشر من شهر ربيع الأول صدرت الأوامر إلى الدار المذكورة بعمل عشرين قنطاراً من السكر حلوى يابسة بأشكال طريفة في ٣٠٠٠ صينية، كي تفرق على كبار الموظفين والفقراء والخطباء والمدرسين بالجوامع.

وبعد صلاة الظهر يركب القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر ومعهم من عهد إليهم بتوزيع الصواني، فيجلسون مقدار قراءة القرآن الشريف، ثم يستدعي قاضي القضاة ومن معه من كبار الموظفين فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر

الصاغة عند مدخل بين القصرين فيتوضئون هناك، ويكون الطريق التي يسلكها الموكب نظيفة ومرشوشة ومفروشة بالرمل الأصفر، ويقوم بالإشراف على هذا الموكب وإلى القاهرة، وحينما يتقربون من منظرة الخليفة يترجلون ويجتمعون تحتها إلى أن يشرف عليهم أحد خواصه من نافذة بها ويحييهم نيابة عن الخليفة. ثم يستفتح القراء بالقراءة، ثم يتقدم خطيب الجامع الحاكمي فيخطب خطبة إلى أن يصل إلى ذكر النبي ﷺ فيمجده ويعظمه ويشيد بمولده الشريف، ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة، ويتبعه خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك، ثم يتبعه خطيب الجامع الأقمر.

فإذا انتهى الخطباء حياهم الخليفة، وهو بمثابة أذن لهم بالانصراف وانتهاء الاحتفال.

وفي دولة المماليك كان يحتفي بالمولد النبوي في قلعة الجبل حيث كان يجتمع القراء والمدعوون فتقام الولائم والسرادقات، وتضاء الأنوار، حتى أنه صرف على المولد عام ٧٩٢هـ ١٣٨٣م في دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف مثقال من الذهب، ما بين خلع ونفقات أكل وهبات وأجور منشدين وغيرهم.

وكان الاحتفال به في سنة ٩٢٢هـ ١٥١٦م بالغا حد الروعة. فقد احتفل به السلطان الغوري وأمر بإقامة الخيمة الكبيرة بالحوش السلطاني، وكانت من روائع الصناعة، حيث عملت على هيئة قاعة بها ثلاثة أيوانات في وسطها قبة على أربعة أعمدة وهي من قماش ملون. وكذلك تملأ أحواض الجلد بالشربات وتزين الجدران بالأواني الصيني والطاسات النحاسية. وتقام الزينات على المطابخ السلطانية.

فإذا نصبت الخيمة الكبيرة جلس فيها السلطان، وبحضرته كبار الأمراء والقضاة الأربعة والمباشرون الوعاظ، وبعد قراءة القرآن وإنشاد المنشدين وقراءة المولد النبوي، يختلف المدعوون إلى موائد فاخرة حوت الشهي من مختلف الأطعمة. كما تمد موائد أخرى لعامة الشعب. وكان سراة القاهرة وتجارها يحتفلون بهذا اليوم بقراءة القرآن وإقامة الولائم وتلاوة المولد النبوي وتوزيع الصدقات وإقامة معالم الزينة.

العصر العثماني، وإلى ما بعد القرن التاسع عشر

وفي العصر العثماني كانت تقام حفلات المولد حول بركة الأزبكية، وفي الفضاء الممتد إلى قصر النيل، وكان محوره بيت الشيخ البكري شيخ مشايخ الصوفية.

وفي هذا العصر أيضاً لم يكن الاحتفال مقصوراً على صفته الرسمية، بل يشمل القطر بأجمعه. فتقام الحفلات ونولم الولائم، ويتبارى لاعبو خيال الظل والبهلوانية والمسيقيون في إقامة سرادقات لهم. وتقام الحفلات في الدور وتوزع الصدقات، ويعني باعة الحلوى بعمل التماثيل والدمي من الحلوى، وهي عادة لازمت مصر منذ العصر الفاطمي وما زالت موجودة. هذا عدا إضاءة الشوارع والدور في تلك الليلة بشكل يدخل البهجة والسرور على سكان القطر.

وكانت العادة أنه منذ العشر الأواخر من صفر تقام بمنزل السادة البكرية مآدب فاخرة يدعي إليها كافة مشايخ الطرق والأضرحة والتكايا والموظفين والأعيان.

وكان أصحاب الطرق يفدون إلى دار البكري بالبيارق والطبول رافعين أصواتهم بالذكر والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يعلن الشيخ لكل طريقة الليلة التي تخصها من ليالي المولد الشريف لإحيائها، وتفتتح ليالي الاحتفال بالمنزل المذكور بعدد من القراء يبلغون المائتين، ويتلى أيضاً المولد النبوي الشريف وحزب البكري، ولا تزال تحيي لياليه تلاوة وذكراً ودلائل، بحيث تحضر إليه كل ليلة طريقة من الطرق، والدار مضاءة بالشموع ومعهم المشاعل رافعين أصواتهم بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله، ويستقبل الشيخ البكري شيخ كل طائفة فيستقبل بتلاوة الفاتحة، وتخلع عليه فرجية من الصوف، ثم يعين له الموقع الذي يضرب خيامه فيه، وهكذا غيره بحيث تكون الخيام على شكل دائرة.

وابتداء من ليلة الرابع من شهر ربيع الأول يبدأ السيد البكري استقباله لمن لم يحضر من الطوائف بساحة المولد، فتمر كل ليلة أصحاب طريقة من الطرق التي لم تحضر بالمنزل من قبل حتى تنتهي إلى سرادق السيد البكري فيستقبلهم ويخلع على

شيخهم فرجية من الصوف ما عدا شيخي الرفاعية والسعدية فإن فرجتيهما من جوخ.

وفي ليلة ١٢ منه يقرأ المولد النبوي في سرادق السيد البكري بحضور كبار الموظفين والعلماء.

وبعد أن نظمت منطقة الأزبكية، وردمت بركة الأزبكية، في القرن التاسع عشر وأقيمت حولها الدور ودار الأوبرا، انتقل الاحتفال بالمولد إلى العباسية، ومن وقتها إلى الآن أخذ صفة رسمية حيث تعطل جميع وزارات الحكومة ومصالحها ومدارسها احتفاء بهذا اليوم وأخيراً نقل الاحتفال إلى الدراسة. وتعني جميع طوائف الصوفية بإقامة سرادقات حول سرادق مشيختهم، كما تقوم وزارات الحكومة بإقامة سرادقات لها. وتحيي الليلة الكبيرة بتلاوة القرآن وقصة المولد وتوزع الصدقات ، وتستعرض طوائف الصوفية مهللين مكبرين .

الفهرس